

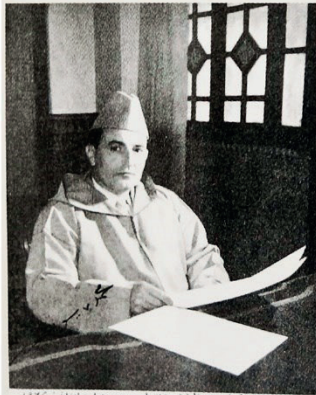
دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

السنة السابعة والستون - العدد 448 - ذو الحجة 1445هـ / يوليوز 2024م



أسسها جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه
سنة 1376هـ / 1957م



الملك محمد الخامس
الملك محمد الخامس
الملك محمد الخامس

”... ولعلنا سنرا أن تتولّى وزارة الأوقاف إصدار
مجلة جامعة تعنى بصفة خاصة بناحية الإصلاح
الذي، كما تُعالج مختلف الشؤون الاجتماعية
والثقافية، ولنا وحييد الأمل في أن يلتفت حولها
لخدمة الفكر والثقافة والإصلاح في هذه البلاد
وغيرها لتؤدّي مهمتها خير أداء“
وعسى أن تسلسل مجلة ”دعوة الحق“ سبل النجاح والتوفيق“

من الكلمة التي وجهها المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه
إلى مجلة دعوة الحق بمناسبة صدورها في شهر يوليوز 1957

- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.
- تترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.

دعوة الحق

العدد 448 - ذو الحجة 1445هـ / يوليوز 2024م

تحت إشراف
بالذكر: الخامسة والعشرين لعيد العرش المجيد
والذكر: الخامسة والسبعين لثورة الملك والشعب



مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

مدير المجلة

الأستاذ ياسين ححو

رئيس التحرير

الأستاذ عبد الحميد العلبي

العنوان

مديرية الشؤون الإسلامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

المشور السعيد - الرباط

الموقع الإلكتروني: www.daouatalhaq.ma

البريد الإلكتروني: daawatalhak@mhai.gov.ma

هاتف التحرير

05 37 76 59 05

هاتف مدير المجلة

05 37 66 06 74 / فاكس: 05 37 76 17 21

التوزيع

هاتف وفاكس: 05 37 76 32 10

الحساب البنكي

القرض الفلاحي - وكالة الحسابات الكبرى - الرباط:

RIB: 225-810-0195092946510102-88

التمن: 20 درهما

رقم الإيداع القانوني: 3/1981

الرقم الدولي: 1981PE0003

448



أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده



افتتاحية



بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يخلد الشعب المغربي هذه السنة الذكرى الخامسة والعشرين لتربع مولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله على عرش أسلافه المنعمين.

ولهذه الذكرى مكانة خاصة لدى المغاربة لأنها تصادف مرور ربع قرن من مشاعر الوفاء والمحبة بين العرش والشعب، وتأكيد الولاء والبيعة التي تفوض لأمير المؤمنين حراسة الدين ورعاية مصالح المواهبين، وتوجب على المبايعين السمع والطاعة لمن ولّاه الله تعالى الإمامة العظمى التي ينوب بها عن جده سيد المرسلين عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم.

وتعتبر هذه الذكرى مناسبة لتجديد العهد وتوطيد عرى التواصل والمحبة بين العرش والشعب، والوقوف على ما تم تحقيقه من المنجزات والاستعداد لتجاوز التحديات. لذا نبه جلالته على ضرورة تحلي المواهبين والمسؤولين بالجدية في كل المجالات، قال حفظه الله: "والمغاربة معروفون على الخصوص بالجدية والتفاني في العمل، واليوم، وقد وصل مسارنا



التنموي إلى درجة من التقدم والنضج، فإننا بحاجة إلى هذه الجدية للارتقاء به إلى مرحلة جديدة وفتح آفاق أوسع من الإصلاحات والمشاريع الكبرى التي يستحقها المغاربة¹.

ومن ثمرات هذه الجدية التي يقودها جلالاته إهلاق مشروع الاستثمار الأخضر للمكتب الشريف للفوسفات، وتسريع قطاع الصاغة المتجددة، واستكمال ورش الحماية الاجتماعية لفائدة الأسر المستهدفة، وتدريب الموارد المائية وغيرها.

هذا وقد أبان الشعب المغربي عن جديته في كل المسارات التي يتولاها أمير المؤمنين داخل المغرب وخارجه، كما أبان عن جديته بمشاركة جلالاته في مساندة منكوبي زلزال الحوز بالمال والصعام والماء والأغذية والخيام.

وبأمر من جنابه الشريف، رصدت ميزانية خاصة لشق الصرق وإعادة إعمار ما أتلفه الزلزال، والعناية بالأطفال اليتامى الذين يعبر عنهم بمكفولي الأمة.

ومعلوم أن احتفاء المغاربة بذكرى عيد العرش المجيد يواكبها احتفاء آخر بذكرى ثورة الملك والشعب، التي اعتبرها أمير المؤمنين حفله الله مناسبة مستمرة ومتجددة ينبغي استحضار معانيها واستلهام مغازيها الدالة على مدى التحام العرش والشعب للمصالبة بالاستقلال وإنهاء فترة الحماية والاستعمار، والمضي في استكمال وحدتنا الترابية، قال عنها حفله الله: "يبقى حجر الزاوية في الدفاع عن مغربية الصحراء هو وحدة الجبهة الداخلية والتعبئة الشاملة لكل المغاربة أينما كانوا"².

وما هذا الدفاع إلا استمرار لحضور هذه الذكرى في قلوب المغاربة، وما قام به بكل التحريص مولانا محمد الخامس، كحبيب الله نراه، بمعية شعبه من بصولات، قال أمير المؤمنين

¹ - من خطاب عيد العرش المجيد 2023م.

² - من خطاب 20 غشت 2022م.



صاحب الجلالة الملك محمد السادس، أعز الله أمره: "إن روح ثورة 20 غشت الخالدة بما تحمله من معاني التضحية والتضامن والوفاء في سبيل الوطن ستبقى تثير هريقتنا وتلهم الأجيال المتعاقبة في كل الوحدة الوطنية والتراثية والأمن والاستقرار".¹

إنهما مناسبتان عظيمتان تؤرخان لحديثين كبيرين؛ فذكرى عيد العرش المجيد تؤسس لتجديد البيعة واستمراريتها لأئمة المومنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله، وذكرى ثورة 20 غشت تخلد للتضحيات التي خاضها الملك والشعب بقيادة مولانا محمد الخامس أكرم الله مثواه، الذي قدم النموذج الأمثل والنهج الأفضل في السعي إلى تحقيق ما يصبو إليه بالرغم من تهديد المستعمر بنفيه عن بلده، وكان رده رحمه الله: "إنني ملك المغرب الشرعي ولن أخون أبدا الأمانة التي أئتمني عليها شعبي الوفي المخلص، إن فرنسا قوية فلتفعل ما تشاء".²

ولما ساومه المستعمر بنقله من منفاه بمدغشقر إلى الإقامة بفرنسا أجابه بقوله: "كان صوتي مسموعا بالمغرب فحسب حينما كنت جالسا على عرشي بالرباط، أما بعد أن أراق الشعب المغربي دمه في سبيلي فإن صوتي أصبح مدويا في جميع أنحاء العالم، وأنا لا أقبل التنازل عن العرش ولا التحدث في موضوعه".³

واستمر أكرم الله مثواه، على التمسك بما عاهد الله عليه من الإخلاص لدينه ووطنه حتى كتب الله له ولشعبه ما ناضلا من أجله وهو إنهاء مرحلة الحماية والاستعمار، ويزوغ فجر الحرية والاستقلال التي قال عنها بكل التحريز الملك المجاهد محمد بن يوسف، لحيب

¹ - من خطاب 20 غشت 2022م.

² - الحسن الثاني ملك المغرب، التحدي، ص: 84.

³ - جريدة الأمة، عدد: 425، 1955م.



اللَّهُ تَرَاهُ: "حمداً لله أن جمع شملنا وأذهب عنا حزننا ولم يضيع جهودنا، أيها الشعب الوفي مهما تمسكتُم بالعروة الوثقى ما كان شيء ليضركم كيفما كانت شدته، إذ لا شدة تدوم في هذه الحياة الدنيا، أيها الشعب العزيز وعدت بالإنقاذ ووفيت أحسن الوفاء وكنت من الصابرين، فكان لك ما وعد الله به دائماً: ﴿لَنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾¹. أيها الشعب العزيز قد أخلصت الوفاء كما أخلصت وأديت الواجب أحسن أداء كما أديت، وهما أنا بينكم كما تعهدونا حب البلاد رائدنا، وخدمتها غايتنا، والحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور، أيها الناس أرجوكم أن تنصرفوا في هدوء ونظام صاحبكم السلامة².

رحم الله أبا الأمة وكاشف الغمة بكل التحرير مولانا محمداً الخامس أكرم الله مثواه وباقي الشهداء الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه من أجل نيل الاستقلال الذي ناضل من أجله الملك والشعب، واحفظ اللهم مولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمداً السادس واجعله حامياً للملة والدين، وراعياً لمصالح المواطنين، وأيده بالنصر والتمكين، إنك ولي ذلك والقادر عليه.

لذا يسعد هيئة تحرير مجلة دعوة الحق أن تخصص هذا العدد لمناسبتى عيد العرش المجيد وثورة الملك والشعب، بمشاركة ثلة من العلماء العاملين والأساتذة الباحثين، والحمد لله رب العالمين.

رئيس التحرير:

ذ. عبد الحميد العلي

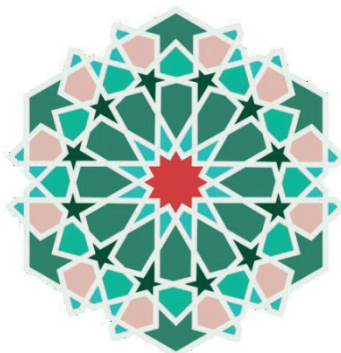
¹ - سورة الزمر، الآية: 11.

² - جريدة الأمة، عدد: 686، 1955م.



ملف العدد

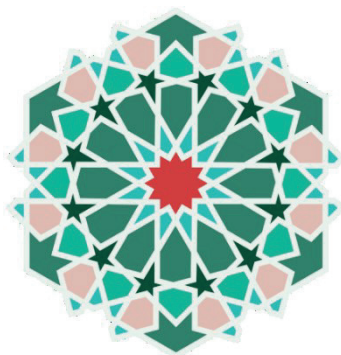






مقالات ذكرى عيد العرش المجيد







إمارة المؤمنين عمارة الدنيا وإقامة الدين

ذ. محمد مشان

رئيس المجلس العلمي الجهوي لجهة الدار البيضاء سطات

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد ولد عدنان سيدنا محمد اللهم صل صلاة كاملة، وسلم سلاماً تاماً على سيدنا محمد الذي تخل به العقد، وتنفرج به الكرب، وتقضى به الحوائج، وتنال به الرغائب وحسن الخواتيم، ويستسقى الغمام بوجهه الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم في كل لحظة ونفس بعدد كل معلوم لك. أما بعد،

عيد العرش المجيد ذكرى جليلة خالدة تُعدُّ من أغلى الذكريات، ومن أجلى المناسبات الوطنية المجيدة، إنها ذكرى اعتلاء مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس عرش أسلافه المنعمين. وبمشاعر الفخر والاعتزاز يحتفل المغاربة بهذا العيد الذي يحل في الثلاثين من شهر يوليوز من كل عام، إنها فرصة الشعب المغربي قاطبة لتجديد البيعة، وتجديد العهد والميثاق الغليظ الذي يربطه بالعرش العلوي المجيد.

وهي فرصة لشكر الله على نعمة إمارة المؤمنين التي جعلها الله سببا لجمع شمل الأمة المغربية ولم شعثها، وتوحيد صفها، وتحقيق ازدهارها ورقيا وأمنها وأمانها.



أفلا يحق للمغاربة أن يحتفلوا ويبتهجوا بهذه المناسبة الغالية والذكرى الطيبة الحبيبة، التي تذكركم بنعم الله عليهم وبفضل الله عليهم؟ لذا فهم يخلدونها بمنتهى الاعتزاز والفخر، وكامل المسرة والابتهاج ويرون فيها عيداً وطنياً هو تاج الأعياد الوطنية.

لقد أكرم الله بلدنا الحبيب وأنعم عليه بنعم لا تحصى، ومن أكبر هذه النعم نعمة إمارة المؤمنين.

وإمارة المؤمنين ثابت من ثوابت هذه الأمة المغربية، فهي إضافة إلى العقيدة الأشعرية والمذهب المالكي والتصوف السني، أهم ركائز وثوابت هذه المملكة الشريفة، وهي أساس كل ما ينعم به هذا البلد الأمين من أمن ورخاء وسيادة وطنية، ووحدة كاملة، وحرية وكرامة، وهي أصل ما يسعد به المغاربة من عزة ونفخار، ومنطلق لكل ما يصبون إليه، ويأملونه من تقدم ورخاء وازدهار، ونهوض واطمئنان واستقرار.

ومن ثم كانت لعيد العرش المجيد مكانته الرفيعة بين الأعياد الوطنية المغربية، وكانت له خصوصيته، ومنزلته المتميزة بين الذكريات الخالدة حيث دأب العرش المغربي وشعبه الوفي على الاحتفاء به على مدى عقود.

ومنذ تأسيس المملكة الشريفة على أرض المغرب الأقصى في عهد الدولة الإدريسية، اجتمع شمل المغاربة، وأصبحوا كالبنيان المرصوص وكالجسد الواحد، فكانت سبباً في ما حصل لهم من الين، وما حل بأرضهم من البركات والخيرات.

إن بلادنا، والحمد لله، أسست على تقوى من الله ورضوان، والعلاقة التي تربط الشعب بملك البلاد هي علاقة شرعية مؤسسة على البيعة الشرعية: وهي إعطاء العهد من المبايع على السمع والطاعة للإمام في غير معصية، في المنشط والمكره، والعسر واليسر، وعدم منازعته الأمر، وتفويض الأمور إليه، وقد قال الإمام ابن خلدون في مقدمته: «اعلم أن البيعة هي العهد على الطاعة، كأن



المبايع يعاهد أميره على أن يُسَلِّمَ له النظرَ في أمور نفسه وأُمُور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكروه، وكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيداً للعهد، فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري، فسمي البيعة مصدر باع، وصارت البيعة مصافحة بالأيدي، هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع»¹.

ومن أولويات المصالح التي تسعى الشريعة الإسلامية إلى تحقيقها في المجتمع، الدعوة إلى اجتماع الكلمة، ووحدة الصف، والالتفاف حول الأئمة، وولاية الأمور، والبيعة لهم، وطاعتهم بالمعروف؛ لأن في التعاون والوحدة قوةً وفتحاً، وفي الاجتماع سعادةً وعزاً، وفي الطاعة استقراراً وأمناً.

ولا يخفى أنَّ إمامة المسلمين أمانةٌ عظيمةٌ ومسؤوليةٌ كبرى، لا قيام للدين إلاَّ بها، ولا تنتظم مصالح الأمة إلاَّ بسلطانٍ مطاعٍ، ونصب الإمام فرض واجب على المسلمين، وهذا باتفاق الأئمة والأمة، لا ينازع في ذلك إلا مبطل أو صاحب هوى، فكل أمة تحتاج إلى قائد تلتف حوله، وتجاهد تحت رايته، يحمي حوزتها، ويدافع عن حقوقها ومكتسباتها، ويقيم فيها شعائر دينها، ويحفظ ضرورياتها، ويقمع عنها أهل الشر والفساد والطغيان.. حتى لا تتفرق كلمتها، وتذهب ريحها، وينقلب عزُّها ذُلًّا، ويطمع فيها الأعداء، وتكثر فيها الفتن والأهواء.

فقد شرَّعَ اللهُ الإمامةَ، وأوجبَ السَّمْعَ والطاعةَ في غير معصية، إذ من المعلوم من الدين بالضرورة أنه لا دين إلاَّ بجماعة، ولا جماعة إلاَّ بإمامة، ولا إمامة إلاَّ بالسمع والطاعة، وأن الخروج عن الطاعة من أعظم أسباب الفساد في البلاد والعباد، والضلال عن طريق الهدى والرشاد.

¹ المقدمة، لابن خلدون، ص. 174.



ومولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله وأعز الله أمره، هو حامي الملة والدين، وباني مجد المغرب الحديث، فقد جمع الله له بين خيري الدنيا والآخرة، إنه الاستثناء المغربي، بألقه وجماله وتميزه بما يأتي ذكره:

(1) نسب شريف:

فمولانا أمير المؤمنين يتنسب للجناب النبوي الشريف، والدوحة العلوية الوارفة جذورها وأصولها تجري في عروقها الدماء الشريفة، فهم من آل بيت مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومحبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم من محبة رسول الله وتعظيمه وتوقيره، وحيب الحبيب حبيب.

(2) تجربة مغربية فريدة وإصلاحات في مجال تدبير الشأن الديني:

ما حققه مولانا أمير المؤمنين في مجال نشر الدين وترشيد التدين لا تستوعبه هذه الوريقات، بل يحتاج إلى مجلدات لسرد تفاصيله والوقوف على نتائجه المبهرة، وما حققه للمغاربة من أمن روعي وطمأنينة نفسية وسكينة.

وقد ظل بلدنا المغرب محافظا على دينه وأصالته، متشبثا بمقومات شخصيته وهويته. وجعل جلاله الملك حفظه الله في مقدمة اهتماماته وعنايته أن يظل بلده المغرب على نهج الأسلاف، فالنظام الملكي في المغرب مؤسس على البيعة الشرعية، والولاء والطاعة لمن ولاه الله مقاليد الحكم؛ وجعله ظل الله في أرضه، وأساس وحدة الشعب المغربي المنضوي تحت لواء ملكه وعرشه العلوي المجيد.

وكما قال أبو حامد محمد الغزالي قدس الله سره: "الملك والدين توأمان، فالدين أصل، والسلطان حارس، وما لا أصل له فهدوم، وما لا حارس له فضائع"¹.

فبمولانا أمير المؤمنين انتظمت مصالحنا، واجتمعت كلمتنا، وأمنت سبلنا، وبفضل حكمته، وحصافة رأيه، وتوجيهاته السديدة جعل من بلدنا نموذجا يحتذى ومثالا يقتفى؛ تتشوف الدول

¹ إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، ج.1، ص. 12.



لبلوغ ودرك مكائده، ونطلع إلى الاقتباس من أنوار تجربته الفريدة المبنية على الوسطية والاعتدال، وقيم التسامح، والانفتاح على الآخر. كل ذلك من أجل تحقيق أمنهم الروحي والمذهبي، وتحسين معتقداتهم، دحضا للشبهات والأباطيل ووقوفا في وجه التطرف والغلو والانغلاق، في إطار المذهب السني المالكي، وفي ظل الإمامة العظمى، القائمة على البيعة المتبادلة، والميثاق الراجح بين الراعي والرعية.

3) ازدهار اقتصادي ورفي حضاري وأوراش ومشاريع ومنشآت:

لم يقتصر همّ مولانا أمير المؤمنين على جانب الدين وإصلاحه، بل أحيا لنا الدين والدنيا، وبفضل حكمته وتبصره ورؤيته الثاقبة ارتقى بلدنا إلى مصاف الدول المتطورة، والحديث عن منجزات ملكنا المفدى في هذا المجال يحتاج إلى موسوعات ومجلدات؛ لأن بلدنا عرف -ولله الحمد والمنة- تنمية شاملة، فالمبادرة الوطنية للتنمية البشرية مشروع ملكي متميز أعطى لبلدنا دفعة وارتقى بها، وهي فكرة عبقرية تحتاج إلى إنجاز دراسات وأطروحات علمية عن فكرتها وموضوعها ومنهجيتها وعن طريقة تصريفها ونتائجها على مستوى الفرد والمجتمع وعلى مستوى الاقتصاد وغيره، وما حققته من رقي وازدهار.

المملكة المغربية أصالة وعراقة وحضارة راسخة الجذور وانفتاح على علوم العصر، ولا يمكن أن أغفل النبوغ المغربي في عالم الصناعة والتكنولوجيا المعاصرة، والازدهار الاقتصادي والأوراش المفتوحة، والإنجازات في شتى الميادين، في صناعة السيارات وصناعة أجزاء الطائرات، والطاques البديلة.

فكم من منشآت معمارية شيدت وكم من موانئ ومصانع ومطارات بنيت، وتم ربط المملكة الشريفة بالطرق السريعة، بشبكة طرقية قلصت الوقت وحسنت ظروف تنقل الناس والبضائع والسلع، بالإضافة إلى شبكة الترامواي، والقطار الفائق السرعة... وغيرها مما جذب ويجذب الاستثمارات العالمية، ويقوي اقتصاد بلدنا.



والمغرب، ولله الحمد والمنة، يتمتع بمصداقية وسمعة طيبة في المجتمع الدولي، وحضور وازن في المحافل الدولية.

وقد تم تحقيق إصلاحات دستورية شاملة ونوعية في مجال حقوق المرأة، وحقوق الإنسان عامة.

وبناء المركبات والملاعب الرياضية، وملاعب القرب، والمسارح والمؤسسات الثقافية. وبفضل جهود مولانا أمير المؤمنين أضفى المغرب وجهة سياحية من الطراز الأول، وتألق أبطاله الرياضيون في جميع المجالات الرياضية.

أما أم القضايا وهي قضيتنا الوطنية ووحدتنا الترابية، فقد حقق بلدنا والحمد لله النتائج المرضية والمكاسب تلو المكاسب، والعالم اليوم يؤكد ويشيد بجدية الحل المغربي ومصداقية الرؤية المغربية الثاقبة.

ونحن نحمد الله على ما تم إنجازه وما تم تحقيقه، وعلى ما ننعم به اليوم من خيرات وبركات، ولنا الثقة الكاملة والإيمان الصادق في الرؤية الثاقبة لمولانا أمير المؤمنين للمستقبل، وثقتنا بالله كبيرة أن يسدد الله الخطى، وينجح المقاصد والغايات، ويكمل أعمال مولانا أمير المؤمنين بالتوفيق والنجاح.

فنسأل المولى جل في علاه أن يعين مولانا أمير المؤمنين على ما ناطه به، ووكله إليه من تدبير أمور هذا البلد الأمين، والذب عن حياض الدين، وأن يديم عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وأن يبقيه مفخرة لشعبه، سني المفخر شريف المناقب، سائرا على نهج أسلافه المنعمين في بناء ذرى المجد، وإرساء دعائم حضارة أمتنا، وإعلاء راية وطننا خفاقة.



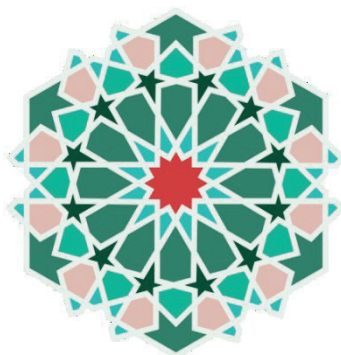
اللهم احرس مولانا أمير المؤمنين بعينك التي لا تنام، وحطه بركنك الذي لا يضام، وكن له وليا ونصيرا ومعينا وظهيراً.

كما نسأله جل في علاه أن يقر عينه بولي العهد وطالع السعد صاحب السمو الملكي الأمير الجليل مولاي الحسن، وأن ينبتة النبات الحسن، ويشد عضده بصنوه السعيد صاحب السمو الملكي الأمير الجليل مولاي رشيد، وبكافة أفراد الأسرة الملكية الشريفة.

كما نسأله الله عز وجل أن يرحم الملكين المجاهدين مولانا محمداً الخامس والملك الباني مولانا الحسن الثاني وأن يطيب ثراهما وأن يجعلهما في مقعد صدق عند مليك مقتدر. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وختاماً أقول عن إمارة المؤمنين: اللهم أدمها نعمة واحفظها من الزوال وصلها على التوال.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





الإمامة العظمى؛ المفهوم والمكانة

ذ. سعيد بيهي

رئيس المجلس العلمي المحلي للحج الحسن بالدار البيضاء

إن مما تقتضيه طبيعة وجود الإنسان بما هو مدني بطبعه ضرورة الاجتماع في جماعة، اجتماع ينظم في سياق متحضر يناسب إنسانيته؛ حتى لا يؤول عيشه المشترك إلى فوضى عارمة تنشأ عن انجراره وراء نزعة التدافع والتغالب بسبب استحكام الأهواء والشهوات، وتغليبها على التراتيب المنظّمات، ومن هنا احتاجت الجماعات إلى قواعد حاكمة تنظم شؤونها؛ بحيث تحقق بواسطتها حالة من استقرار أوضاع الناس على وفق المصالح الأساسية للأمة في أفق بلوغ أهدافها المرجوة؛ يقول العلامة ابن خلدون عما يستلزمه الاجتماع: «ثم إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر...، وتم عمران العالم بهم؛ فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض، لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم، وليست آلة السلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم؛ لأنها موجودة لجميعهم، فلا بد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض، ولا يكون ذلك من غيرهم؛ لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم وإلهاماتهم، فيكون ذلك الوازع واحداً منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة، حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان، وهذا هو معنى الملك، وقد تبين لك بهذا أنه خاصّة للإنسان طبيعية، ولا بد لهم منها»¹.

إن هذا المعنى هو الذي بنى الشارع اجتماع الناس على مراعاته، وذلك من خلال الانتقال بهم مما ألفوه في الجاهلية من عدم الانصياع لما يتصورونه ربقة نظام، أو الخضوع لما يرونه قيد حكم؛ إلى قبول متطلبات الاجتماع المتمثلة في تلقي الشرائع الناطمة للجماعة من خلال منصب (الإمامة) بكل

¹ - المقدمة 78/1-79.



الانصياح، انصياح تحول إلى صورة من صور التعبد التي يتقرب بها المسلمون إلى ربهم، وليتأمل قول الحبيب المصطفى ﷺ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، ثُمَّ مَاتَ؛ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»¹. فما معنى (الإمامة) التي نتقوم بها الجماعة؟

1- مفهوم الإمامة

إن المقام لا يسمح باستيفاء تعريفات مختلف علماء المسلمين، ولذا سأكتفي ببعضها المحقق للمقصود؛ فهذا العلامة الماوردي عرفها بقوله: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين، وسياسة الدنيا به»²، وقال فيها إمام الحرمين الجويني: «الإمامة رياسة تامة، وزعامة عامة؛ تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا»³، وقال فيها العلامة ابن خلدون في مقدمته: «هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدينية الراجعة إليها؛ إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة؛ فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به»⁴.

وهي تعريفات متقاربة المعاني تلاحظ النيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرياسة المقتضية لسياسة الأمة في أمرين اثنين هما: الرياسة المقتضية لسياسة الدين إقامة لما من شأنه أن يحقق انتظام الملة، والرياسة المقتضية لسياسة الدنيا اضطلاعاً بما من شأنه أن يحقق انتظام الدولة، يقول العلامة ابن زكري: حقيقة الإمامة الرياسة * في الدين والدنيا مع السياسة⁵

¹ - رواه مسلم رقم: (1848).

² - الأحكام السلطانية، ص: 3.

³ - الغياثي، فقرة 14، ص: 22.

⁴ - المقدمة، ص 190.

⁵ - مخطوط نظم "محصل المقاصد مما تعتبر به العقائد".



إنها نيابةٌ مُستفادة من عطف وُلاة الأمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾¹، فهي نيابة عنه فيما تصرف فيه بمقتضى كونه إماماً صلى الله عليه وسلم؛ بحيث لا يجوز أن يُستباح شرعاً إلا بمراعاة ذلك الوصف تحقيقاً لاتباع المطلوب شرعاً، يقول العلامة القرافي: « فلا يجوز لأحد الإقدام عليه إلا بإذن إمام الوقت الحاضر، لأنه صلى الله عليه وسلم إنما فعله بطريق الإمامة، وما استُبيح إلا بإذنه، فكان ذلك شرعاً مُقررّاً؛ لقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾² ». ³

وإذا كانت الإمامة بهذا المعنى فما مكانتها، وما الحاجة إليها؟

2- مكانة إمارة المؤمنين والحاجة إليها

إن موقع إمارة المؤمنين ضمن مشمولات الدين مكين، ومكانها ضمن بناء أحكام الشريعة رصين، كيف لا تكون كذلك؟ وهي الوسيلة التي جعلها الشارع لحفظ الملة، والآلية المتوسل بها لتحقيق التمكين للدولة، تحقيقاً حافِظاً من وقوع الاضطرابات والفتن، وتمكيناً مانعاً من حصول الخصومات والإحـ. وكيف لا تكون لها تلك المكانة؛ وهي إحدى أُسس قيام ما لا بد منه للناس في أي مدينة من الاجتماع في جماعة؟! وكيف لا تسمو إلى ذلكم المقام؛ وهي أبلغ وسيلة من وسائل حفظ ما نتقـم به الجماعة المتمدنة من ناظم مكوّناتها؟!، وأظهر آليات ضمان استمرارية قيام الجماعة المتمدنة ودوامها؟! إذ هي وسيلة تحقيق الأحكام الشرعية التي جاوز الشارع بها الأفراد فعلقها بالجماعة؛ فكما أنه لا إسلام إلا بجماعة، فلا جماعة إلا بإمامة...

ولأجل هذا نتأكد أهمية تأصيلها بما يبين ما لها من عظيم المكانة؛ ما دامت هي الوسيلة التي ناط الشارع بها حفظ اجتماع الناس في دنياهم العاجلة، وتحقيق مصالحهم سواء منها العاجلة والآجلة،

¹ - سورة النساء، الآية: 58 .

² - سورة الأعراف، الآية: 158.

³ - الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، ص: 108.



حِفْظاً يَرْتَفِعُ بِهِ الْحَرْجُ عَنْ عَمُومِ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا، وَيَحْصُلُ بِهِ هَدْوُ النَّفْسِ لِلَاظْمَتَيْنِ بِاسْتِمْرَارِ مَا يَتَوَقَّفُ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ عَلَيْهَا.

إِنْ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ مَكَانَةِ إِمَارَةِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ صَاحِبَهَا يَتَحَمَّلُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَلَفَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِمَّا لَا سَبِيلَ لَهُمْ لِإِقَامَتِهِ إِلَّا بِوَاسِطَتِهِ؛ ذَلِكَ أَنَّ مِنْ مَشْمُولَاتِ الدِّينِ الَّتِي يَتَكُونُ مِنْهَا: أَحْكَامٌ لَمْ يُوجَّهْ الْخُطَابُ فِيهَا لِلْأَفْرَادِ مِنْ مِثْلِ سَائِرِ آيَاتِ وَأَحَادِيثِ الْحُدُودِ وَالْقَصَاصِ، وَإِعْدَادِ الْقُوَّةِ وَامْتِلَاكِهَا، وَطَرَائِقِ تَصْرِيْفِهَا... بِمَا هِيَ قَضَايَا مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ جَمِيعِ الْأَفْرَادِ وَالْفِئَاتِ، قَدْ يَتَّخِذُ فِيهَا التَّعَارُضُ وَالتَّجَاذُبُ طَبِيعَةً عَامَةً تُؤْذِنُ بِخِلَافَةِ الْمُجْتَمَعِ إِنْ لَمْ يَضْطَلْعْ بِهَا إِمَامٌ تُسَلِّمُ لَهُ النَّفُوسُ - لِانْعِقَادِ إِمَامَتِهِ - مَا لَا تُسَلِّمُ لِغَيْرِهِ، قَضَايَا اصْطَلَحَ عَلَيْهَا أَهْلُ الْعِلْمِ بِ (الْأَحْكَامِ الْمَفْتَقَرَةِ إِلَى وِلَاةِ الْأَمْرِ)؛ يَقُولُ الْعَلَامَةُ الْقِرَافِي: «السَّبَبُ الثَّانِي الْمَوْجِبُ لِفَتْقَارِ تَرْتِيبِ الْحُكْمِ عَلَى سَبَبِهِ إِلَى حُكْمِ الْحَاكِمِ وَمُبَاشَرَةِ وِلَاةِ الْأُمُورِ: كَوْنُ تَفْوِضِهِ لِجَمِيعِ النَّاسِ يُفْضِي إِلَى الْفِتَنِ وَالشَّحْنَاءِ، وَالْقَتْلِ وَالْقِتَالِ، وَفَسَادِ النَّفْسِ وَالْمَالِ»¹، وَلَا رَيْبَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ قَامَتْ عَلَى حِسْمِ كُلِّ مَوَادِّ الْفَسَادِ.

وَلَأَجْلِ كَوْنِ (أَحْكَامِ الْجَمَاعَةِ) أَحْكَاماً شَرْعِيَّةً؛ فَقَدْ خَاطَبَ اللَّهُ الْمَكْلُفِينَ بِوَصْفِ الْإِيمَانِ وَهُوَ بِصَدَدِ تَكْلِيفِهِمْ بِهَا فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾²؛ فَجَعَلَ طَاعَةَ وِلَاةِ الْأَمْرِ مِنْ مَقْتَضِيَّاتِ الْإِيمَانِ، طَاعَةً تَسْتَدْعِي أَنْ نَتَسَاءَلَ عَمَّا يُطَاعُونَ فِيهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ اخْتِصَاصِهِمُ الَّذِي يُكَلِّفُ الْعَمُومَ بِلِزُومِهِمْ فِيهِ؟! وَمِنْ أَمْثَلَةِ ذَلِكَ طَاعَةُ وِلَاةِ الْأَمْرِ فِيمَا يَدْخُلُ فِي اخْتِصَاصِهِمْ مِنْ كُلِّ مَا يَحْصُلُ بِهِ انْتِظَامٌ لَشَأْنِ الْجَمَاعَةِ، وَمِنْ أَظْهَرِ تَجَلِّيَاتِهِ طَاعَتُهُمْ فِي أُمُورِ الْأَمْنِ وَالْخَوْفِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ

¹ - الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، ص: 152.

² - سورة النساء، الآية: 58.



وَالَّذِي أَوْلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا¹.

إِنَّ أُمُورَ الْأَمْنِ وَالْخَوْفِ ذَاتُ أَعْرَاقٍ سِيَاسِيَّةٍ لَهَا تَعَلُّقٌ بِأَطْرَافِ شَتَّى؛ يَمَسُّ إِهْمَالُهَا عِرَّةَ الْأُمَّةِ وَيُعْرِقُ رُقِيَّهَا، وَمِثْلُهَا سَائِرُ قَضَايَا الشَّأْنِ الْعَامِّ -بِمَا هِيَ مُحْتَاجَةٌ إِلَى أَهْلِيَّةٍ خَاصَّةٍ مُمَكِّنَةٍ مِنْ حُسْنِ فَهْمِهَا- بِجَامِعِ حُصُولِ الضَّرَرِ مِنْ اسْتِبَاحَةِ الْعَامَّةِ لَهَا؛ قَالَ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدٌ رَشِيدٌ رَضَا: «وَمَنْ خَبَرَ أَحْوَالَ النَّاسِ يَعْلَمُ أَنَّ الْإِذَاعَةَ بِمِثْلِ أَحْوَالِ الْأَمْنِ وَالْخَوْفِ لَا تَكُونُ مِنْ دَأْبِ الْمُنَافِقِينَ خَاصَّةً، بَلْ هِيَ مِمَّا يَلْغُظُ بِهِ أَكْثَرُ النَّاسِ، وَإِنَّمَا تَحْتَلِفُ النِّيَّاتُ، فَلِلْمُنَافِقِ قَدْ يُذِيعُ مَا يُذِيعُهُ لِأَجْلِ الضَّرَرِ، وَضَعِيفُ الْإِيمَانِ قَدْ يُذِيعُ مَا يَرَى فِيهِ الشُّبْهَةَ اسْتِشْفَاءً مِمَّا فِي صَدْرِهِ مِنَ الْحِكَّةِ، وَأَمَّا غَيْرُهُمَا مِنْ عَامَّةِ النَّاسِ فَكَثِيرًا مَا يُوَلِّعُونَ بِهِذِهِ الْأُمُورَ لِحُصْرِ الرَّغْبَةِ فِي ابْتِلَاءِ أَخْبَارِهَا، وَكَشْفِ أَسْرَارِهَا، أَوْ لِمَا عَسَاهُ يَنَالُهُمْ مِنْهَا.

نَحْوُ الْعَامَّةِ فِي السِّيَاسَةِ وَأُمُورِ الْحَرْبِ وَالسَّلَامِ، وَالْأَمْنِ وَالْخَوْفِ؛ أَمْرٌ مُعْتَادٌ، وَهُوَ ضَارٌّ جِدًّا إِذَا شُغِلُوا بِهِ عَنْ عَمَلِهِمْ، وَيَكُونُ ضَرَرُهُ أَشَدَّ إِذَا وَقَفُوا عَلَى أَسْرَارِ ذَلِكَ وَأَذَاعُوا بِهِ، وَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ كِتْمَانَ مَا يَعْلَمُونَ، وَلَا يَعْرِفُونَ كُنْهَ ضَرَرِ مَا يَقُولُونَ، وَأَضَرُّهُ عِلْمُ جَوَاسِيسِ الْعَدُوِّ بِأَسْرَارِ أُمَّتِهِمْ، وَمَا يَكُونُ وَرَاءَ ذَلِكَ. وَمِثْلُ أَمْرِ الْخَوْفِ وَالْأَمْنِ سَائِرُ الْأُمُورِ السِّيَاسِيَّةِ وَالشُّؤُنِ الْعَامَّةِ الَّتِي تُخْتَصُّ بِالْخَاصَّةِ دُونَ الْعَامَّةِ²»³.

بَلْ إِنَّ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ ذُبِلَتْ بِجَعْلِ التَّوْفِيقِ لِمُرَاعَاةِ شَرِيعَةِ اللَّهِ الْمُقْتَضِيَةِ لِتَرْكِ سَبْلِ الشَّيْطَانِ مِنْ مَشْمُولَاتِ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَذَلِكَ فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ عَنْ رَدِّ أُمُورِ الْأَمْنِ وَالْخَوْفِ وَمَا يُمَاتِلُهَا مِنْ قَضَايَا الشَّأْنِ الْعَامِّ إِلَى أَوْلَى الْأَمْرِ؛ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مِنْ صُورِ أَمَانِي الشَّيْطَانِ أَنْ يُوقَعَ الْعَامَّةُ فِي مُخَالَفَةِ

¹ - سورة النساء، الآية: 82.

² - هي قضايا لها جهتان يُنظر من خلالها إليها، جهة طبيعتها المتصلة بالشأن العام؛ فهي عامة بهذا الاعتبار، وجهة من يصلح لتوليها والاضطلاع بالنظر فيها؛ فهي خاصة بهذا الاعتبار.

³ - تفسير المنار، 298/5.



شريعة الله، مخالفتها من خلال منازعة ولاة الأمر فيما جعله الله سبحانه وتعالى من اختصاصاتهم؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾¹؛ قال العلامة محمد رشيد رضا: «لولا فضل الله عليكم ورحمته بكم أيها المسلمون بما هداكم إليه من طاعة الله والرسول ظاهراً وباطناً، وتدبر القرآن ورد الأمور العامة إلى الرسول وإلى أولى الأمر منكم لاتبعتم وسوسة الشيطان كما اتبعته تلك الطائفة التي تقول للرسول: طاعة لك، وتبيت غير ذلك، والتي تضيع بأمر الأمن والخوف وتفسد على الأمة سياستها به»².

ولا يعني ذلك بأي حال من الأحوال التأسيس لامتهان الناس واحتقارهم بسلب حرياتهم بدعوى أنهم من العامة، إذ ليس هناك أي تلازم بين التسليم لولاة الأمر فيما جعله الله من اختصاصهم مما ألزم الناس طاعتهم فيه، وبين المهانة باستلاب الحرية واستقلالية النفس، وإنما فيه ضبط مجالات ذلك الخوض بنوطها بالجهة المؤهلة توفيراً لشروط نجاحها لا أقل ولا أكثر؛ قال العلامة محمد رشيد رضا رحمه الله بعد تقريره وجوب طاعة ولاة الأمر فيما ذلك وصفه: «لا غضاضة في هذا على فرد من أفراد المسلمين، ولا خدشاً لحرية واستقلاله، ولا نيلاً من عزة نفسه، لحسبه أنه حر مستقل في خويصة نفسه...، وليس من الحكمة ولا من العدل ولا المصلحة أن يُسمح له بالتصرف في شؤون الأمة ومصالحها، وأن يفتات عليها في أمورها العامة، وإنما الحكمة والعدل في أن تكون الأمة في مجموعها حرة مستقلة في شؤونها كالأفراد في خاصة أنفسهم، فلا يتصرف في هذه الشؤون العامة إلا من وثق بهم من أهل الحل والعقد المعبر عنهم في كتاب الله بأولي الأمر؛ لأن تصرفهم - وقد وثقت بهم الأمة - هو عين تصرفها، وذلك منتهى ما يمكن أن تكون به سلطتها من نفسها»³.

¹ - سورة النساء، جزء من الآية: 82.

² - تفسير المنار، 302/5.

³ - نفسه، 300/5.

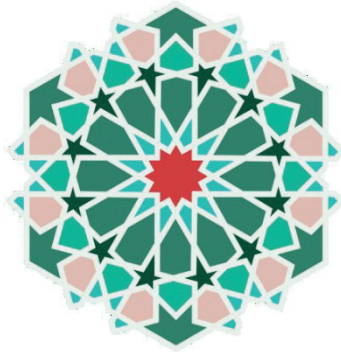


إن إقامة تلك الأحكام - المتوقفة على الإمامة - على أساس من العدل يجعل الإمام متفضلاً يستحق رفعة مقامه بأن يجعل من ضمن المستحقين لظل الله يوم لا ظل إلا ظله لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه»¹؛ فبدأ بالإمام العادل؛ قال العزبن عبد السلام مبيناً سبب ذلك: «وأجمع المسلمون على أن الولايات من أفضل الطاعات، فإن الولاية المقسطين أعظم أجراً وأجلّ قدراً من غيرهم؛ لكثرة ما يجري على أيديهم من إقامة الحق ودرء الباطل، فإن أحدهم يقول الكلمة الواحدة فيدفع بها مائة ألف مظلمة فما دونها، أو يجلب بها مائة ألف مصلحة فما دونها، فيا له من كلام يسير وأجر كبير»².

إنه لا بد من ترك العواطف التي تحدد الناظر في هذه الأمور؛ فتجعله يمانع من تفويض تديرها لولاية الأمر؛ لا لشيء إلا لأجل ما جلبت النفوس عليه أحياناً من حب المنازعة لهم، خاصة مع تضخم التأثير بمناهج غربية تمكّن من مزاحمة اختصاصات الحاكم، أو لأجل ما ألفت النفوس أحياناً أخرى من شيوع الخوض فيه خوفاً صار عادة يظن معها مشروعية خوض العموم في أمر يفتقر الخوض فيه إلى ولاية الأمر، بل يراه - بغير حق - حقاً مكتسباً لا ينبغي التفريط فيه بأي حال من الأحوال، مما قد يحمله على الاستماتة لرفض ما تقتضيه قواعد العلم، وتستلزمه شواهد الواقع؛ من ضرورة وضع ما يناسب من القواعد والضوابط التي تضمن سلامة المجتمع من كل صور الإخلال به المفسدة لانتظام سيره.

¹ - صحيح البخاري، 6/ 2496، برقم: 6421.

² - قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، 1/ 254.





عيد العرش المجيد الأصالة والتميز

ذ. ابراهيم بن أحمد الوافي

رئيس المجلس العلمي المحلي لإنزكان أيت ملول

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه.
لا شك أن المغرب الأقصى أدام الله عليه النعم بلا عد ولا إحصاء، يعد من البلدان القلائل التي عُرِفَت عبر تاريخها الطويل، ومجدها العريق، بالقيام بدور كبير في المحافظة على المكونات الأصيلة والتميزة للحضارة الإسلامية، والتشبث بها، والتعهد برعايتها لضمان استمراريتها، وذلك على مستويات عدة، دينية وسياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية وعمرانية وحضارية وغيرها، وشكلت محافظته على هذه المكونات منجما لا ينفد، ومعينا لا ينضب، ظل المغرب يمتح منه لنفسه، ويقدم المزيد من تجربته فيه لغيره، ويتجلى هذا النبع الفياض في محافظته على تراثه المادي واللامادي، لدعم وجوده وكيانه وتميزه، وسعيه بذلك في الإشعاع على محيطه، ومد جسور التواصل، والإسهام في التلاحق الفكري والعمراني والحضاري للأمم والشعوب، فهو البلد المغاربي والعربي والإسلامي، الذي ظل عبر تاريخه محافظا على مكانته المرموقة، وعلاقاته الودية مع الأمم والشعوب، بمختلف جنسياتها وقاراتها، إيمانا منه بأن تبادل المصالح، من السنن الإلهية التي تقوم عليها الحياة البشرية في مختلف الميادين والمجالات.

وبفضل هذه الأصالة والتميز على أكثر من صعيد، نذكر منها ما حباه الله تعالى به، وأفاض عليه من أنواع البركات، جعلته يتقلب في طيب العيش والمسرات، ويظهر شكره لله في كل المناسبات، ممتثلا



لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾¹، وقوله صلى الله عليه وسلم: «من أنعم الله عليه نعمة، فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على خلقه»². وفي رواية: «على عبده».

ومنها محافظته على ثوابت الدنيا والدين، التي تتنوع وتعدد منافعها، لا سيما تشبث المغاربة بثابت إمارة المؤمنين، الحامي لحمى الملة والدين، وهو تشبث بنظام شرعي أصيل، وعقد اجتماعي أثيل، مكوناته فريدة، ومزاياه عديدة، من أهمها حماية الحدود والثغور، وتوفير الأمن والاستقرار، وبث السكينة والطمأنينة في النفوس، وهذه من النعم التي لا تقدر بثمن، لا سيما في الوقت الراهن. ومنها أصالته وتميزه في تنظيم وترتيب احتفالات مناسباته الدينية وذكرياته الوطنية، فينزل كل واحدة منها منزلتها، ويعطيها ما تستحق وفق وزنها وقيمتها، وما تتميز به عن غيرها.

فاحتفال المغاربة بذكرى عيد العرش المجيد، هو احتفال خاص، يشع سناه في المغرب وفي باقي بلدان العالم، ويكفي هذا الاحتفال السنوي شرفا كونه مما يتميز به المغرب عن غيره من شعوب العالم، وهذا ليس من باب الصدق والاتفاق؛ وإنما هو من باب إعطاء الأمور ما تستحق؛ لأن المغرب يدين بنظام البيعة الشرعية للإمام الأعظم، المستمدة من تعاليم الإسلام، التي بموجبها يتولى تسيير دفة الحكم، ومهمة حفظ النظام العام، والسعي إلى جلب المصالح ودرء المفسدات، في ضوء ما يرجع إلى أمهات وقواعد الدين، الضامنة لإقامة واجب البيعة والطاعة، مقابل حماية الملة والدين، وكفاية المحتاجين، وسد الخلل، ودفع خطر المعتدين.

وكلها من أصول ولوازم البيعة الشرعية، التي تعقد لولي الأمر، وتتم بيعته الخاصة والعامة على السمع والطاعة في المنشط والمكروه، والعسر واليسر، ويلتزم الجميع بذلك، ويستمررون على تأكيده السنوي، في ذكرى عيد العرش المجيد من كل عام، ولا يحيدون عنه قيد أنملة بقول ولا فعل؛ امتثالا لما جاء في الحديث الشريف الذي أخرجه الإمام مسلم في باب الأمر بلزوم الجماعة، بسنده عن نافع مولى ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، قال: جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع، حين كان من أمر الحرّة

¹ سورة الضحى، الآية: 11.

² مسند الإمام أحمد، ج. 1934.



ما كان، زمن يزيد بن معاوية، فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: إني لم آتكم لأجلس، أتيتكم لأحدثكم حديثاً سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من خلع يدا من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية».¹

وأما أمر البيعة في الإسلام، فهو أمر واحد وشأن واحد، لا يقبل التبعيض؛ فإذا قامت البيعة وفق شروطها، فإنها تصير ملزمة للجميع؛ لأنها عهد بين الأمة، وبين إمامها الأعظم؛ يقول الإمام الماوردي (ت. 450هـ): "فإن الله جلت قدرته، ندب للأمة زعيماً خلف به النبوة، وحاط به الملة، وفوض إليه السياسة؛ ليصدر التدبير عن دين مشروع، وتجتمع الكلمة على رأي متبوع، فكانت الإمامة أصلاً عليه استقرت قواعد الملة، وانتظمت به مصالح الأمة، حتى استتببت بها الأمور العامة، وصدرت عنها الولايات الخاصة، فلزم تقديم حكمها على كل حكم سلطاني، ووجب ذكر ما اختص بنظرها على كل نظر ديني؛ لترتيب أحكام الولايات على نسق متناسب الأقسام، متشاكل الأحكام".²

ومن ثم كانت البيعة عقد ولاء حصري، قصد الشرع الحكيم منه درء الفتنة، وتحقيق وحدة الأمة، وجمع كلمتها ولم شملها، وجعلها صفاً واحداً خلف ولي أمرها؛ لأن في ذلك عين مصلحتها الدينية والدنيوية، ويمكن عزها ونصرها وسؤدها.

وقد أدرك المغاربة مبكراً قيمة ومزية البيعة الشرعية، وأخذوا بها، واعتبروها ركناً ركيناً، وثابتاً متيناً، مستنداً في أصله، إلى العقيدة والدين، ونص عليه كتاب رب العالمين، وبينته سنة نبيه الأمين، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، بقوله: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي».³

والتمسك بالقرآن الذي يوصي به المنزل عليه، هو التثبيت به والعمل بما فيه، والائتمار بأوامره، والانتفاء عن نواهيه؛ ومن أوامره الأخذ بنظام البيعة؛ لقوله تعالى: ﴿لَا الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ

¹ صحيح مسلم، ج. 58 - (1851).

² الأحكام السلطانية، للماوردي، (ص: 13).

³ سنن الترمذي، ت. بشار، ج. 3786.



اللَّهُ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنْ سُنُوْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا¹؛ ومنها التمسك بعترته وآل بيته، بتقديمهم وإجلالهم وتقديرهم حق قدرهم، والتعلق بحبهم، والاهتداء بهديهم وسيرتهم، المستمدة من هدي وسيرة جدتهم المصطفى صلى الله عليه وسلم، الذي قال الله تعالى في حقه: ﴿وَمَا آتَايَكُمْ الرَّسُولُ فَاخْذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا²﴾. ومن ثم كان لأصالة وتميز احتفال المغاربة بذكرى عيد العرش المجيد، مغزاه ومرماه ومعناه، ومقاصده التي لا تخفى، على أولي الأحلام والنهى، فهو احتفال يجمع بين المؤصل الديني والحضاري، والمقوم الوطني والعمراني، وعلى من أراد المزيد، فعليه بتقليب صفحات تاريخ المغرب المجيد، الزاخر بعطاءه الوافر في هذا الباب، الممتد عبر القرون، ويكون أول ما يطالعه ويشد انتباهه، خصوصية تلك العلاقة التي تربط بين الراعي والرعية، والقمة والقاعدة، والملك والشعب، ومدى تجذر تلك العلاقة وتلاحمها التلقائي؛ فلا تكاد تمر مناسبة دينية أو وطنية، إلا وتزيد من ذلك التواد والتلاحم، وتجلي متانة ذلك الترابط، وتني أثره الحميد، وتقوي رصيده التليد، الذي يشكل الأصالة والخصوصية، ويمثل سر التواصل والاستمرارية. إن مناسبة عيد العرش المجيد، تكتسي في هذا البلد السعيد، رمزية خاصة؛ لا تزيدها الأيام والسنون إلا أصالة ورسوخا، وسؤددا وشموخا، ولا أدل على ذلك من امتداد إشعاع إمارة المؤمنين في الأفق الإفريقي، امتدادا منقطع النظير، تتجلى فيها مراسيم البيعة الشرعية، المجسدة للعهد المتواصل بين الراعي والرعية، ومبرزة مظاهر الإمامة العظمى، في تدبير أمر الدنيا والدين، والسهر على وحدة البلاد وسلامة المواطنين.

إن أصالة المغاربة واعتزازهم بثوابتهم وتميزهم بها، يجعلهم يتطلعون بشوق إلى ذكرى عيد العرش المجيد، ليحتفلوا بها غاية الاحتفال، وينتهزوا فرصتها؛ ليعبروا من خلالها عن عميق مشاعرهم وأحاسيسهم الدينية والوطنية والاجتماعية، وولائهم وإخلاصهم للدوحة العلوية الشريفة، ترسيخا لما أصله الأجداد،

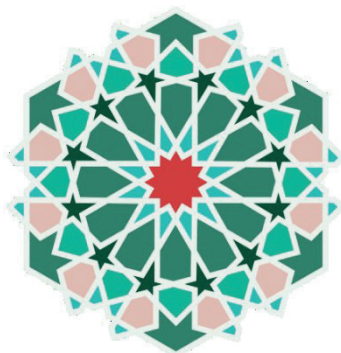
¹ سورة الفتح، الآية: 10.

² سورة الحشر، الآية: 7.



وتلاهم عليه الأحفاد، عن جدارة واقتناع، وصار الأمر إلى ظاهرة سياسية مغربية فريدة في النوع، عريقة في المجد، نسيج وحدها في التلاحم والتآزر، والتمازج بين الراعي والرعية، مع المحافظة على جليل المراسيم، الضاربة بأصلاتها في أعماق التاريخ الديني والاجتماعي والسياسي المغربي، شديدة الالتصاق بالكيان والوجدان؛ دالة على أن الاحتفال بهذه الذكرى، ما هو إلا تعبير عن المشروع التي تنعم بها إمارة المومنين في هذه البلاد، وتؤكد على سلامة الاختيار، ورسوخ قدم الإسلام في هذه الديار، في ضوء الشروط اللازمة لتزكية ذلك التعاقد المأمور به شرعا، المعمول به فعلا، المستساغ عقلا وعرفا.

صان الله تعالى بمنه وكرمه بلدنا المغرب، وجعله آمنا مطمئنا، رخاء سحاء، ووقاه كيد الكائدين، وشر الحاسدين، وأبقاه دوما جادا في سعيه الخيث نحو النماء والازدهار، والأمن والسلم والاستقرار، وبارك في عمر قائده الهمام صاحب الجلالة الملك محمد السادس، أعز الله أمره، وجعله قرير العين بسمو ولي عهده المحبوب مولاي الحسن، وشد أزره وقوى عضده بصنوه السعيد المولى رشيد، وكافة أسرته الملكية الشريفة إنه سميع مجيب.





نظام البيعة في المغرب: وفاء والتزام

ذ. عبد القادر بطار

أستاذ التعليم العالي بجامعة محمد الأول- وجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

تحتفل الأمة المغربية كل سنة بذكرى عيد العرش المجيد، وهي مناسبة عظيمة تستحضر فيها بكل فخر واعتزاز، تلك العلاقة المتينة بين العرش والشعب، القائمة على الإخلاص والوفاء لإمارة المؤمنين، في هذا البلد الأمين.

لقد اتخذ جلالة المغفور له الملك محمد الخامس، طيب الله ثراه، يوم 18 نونبر 1927م الذي يصادف يوم جلوسه على عرش أسلافه الأكرمين عيداً وطنياً متجدداً على الدوام.

وقد بلغ هذا العيد السعيد مع جلالة المغفور له مولانا الحسن الثاني، طيب الله ثراه، أسمى الغايات، وأعلى المراتب، بما تحقق فيه للأمة المغربية من عظيم المنجزات، في مختلف المجالات.

ويتجدد العهد مع وارث سرهما مولانا أمير المؤمنين، سبط النبي الأمين، جلالة الملك محمد السادس، أعز الله أمره، الذي اجتمع في جلالته الشريفة ما تفرق في غيره من المفاخر والمآثر، أبهرت العقول، وألحقت الفروع بالأصول.

يُعدُّ الاحتفال بذكرى عيد العرش المجيد من بركات إمارة المؤمنين، منذ قيامها ببلاد المغرب مع المولى إدريس الأكبر-رضي الله عنه- الذي أسس أول دولة إسلامية مغربية مستقلة عن المشرق سنة (172هـ) إلى يوم الناس هذا مع الملوك العلويين الأشراف، أدام الله عزهم وعلاهم.

تتركز إمارة المؤمنين في المغرب، باعتبارها نيابة عن الشارع في حفظ الدين، وسياسة أمور الدنيا على نظام البيعة بمضمونها الشرعي.



وقد تجدد نظام البيعة مع ملوك وسلاطين الدولة العلوية الشريفة الذين أقاموا أشرف دولة حديثة، قوامها: العدالة الاجتماعية، يتمتع فيها جميع المواطنين بالأمن والحرية والكرامة والمساواة. يمتاز نظام البيعة في المغرب بكونه نظاماً محكماً متجدداً على الدوام، قائماً على أسس شرعية متينة "التي لا ينقض لها غزل، ولا تنفصم لها عرى، ولا ينكث لها عهد". كما يقول مؤرخ الدولة العلوية الشريف مولاي عبد الرحمن بن زيدان -رحمه الله-¹

كما أن بيعات أهل المغرب لملوكهم وسلاطينهم الأشراف: "هي مبايعة بلغت أسمى الغايات، وأوفى المقاصد، فلا يمكن في حال من الأحوال أن يتطرق إليها وهن، أو ينكث لها موثق، حيث إنها قائمة على أسس متينة، وصرح مكين، لا أحسب إلا أن مغربنا تفرد به وحده قبل أن يتفطن إليه سواه..."² من خصائص بيعات أهل المغرب لملوكهم وسلاطينهم أيضاً أنها تحرر "في أسلوب مسجع، كأنه باليوافيت والزمرد مرصع، وتذيل بتوقيعات مختلف الطبقات التي تباع ملكها الجديد للاضطلاع بأعباء الرعية، والحرص على صيانة الشريعة الإسلامية، والإخلاص لله سراً وعلانية".³

حقيقة البيعة:

كلمة البيعة ترادف كلمة العهد، أي أن المبايع كأئمة يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكروه.⁴ والبيعة اسم مصدر من "باع فلان الخليفة مبايعة، ومعناها: المعاهدة والمعاهدة، وهي مشبهة بالبيع الحقيقي".⁵

ولفظ البيعة مأخوذ من البيع، على سبيل الاستعارة، وذلك "أن المبايع للإمام يلتزم أن يقيه بنفسه وماله، فكأنه قد بذل نفسه وماله لله تعالى، وقد وعد الله على ذلك بالجنة، فكأنه قد حصلت له المعاوضة،

¹ - العز والصولة في معالم نظم الدولة، لعبد الرحمن بن زيدان، ج1، ص: 8. المطبعة الملكية- الرباط، 1382هـ-1962م.

² - نفس المصدر، ج1، ص: 8.

³ - نفس المصدر، ج1، ص: 9.

⁴ - مقدمة ابن خلدون، ج2، ص: 589.

⁵ - العز والصولة في معالم نظم الدولة، ج1، ص: 28.



فصدق على ذلك اسم البيع والمبايعة والبراء، كما قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾. إلى أن قال: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 112]. وعلى نحو من هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لصهيب: «رج البيع أبا يحيى». وكانت قريش تبعته لترده عن هجرته فبذل لهم ماله في تخليص نفسه ابتغاء ثواب الله تعالى، فسماه النبي صلى الله عليه وسلم بيعاً.¹

وقد ورد مصطلح البيعة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَا الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنْ يَسْتَوْثِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 10].

وقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي فُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 18]. كما وردت البيعة في السنة النبوية حيث عقد الرسول صلى الله عليه وسلم بيعات فردى كما عقد بيعتين جماعيتين هما:

أ- بيعة العقبة الأولى: وقد وقعت حين كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل.
ب- بيعة العقبة الثانية: وقد كانت هذه البيعة تمهيدا للهجرة، وتوثيقا لموقف الأنصار من الرسول صلى الله عليه وسلم، واطمئنانا على صفاء الجو في المدينة المنورة.²

إذن، عقد البيعة في الإسلام سبب لحصول الإمامة، كما يقول أئمة المذهب الأشعري.³ ودليلهم على ذلك صحة إمامة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- الذي لم تتعقد له الإمامة إلا بالبيعة.⁴

¹ - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للإمام أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، ج4، ص: 44. حققه وعلق عليه وقدم له محي الدين ديب وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة السابعة، 1438هـ/2017م.

² - نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، الكتاب الأول الحياة الدستورية، تأليف ظافر القاسمي، ج1، ص: 254، دار النفائس، بيروت، الطبعة الخامسة 1405هـ/1985م.

³ - كتاب الأربعين في أصول الدين، للإمام نجر الدين الرازي، ج2، ص: 269، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

⁴ - المصدر نفسه.



وقد أجمع العلماء على وجوب البيعة، لقوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».¹

يقول الإمام أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت 656هـ) بعدما أورد حديث وجوب البيعة السابق: "غير أنه من كان من أهل الحل والعقد والشهرة، فبيعته بالقول والمباشرة باليد، إن كان حاضراً، أو بالقول والإشهاد عليه، إن كان غائبا، ويكفي من لا يؤبه له ولا يعرف أن يعتقد دخوله تحت طاعة الإمام، ويسمع ويطيع له في السر والعلن، ولا يعتقد خلافاً لذلك، فإن أضمره فمات، مات ميتة جاهلية، لأنه لم يجعل في عنقه بيعة".²

عقد البيعة: وفاء والتزام

يتضمن عقد البيعة في النظام المغربي التنصيب على وجوب الطاعة والامتثال لأمر المؤمنين في الظاهر والباطن، وفي السر والعلن، وهذا يقتضي أن تضطلع إمارة المؤمنين "بأعباء الرعية، والحرص على صيانة الشريعة الإسلامية، والإخلاص لله في السر والعلانية".³

فإذا كان مقصود الشارع من التكليف الشرعية، وما شرعه من حدود وعقود وأحكام... هو تحقيق المصالح للخلق، فإن ذلك لا يتم دون إمام مطاع، وخليفة متبع، يجمع الأمة على كلمة سواء.⁴ وبالنظر إلى أهمية هذا المنصب العظيم، منصب إمارة المؤمنين، في إقامة أمور الدين وسياسة شؤون الدنيا، والسهرة على مصالح الأمة في حفظ بيضتهم وحراسة حوزتهم وتوحيد كلمتهم، فقد أوجب الشرع الحكيم السمع والطاعة لأئمة المسلمين من ولاية أمورهم، ومن الأدلة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَوْلِيَّ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 58]
وقوله تعالى: ﴿وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن: 16] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ

¹ - صحيح مسلم برقم 1851.

² - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ج 5، ص: 44.

³ - العز والصولة في معالم نظم الدولة، الجزء الأول الصفحة: 9 المطبعة الملكية - الرباط 1382هـ-1962م.

⁴ - غاية المرام في علم الكلام: تأليف سيف الدين الآمدي، ص: 309. أباكار الأفكار في أصول الدين له أيضا، ج 5، ص: 123.



أَدَاغُوا بِهِءَ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا فُلِيًّا ﴿٨٢﴾ [النساء : 82].

وقد حثَّ الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام على وجوب الطاعة والسمع لولي الأمر، فقد جاء في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِيعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي...»¹.
وقوله صلى الله عليه وسلم في وجوب طاعة من ولي الأمر أيضا: "عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَآثَرَةٍ عَلَيْكَ".²

يقول الإمام أبو العباس القرطبي في بيان معنى حدود الطاعة الواجبة لإمارة المؤمنين: "ووجهه: أن أمير رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هو منفذ أمره، ولا يتصرف إلا بأمره، فمن أطاعه فقد أطاع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى هذا: فكل من أطاع أمير رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الرسول، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله، فينتج: أن من أطاع أمير رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله. وهو حق صحيح. وليس هذا الأمر خاصا بمن باشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بتولية الإمارة، بل هو عام في كل أمير للمسلمين عدل، ويلزم منه نقيض ذلك في المخالفة والمعصية".³
ويقول العلامة المغربي أبو الحجاج يوسف بن موسى الضرير (ت520هـ) في أرجوزته الصغرى في الاعتقاد:

وَأَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ الْأُمَّةِ * بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْأُتَمَّةِ

فَوَاجِبُ نَصْبِ إِمَامٍ عَادِلٍ * مُسْتَكْمَلِ الْأَوْصَافِ شَهْمٍ فَاضِلٍ

¹ - البخاري: 2957، ومسلم: 8135.

² - مسلم: 8136.

³ - المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج4، ص: 36.



يقوم بالحدود والجهاد * وحسم أهل البغي والفساد

وقسمة الأموال والتدبير * لكل ما عرّ من الأمور¹

وإذا كان الإجماع حقا، وما تجتمع عليه الأمة لا يكون إلاّ حقا مقطوعا به على الحقيقة قولا كان أو فعلا، فإن الأمة قد أجمعت منذ الصدر الأول إلى زماننا هذا على ضرورة نصب إمام يسهر على شؤون الأمة الدينية والدنيوية. لكون نظام الدين لا يحصل إلا بنظام الدنيا، ونظام الدنيا لا يحصل إلا بإمام مطاع كما يقول الإمام الغزالي.²

ويقول الإمام ابن أبي زيد القيرواني مبينا ما يجب على المكلف في حق ولاية الأمر: "والطاعة لأئمة المسلمين من ولاية أمورهم وعلماهم..."³

وهذا الوجوب الشرعي من لوازم الإمامة العظمى باعتبارها "رياسة عامة في أمور الدنيا والدين، خلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم".⁴

وهي أيضا: "رياسة تامة، وزعامة عامة، تتعلق بالخاصة والعامة، في مهمات الدين، مهمتها حفظ الحوزة، ورعاية الرعية..."⁵

¹ - المنظومة الصغرى في الاعتقاد، مخطوط المكتبة الوطنية - الرباط.

² - الاقتصاد في الاعتقاد، ص: 148.

³ - متن الرسالة، باب ما تنطق به الألسنة وتعتقد الأفئدة من واجب أمور الديانات، ص: 10، مطبعة دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء-المغرب- الطبعة الأولى، سنة 2006م.

⁴ - الأجوبة الحسان في الخليفة والسلطان، أو رسالة في الإمامة العظمى، تأليف أبي السعود عبد القادر بن علي يوسف القصري الفاسي الفهري، ص: 141، دراسة وتحقيق ذ. المهدي المصباحي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المملكة المغربية، 1435هـ/2014م.

⁵ - الغياثي، غياث الأمم في التياث الظلم، للإمام الجويني، ص: 217.



فهذه النصوص تؤكد بجلاء وجوب طاعة أولي الأمر في أمور الدين والدنيا، وهذا المعتقد هو اعتقاد أهل السنة والجماعة قاطبة، وهو مبدأ إسلامي راسخ، كما تضافرت على ذلك النصوص الشرعية، من الكتاب والسنة والإجماع. وهذا الوجوب الشرعي هو الذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة قاطبة، كما ينقل الإمام أبو الحسن الأشعري في مقالاته.¹

وصفوة الكلام، أن هناك تلازماً وانسجاماً متجدداً ومستمراً على الدوام بين نظام البيعة وإمارة المؤمنين في تاريخ المغرب، نتج عنهما قيام أشرف دولة حديثة، يتمتع فيها الجميع بالأمن والحرية والكرامة والمساواة، مع ضمان حرية ممارسة الشعائر الدينية. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

¹ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، للإمام أبي الحسن الأشعري، ص: 295، عني بتصحيحه هلبوت ريتو.



المصادر والمراجع

1. إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكّاس، تأليف مؤرخ الدولة العلوية الشريفة مولاي عبد الرحمن بن زيدان، المطبعة الوطنية-فاس، الطبعة الأولى: 1349هـ/1931م.
2. الأجوبة الحسان في الخليفة والسلطان، أو رسالة في الإمامة العظمى، تأليف أبي السعود عبد القادر بن علي يوسف القصري الفاسي الفهري، دراسة وتحقيق ذ. المهدي المصباحي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المملكة المغربية، 1435هـ/2014م.
3. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تأليف أبي العباس شهاب الدين أحمد بن خالد بن حماد الناصري الدرعي السلاوي، (ت 1315هـ) اعتنى به محمد عثمان، طبعة دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الثانية 2010م.
4. الإعلام بمن حلّ بمراكش وأغمات من الأعلام، تأليف العباس بن إبراهيم، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، مؤرخ المملكة المغربية، المطبعة الملكية -الرباط 1403هـ/1983م.
5. بدائع السلك في طبائع الملك، لأبي عبد الله ابن الأزرقي (ت 896هـ). تحقيق وتعليق الدكتور علي سامي النشار، دار السلام مصر، الطبعة الأولى 1429هـ/2008م.
6. تاريخ الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة العلوية السعيدة من نشأتها إلى أواخر عهد مولاي سليمان، تأليف المؤرخ محمد بن عبد السلام بن أحمد بن محمد الرباطين الملقب بالضعيف، دراسة وتحقيق ذ. محمد البوزيدي الشيعي، دار الثقافة- الدار البيضاء، الطبعة الثانية 1428هـ/2007م.
7. حسن المقالة في تطهير النفس مما يشين الحج ويسلب كماله، تأليف السلطان المولى سليمان العلوي، دراسة وتحقيق نور الدين لرجي، تقديم فضيلة الدكتور أحمد شوقي بنين، منشورات مركز روافد، الطبعة الأولى: 1444هـ/2023م.
8. الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، تأليف محمد بن محمد مصطفى المشرفي، دراسة وتحقيق ذ. إدريس بوهليلة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المملكة المغربية، 1440هـ/2018م.



9. دروس التاريخ المغربي، تأليف عبد الله بن العباس الجراري الرباطي، الجزء الخامس، في ملخص دولتنا العلوية المنيفة، المطبعة المحمدية-الرباط، الطبعة الثالثة 1960م.
10. العز والصولة في معالم نظم الدولة، لمؤرخ الدولة العلوية الشريفة، مولاي عبد الرحمن بن زيدان، المطبعة الملكية-الرباط 1381هـ-1962م.
11. العقيدة والسلوك، تأليف الدكتور عبد القادر بطار، منشورات معهد محمد السادس لتكوين الأئمة المرشدين والمرشدات-الرباط، الطبعة الأولى 1444هـ/2023م.
12. الغياثي، غياث الأمم في التياث الظلم، تأليف إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني، (ت478هـ) حققه ووضع فهارسه أ.د. عبد العظيم محمود الديب، دار المنهاج، لبنان-بيروت.
13. في تاريخ المغرب، تأليف الأستاذ أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة-الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1440هـ/2019م.
14. المفاخر العلية والدرر السنية في الدولة الحسنية العلوية، تأليف عبد السلام بن أحمد اللجائي العمراني، دراسة وتحقيق ذ. محمد الدريدي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المملكة المغربية، 1439هـ-2018م.
15. مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان، تأليف السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي، قابله وصححه على النسخة الأصلية ذ. أحمد العلوي عبد اللوي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1417هـ/1996م.
16. مقدمة ابن خلدون، تأليف عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر، يناير 2004م.
17. المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، تأليف أبي عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت487هـ) تحرير وتقديم وتحقيق أ.د. حماد الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: 1434هـ/2013م.
18. المعجزة المغربية، تأليف أحمد عسه، دار القلم، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: 1974م.



19. محاضرات في المذهب الأشعري، تأليف الدكتور عبد القادر بطار، طبعة دار الأمان-الرباط، الطبعة الثانية 2019م.
20. وصايا دينية من ملوك الدولة العلوية إلى الأمة المغربية، قام بنشرها عبد العزيز القباج، عضو اللجنة الرباطية للاحتفال بعيد العرش، المطبعة الوطنية -الرباط بتاريخ: 1335هـ/1934م.
21. نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، الكتاب الأول الحياة الدستورية، تأليف ظافر القاسمي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الخامسة: 1405هـ/1985م.



البيعة الشرعية ميثاق مستمر بين علماء وشيوخ الصحراء المغربية

وملوك الدولة العلوية الشريفة خلال العصر الحديث

ذ. ياسين بن روان

عضو المجلس العلمي المحلي بالعيون

الحمد لله رب العالمين، خالق الإنسان من طين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد ابن عبد الله، النبي الهاشمي، وعلى آل بيته الأطهار، وصحبه الأبرار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

أما بعد، فإمارة المؤمنين دلت عليها الشريعة الإسلامية، وأجمعت الأمة على وجوبها، لما في ذلك من مقاصد عظيمة وغايات نبيلة، تتجلى أساسا في جلب المصالح ودفع المفاسد، وحفظ الضروريات، وترسيخ الحاجيات والتحسينيات، وقد أشار الإمام الماوردي (ت450هـ) إلى انعقاد الإجماع على وجوبها بقوله: "وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع، وإن شذ عنهم الأصم"¹، لأن إمارة المؤمنين "هي رئاسة تامة، وزعامة عامة، تتعلق بالخاصة والعامة، في مهمات الدين والدنيا، مهمتها: حفظ الحوزة، ورعاية الرعية، وإقامة الدعوة... والانتصاف للمظلومين من الظالمين، واستيفاء الحقوق من الممتنعين وإيفائها على المستحقين"².

¹ - الأحكام السلطانية والولايات الدينية، لأبي الحسين الماوردي، دراسة وتحقيق محمد جاسم الحديثي، بغداد: مطبعة المجمع العلمي، 2001م، ص:5.

² - غياث الأمم في التياث الظلم، الجويني، تحقيق الدكتور عبد العظيم الديب، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، طبعة، 1401هـ، ص: 22.



وقد عرفت المملكة المغربية الشريفة نظام إمارة المؤمنين منذ تأسيس دولة الأدراسة وما يزال مستمرا إلى الآن في عهد مولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، وقد كان تنصيب أمير المؤمنين بالمملكة المغربية الشريفة عن طريق البيعة الشرعية المكتوبة¹ باعتبارها ميثاقا مستمرا بين الأمة المغربية وأمير المؤمنين، يلتزم على أساسها أمير المؤمنين بحراسة الدين وسياسة الدنيا، وتلتزم الأمة بمقتضيات البيعة، المتجلية في السمع والطاعة ولزوم الجماعة والنصرة والدعاء، واستمر ميثاق البيعة الشرعية في عهد الدولة العلوية الشريفة منذ تأسيسها على يد مولاي علي الشريف الحسني إلى الآن.

وقد اجتمع أهل المغرب على مبايعة مولاي علي الشريف (ت1069هـ) لكونه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولورعه وعلمه وتقواه، وهي الموصفات التي حددها علماء السياسة الشرعية في أمير المؤمنين، ومع تقلد المولى إسماعيل (ت1139هـ) الحكم بالمغرب بدأت مقومات الدولة الحديثة تظهر في جميع المجالات، خصوصا بعد زواجه من العالمة الصحراوية خاتمة بنت بكار المغربية (ت1159هـ) بعد أن قدمت له القبائل المغربية الصحراوية البيعة²، وخلال القرن الثامن عشر الميلادي الثالث عشر الهجري تولى الحكم السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي (ت1204هـ) الذي امتدت دولته لتصل إلى تنبكت، وعلى نفس النهج استمر المولى سليمان (ت1238هـ)، ومع تولي السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام العلوي (ت1276هـ) حافظت القبائل الصحراوية المغربية على عقد البيعة، واستمر الوفاء الصحراوي للعرش العلوي المجيد مع السلطان محمد الرابع (ت1290هـ)، ومولاي الحسن الأول (ت1311هـ)، ومولاي عبد العزيز (ت1322هـ) ومولاي عبد الحفيظ

¹ - من خصائص البيعة في المغرب أنها تكون مكتوبة، يشهد بها عدول الأمة وقضاها على المبايعين بالسمع والطاعة للإمام والتزامه بأداء وظائف الإمامة كاملة غير منقوصة، وينتقى لإنشائها أبرع الكتاب، ويدعى لكتبتها أحسن الخطاطين، ينظر: البيعة في الإسلام وخصوصيات بيعة أهل المغرب لأئمتهم، محمد يسف، الأمين العام للمجلس العلمي الأعلى، موقع مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة، نشر بتاريخ: الأحد 19 مايو 2019م.

² - ينظر: مقال أميرات مغربيات حافظن على العرش المغربي، مجلة دعوة الحق، العدد: 96.



(ت1357هـ)، ومولاي يوسف (ت1346هـ)، رغم محاولة المستعمر الأجنبي التفريق بين الملك والشعب لاسيما في فترة جلالة الملك محمد الخامس، طيب الله ثراه.

ولما استقل المغرب سنة 1956م انعقد بالصحراء المغربية مؤتمر أم الشكاك جمع أعيان وشيوخ وعلماء الصحراء المغربية فرحا بهذا النصر وتجديدا للبيعة الشرعية لجلالة الملك محمد الخامس، رحمه الله.

وخلال هذه القرون الثلاثة الماضية (ق12، 13، 14هـ) كانت ظهائر التعيين والتوقيع ورسائل البيعة مطردة لا تنقطع بين السلاطين العلويين وعلماء وشيوخ الصحراء المغربية في كل مناسبة دينية ووطنية مما يدل على السيادة المغربية على الصحراء منذ تأسيس الدولة العلوية الشريفة إلى الآن في فترة مولانا أمير المؤمنين جلالته الملك محمد السادس، نصره الله.¹

وانطلاقا من هذا السياق التاريخي، فإني سأركز في هذا المقال على البيعة الشرعية لشيوخ وعلماء الصحراء المغربية للملك الدولة العلوية الشريفة خلال العصر الحديث، والذي يمتد من فترة جلالة الملك محمد الخامس، طيب الله ثراه، إلى فترة مولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله وأطال في عمره، وذلك من خلال المحاور الآتية:

(1) بيعة شيوخ وعلماء الصحراء المغربية لجلالة الملك محمد الخامس

حافظ شيوخ وعلماء الصحراء المغربية على البيعة الشرعية لجلالة الملك محمد الخامس منذ أن تولى العرش العلوي المجيد خلفا لأبيه السلطان مولاي يوسف وحافظت هذه البيعات على نفس الخصائص والسمات، والمتجلية في تعظيم مقام إمارة المؤمنين، والاستهلال بآيات البيعة والطاعة، والأحاديث النبوية الدالة على ضرورة تنصيب الحاكم ومبايعته، ثم بعد ذلك تقديم البيعة سيرا على نهج الأجداد مع السلاطين العلويين، وتعتبر بيعة 1956م من أبرز البيعات التي قدمها وفد الصحراء المغربية لجلالة الملك محمد الخامس،

¹ - السيادة المغربية في الأقاليم الصحراوية من خلال الوثائق المخزنية، الجزء الأول، محمد بن عزوز حكيم، منشورات مؤسسة بشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، سنة 1881م، ص: 27.



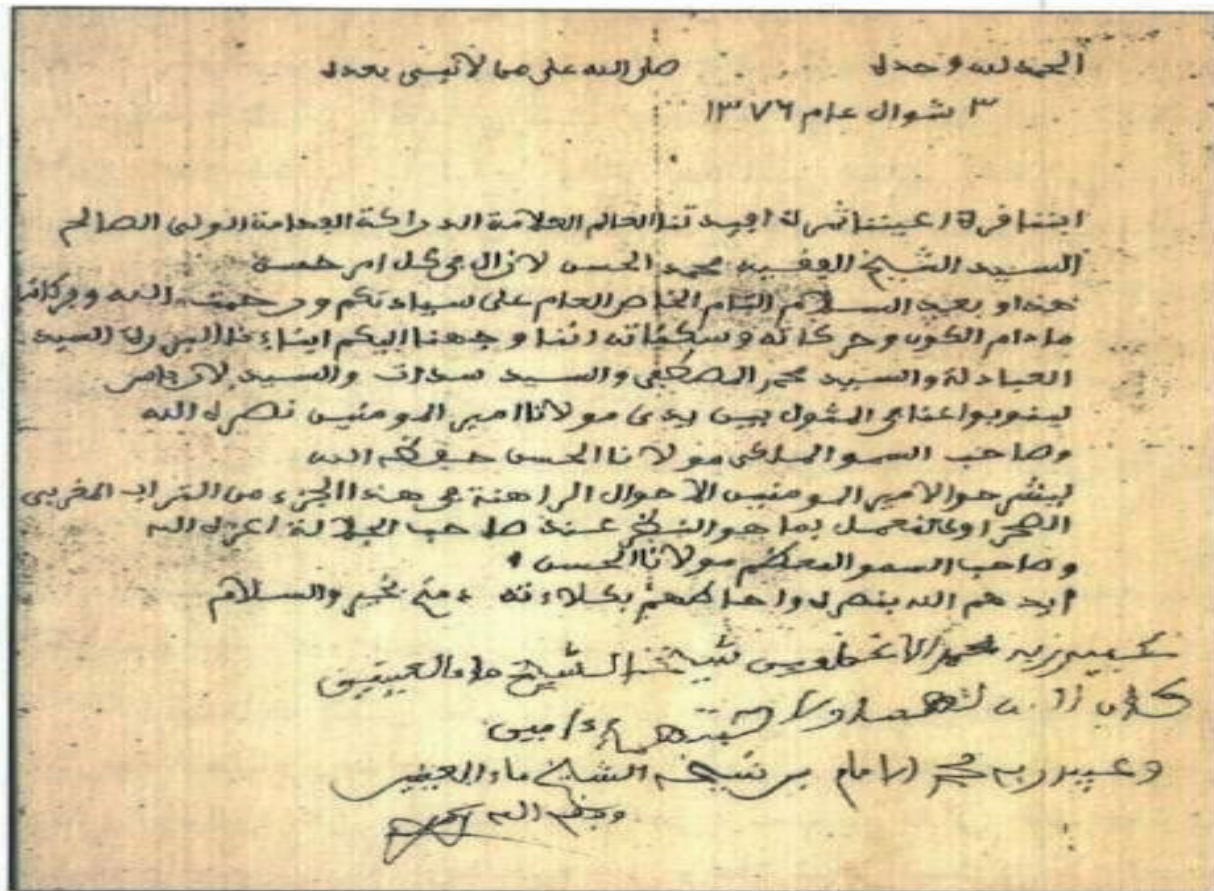
وكانت أحد قرارات مؤتمر أم الشكاك الذي انعقد في منطقة أم الشكاك بين مدينة العيون والسمارة، وخرج بمجموعة من التوصيات، كان من أبرزها رفض الاستعمار الإسباني في الصحراء المغربية، ورفع العلم المغربي بمدن الصحراء، والفرح بقدوم السلطان من المنفى، وإرسال وفد يمثل جميع القبائل الصحراوية من أجل تقديم فروض الطاعة والولاء، وتجديد البيعة لجلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه.¹ وهذا ما أكدته جلالة الملك محمد الخامس، طيب الله ثراه، في خطابه التاريخي في مدينة محاميد الغزلان سنة 1958م، وهو تمسك القبائل الصحراوية المغربية بالبيعة الشرعية اقتداء بآبائهم وأجدادهم الذين بايعوا السلاطين العلويين كبراً عن كبير، يقول في ذلك: "وإن ما يسعدنا أن يستقبلنا في قرية المحاميد التي هي باب صحراء المغرب أبناء الذين استقبلوا جدنا، وأن نستمع إليهم، ومعهم فقهاءهم وأدباؤهم، وهم يؤكدون لنا كما أكد آباؤهم لجدنا تعلقهم بالعرش العلوي واستمسكهم بعروة المغرب الوثقى التي لا انفصام لها، وإننا سنواصل العمل بكل ما في وسعنا لاسترجاع صحرائنا وكل ما هو ثابت لمملكتنا بحكم التاريخ ورغبات السكان."²

ومن بين البيعات المكتوبة لأهل الصحراء المغربية لجلالة الملك محمد الخامس، نجد بيعة الشيخ محمد لغظف بن الشيخ ماء العينين حيث يؤكد فيها على الإخلاص والولاء للعرش العلوي المجيد، ملتزماً بمتنقيات البيعة الشرعية لأمر المؤمنين من سمع وطاعة ودعاء ونصرة من قبائل الصحراء المغربية إبان الاستعمار الإسباني.³

¹ - ينظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة، بحث حول مؤتمر أم الشكاك.

² - الشباب المغربي والحجج التاريخية والقانونية عن مغربية الأقاليم الجنوبية، نور الدين بلحداد، مطبعة دار المناهل، الرباط، الطبعة الأولى، سنة 2019م، ص: 09.

³ - نسخة في حوزتي.

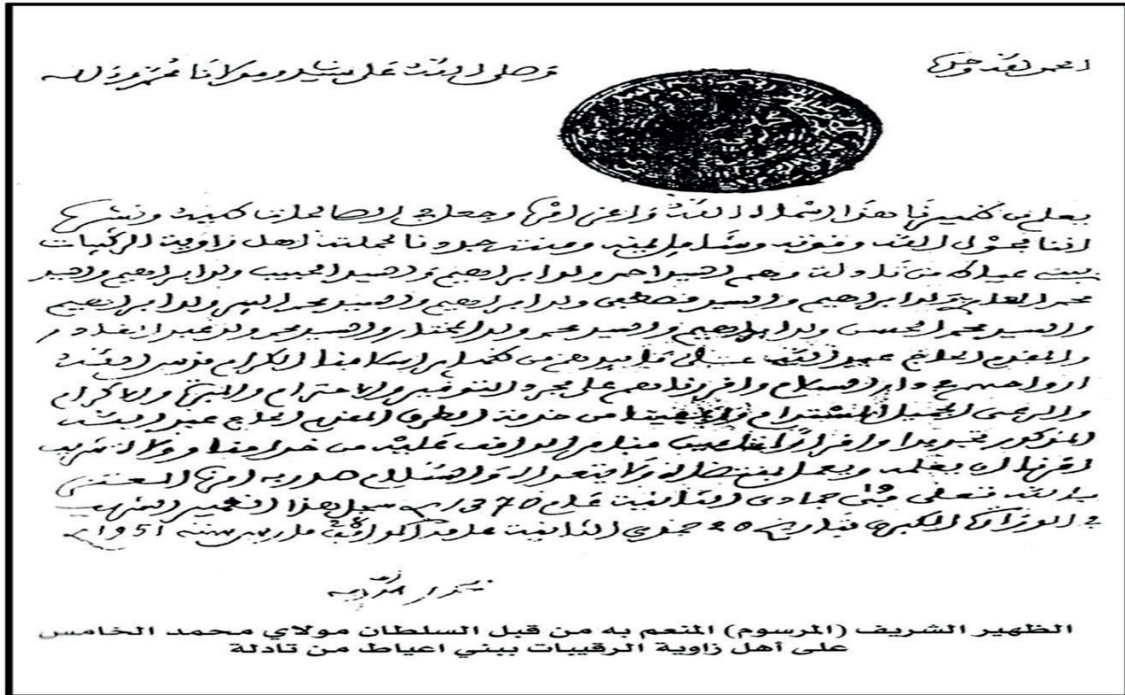


يقول في رسالته لمولاي الحسن بن المهدي: "... وجهنا إليكم أبناءنا البررة السيد العبادلة، والسيد محمد المصطفى، والسيد سيدات، والسيد لارباس، لينوبوا عنا في المثول بين يدي مولانا أمير المؤمنين نصره الله، وصاحب السمو الملكي مولانا الحسن، ليشرحوا لأمر المؤمنين الأحوال الراهنة في هذا الجزء من التراب المغربي الصحراوي، لنعمل بما هو النظر عند صاحب الجلالة أعزه الله، وصاحب السمو الملكي المعظم مولانا الحسن".¹

¹ - هذه الرسالة أرسلها الشيخ محمد لغطف لمولاي الحسن بن المهدي، يجدد فيها بيعته لأمر المؤمنين محمد الخامس، ويخبره فيها بالأوضاع العامة في الصحراء المغربية، وينتظر ما يقرره جلالته الملك ليعمل به، والرسالة صادرة بتاريخ 03 شوال 1372 هجرية.



الصورة أسفله ظهير شريف لأهل الزاوية البصيرية الرقبية الصحراوية ببني عياط¹



(2) بيعة شيوخ وعلماء الصحراء المغربية لجلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه.

بقي أهل الصحراء المغربية أوفياء لموكلهم كلما انتقل ملك إلى جوار ربه سارع شيوخهم وعلماءهم بتقديم واجب العزاء للملك الجديد، وفي نفس الوقت تقديم البيعة الشرعية المكتوبة بشهادة العدول الشهود للملك الجديد التزاما بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ مِنْكُمْ﴾²، وعملا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية»³.

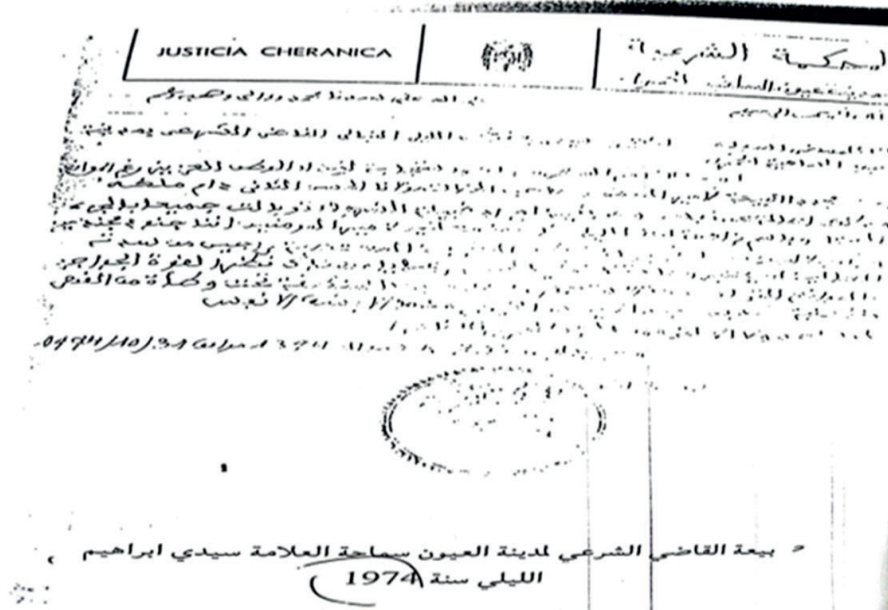
¹ - نسخة من ظهير جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه لشرفاء الرقبيات ببني عياط، أرشيف الزاوية البصيرية ببني عياط إقليم أزيلال مؤرخ سنة 1370 هجرية.

² - سورة النساء، الآية: 58.

³ - أخرجه مسلم في صحيحه.



فالبیعة میثاق مستمر دائم بین أهل الصحراء المغربية وملوك الدولة العلویة الشریفیة، یشیر إلى قیم الوفاء والإخلاص للعرش العلوی المجید، وقد عرفت فترة جلالۃ الملك الحسن الثانی طیب الله ثراه عدة أحداث فی الصحراء المغربیة كانت لها علاقة بالبیعة الشرعیة، من أبرزها حدث المسیرة الخضراء سنة 1975م، واسترجاع واد الذهب سنة 1979م هذان الحدثنان شکلا منعرجا مهما فی استكمال الوحدة الترابیة للمملکة المغربیة الشریفیة بعد تجدید عقد البیعة الشرعیة بین سکانها وجلالۃ الملك الحسن الثانی طیب الله ثراه، ولقد جدد القاضي الشریف سیدي إبراهيم الیلي بیعته لجلالۃ الملك الحسن الثانی طیب الله ثراه سنة 1974م، وکتبها بخط یدیہ، مجددا الولاء والوفاء للعرش العلوی المجید، سیرا على نهج شیوخ وعلماء الصحراء المغربیة.¹



ويعتبر حدث تجدید بیعة الشیخ خطري ولد سعيد الجماني من أبرز الأحداث التي أسهمت فی نجاح المسیرة الخضراء، فالشیخ خطري هو الرجل الأول فی الصحراء المغربیة خلال الستینیات وبداية السبعینیات، وبمجرد أن أصبحت الظروف مواتیة لإعلان تجدید بیعته قام بذلك رحمۃ الله علیه من لاس بالماس، حتی تكون هذه البیعة أكثر موثوقیة کتبها بخط یدیہ، جاء فیها:

¹ بیعة الشیخ القاضي سیدي إبراهيم الیلي بخط یدیہ.



"الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

مولاي صاحب الجلالة الملك المعظم سيدنا الحسن الثاني، أدام الله مجدكم وأيدكم بروح منه وأبقاكم حصناً حصيناً للمغرب ووحدته وعزته وازدهاره، لقد شرفني يا مولاي بخطابكم السامي وأذنتم لشخصي الضعيف للمثول بين يدي جلالتم بمرآكش عاصمة الجنوب بتجديد البيعة وتأكيده العهد التي كانت تربط بين أجدادكم المنعمين وبين خدامهم من آبائنا وأجدادنا إنه لشرف عظيم لما منحتموني إياه وإني لأدعو الله سبحانه وتعالى أن يجعلني أهلاً لهذا الشرف وسأعمل كل ما في وسعي للحضور فوراً إلى القصر العامر بالله وإلى أن تصل ساعة اللقاء فإني أعاهد الله وأشهد على الإخلاص لجلالتكم والتفاني في طاعتكم وأني أضع يدي في يديكم الكريمة لأجدد بيعتي وأؤكد ولائي وطاعتي لأن مبايعتكم مبايعة الله وطاعتك طاعة له، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾¹، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾²، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾³، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنْ يَتْلُوهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾⁴، مولاي إني أباعك وأعاهدك كما بايع أجدادي أجدادك المنعمين وإني أدعو الله سبحانه وتعالى أن يجعله عهداً مستمراً إلى يوم الدين.

حفظ الله جلالتك بما حفظ به الذكر الحكيم وأيدك بالسبع المثاني والقرآن العظيم، وحفظ ولي عهدك الأمير الأسعد سيدي محمد وأخاه الأمين السعيد المحبوب مولاي رشيد، وحفظ الأسرة الشريفة كلها وحقق على يديك ما تصبو إليه من وحدة وعزة وازدهار، وجمع بك وعلى يديك كلمة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، والله على ما أقول وكيل وكفى بالله شهيداً وكفى بالله وكلاً ونصيراً، والسلام

¹ - سورة الفتح، الآية: 10.

² - سورة النساء، الآية: 58.

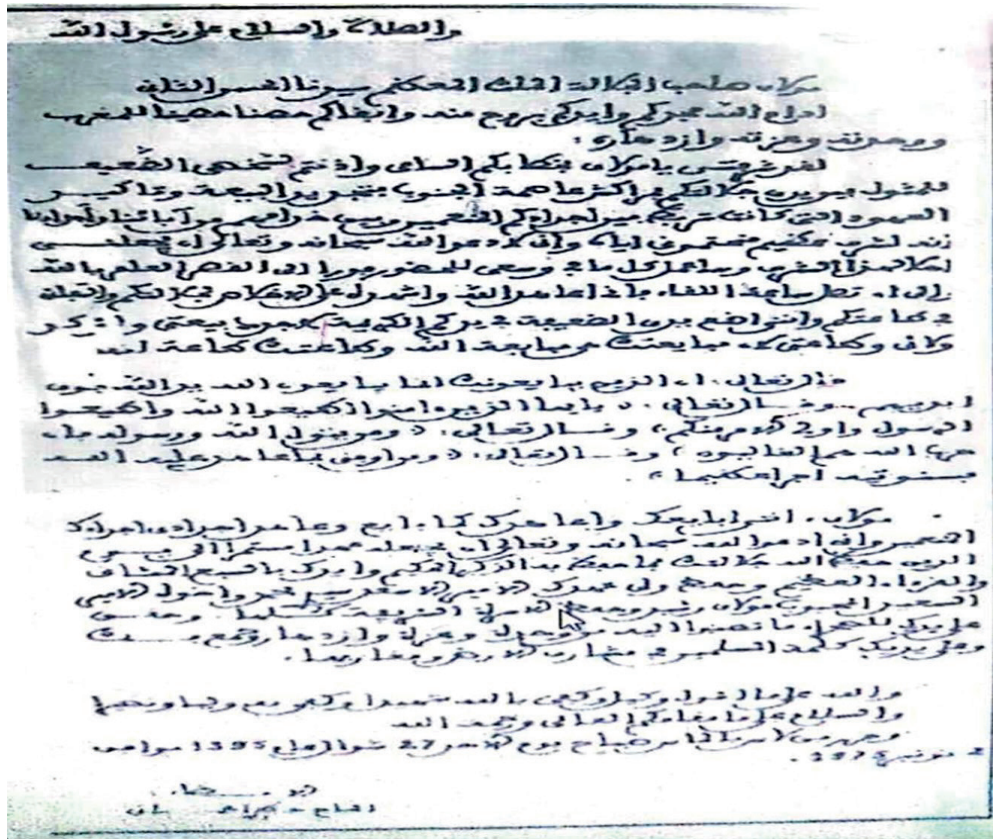
³ - سورة المائدة، الآية: 58.

⁴ - سورة الفتح، الآية: 10.



على مقامكم العالي ورحمة الله، حرر في لاس بالماس، يوم الأحد 27 شوال عام 1395هـ، موافق 02 نوفمبر 1975م، الإمام الحاج خطري الجماني¹

نسخة مخطوطة من تجديد بيعة الشيخ خطري الجماني:

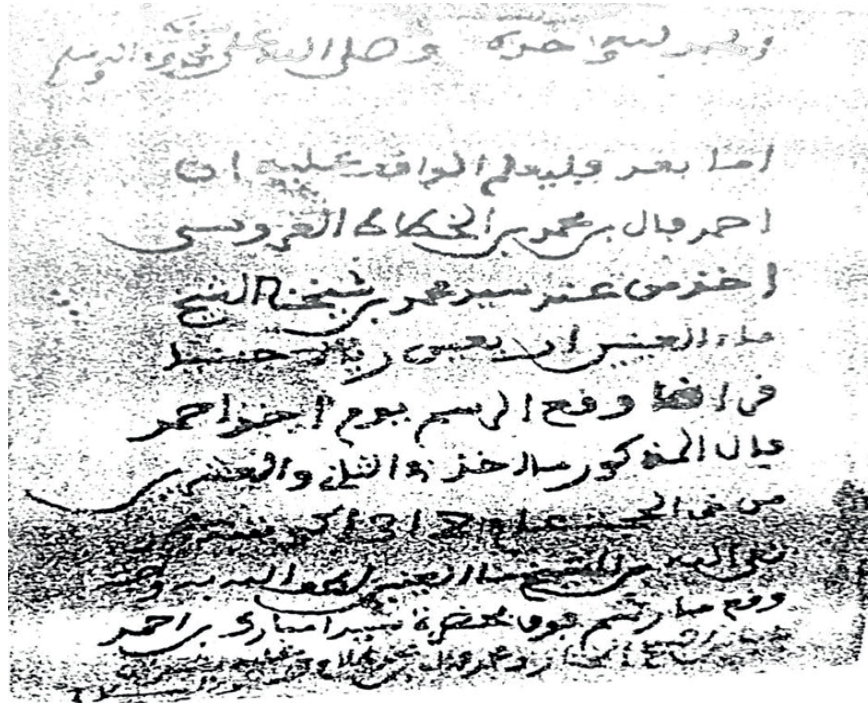


وبعد استرجاع منطقة الساقية الحمراء من المستعمر الإسباني سنة 1975م بطريقة سلمية أبهرت العالم بواسطة المسيرة الخضراء بقيادة مبدعها جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، خصوصا وأن محكمة العدل الدولية أصدرت قرارا تاريخيا يقضي بأن الصحراء لم تكن أرض خلاء، وأن المملكة المغربية الشريفة كانت تجمعها بالصحراء المغربية منذ تأسيس الدولة العلوية الشريفة روابط قانونية وشرعية وتاريخية مع أهلها الذين يحتفظون بظواهر التعيين والتوقيع الموقعة من قبل السلاطين العلويين، وتمثل الوثيقة النفيسة أسفله نموذجا من هذه الروابط، وأصلها عقد قرض مؤرخ يوم 22 ذي الحجة 1318 هجرية بين أحمد فال

¹ - بيعة الشيخ خطري ولد سعيد الجماني لجلالة الملك الحسن الثاني، نسخة مخطوطة بحوزتي.



ابن محمد الخطاط العروسي وسيد محمد بن الشيخ ماء العينين، حيث إن أحمد فال اقترض من عند سيد أحمد مبلغ أربعين ريالاً حسناً قرضاً، وتم توثيق هذه المعاملة المندرجة ضمن العقود التبرعية، ومما جاء في العقد: "الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، أما بعد، فليعلم الواقف عليه، أن أحمد فال ابن محمد الخطاط العروسي أخذ من عند سيد أحمد بن شيخنا الشيخ ماء العينين أربعين ريالاً حسناً قرضاً، دفع الرسم يوم الأحد، أحمد فال المذكور، ما أخذ في الثاني والعشرين من ذي الحجة عام 1318 هجرية".¹



واستكمل المغرب وحدته الترابية باسترجاع منطقة واد الذهب سنة 1979م، وتجديد علمائها وشيوخها نيابة عن جميع سكان واد الذهب البيعة الشرعية لمولانا أمير المؤمنين الحسن الثاني طيب الله ثراه، وكانت هذه البيعة بخط قاضي واد الذهب الشيخ أحمد حبيب الله بن أبوه.²

¹ - عقد القرض المخطوط، نسخة حصلت عليها من مديرية الوثائق الملكية بالرباط، تحت رقم: 145، وعليها ملاحظات في الأسفل بخط اليد مكتوب عليها: "وثيقة ثبت التعامل بالريال الحسني في الصحراء المغربية قبل دخول الاستعمار الإسباني والفرنسي مؤرخة ب 22 من ذي الحجة 1318 هجرية".

² - نسخة في حوزتي



(3) بيعة شيوخ وعلماء الصحراء المغربية لأمر المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله

لما تولى مولانا أمير المؤمنين محمد السادس نصره الله وأيده الحكم بعد وفاة والده جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه سنة 1999م، انعقدت له البيعة الشرعية بالقصر الملكي العامر بالرباط مكتوبة سيرا على العادات والتقاليد التي تعرفها المملكة المغربية الشريفة، ليتوافد جميع ممثلي مكونات الأمة المغربية لتقديم فروض الطاعة والولاء لمولانا أمير المؤمنين محمد السادس نصره الله، بما فيهم شيوخ وعلماء الصحراء المغربية.

واستقبل أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده، يوم الأربعاء 20 جمادى الأولى 1420هـ/ الموافق 1 شتنبر 1999م، ممثلي قبائل الصحراء المغربية الذين جاؤوا لتجديد البيعة لجلالته، والتعبير عن تعلقهم بشخصه الكريم والتفافهم حول عرشه العلوي المجيد، والتمسك بالوفاء للبيعة الشرعية للعرش العلوي المجيد، ومما ورد فيها:



"الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

نعم سيدي أعزكم الله.

السلام على المقام العالي بالله، ورحمة الله تعالى وبركاته.

بعد تقديم فروض الطاعة والولاء فإن سكان الصحراء المغربية يا مولاي أصابهم ذهول وحزن عميق عندما بلغهم نعي فقيد العروبة والإسلام، وغرة جبين الدهر ومفخرة الأنام، ذي المجد الباذخ والطود الشاخ، واسطة عقد الملوك العلويين سلالة سيد الأنبياء والمرسلين، والدكم المنعم الحسن الثاني تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته، الذي ضن الزمان بمثله.

فكان لوفاته رضي الله عنه وقع هز العالم بأسره، ملوكا ورؤساء وشعوبا، لهول المصاب وتأثيره على النفوس والألباب، فلم يبق ساكن شبر من هذه الكرة الأرضية إلا استقطبه الاكتئاب، وسيطر على مشاعره الحزن كهولا وشبابا، لأن والدكم المنعم نادرة زمنه، ووحيد عصره، وفريد قرنه، حنكة وحكمة وعلمها وبعد نظر، حرر بجانب والده أبي الحرية والاستقلال وطنه، وفي عهد ولايته المباركة وحد المغرب وبناه، وحرر رحمه الله الصحراء بمسيرة سلمية خضراء تعتبر أسلوبا عبقريا للتعامل مع القضايا الدولية أرجعت الحق لأهله، ووضعت الأمور في نصابها، وبهذه المسيرة انتصرت المشروعية والعدالة بواسطة السلم والعقلنة.

ومن عنايته رضي الله عنه بهذه المنطقة وأهلها زياراته الميمونة المتتالية لكل من مدينة الداخلة سنة 1980م، واكلميم وطنطان والعيون سنة 1985م، واكلميم كذلك وطنطان والسمارة وأسا سنة 1991م. ولم تبق واجهة تخدم مصلحة الإنسانية بصفة عامة إلا وكان عمل المغفور له جلالته الحسن الثاني فيها رائدا، فانتزع بذلك إعجاب العالم بأسره.



ولقد كرس رضي الله عنه الجهد لتوحيد صفوف العرب والمسلمين، ودعا إلى الإسلام ونشر السلم في ربوع العالم، وارتضاه المسلمون لرئاسة لجنة تحرير القدس، واستطاع بما له من حكمة بالغة ومحبة في نفوس البشرية أن يعقد في بلده أول مؤتمر جمع ملوك ورؤساء الدول الإسلامية.

فالمغفور له جلالة الملك الحسن الثاني انتظم في عقد جواهر أعماله النفيسة من جلائل الأعمال ما حير العالم، وكان ذلك أكبر حافز لأرباب الفكر والقلم في التباري في ذكر مناقبه الحميدة، إكبارا له وتنويها بقدره السامي، وإعجابا بما خلد من قيم إنسانية، ستبقى شاهدة على عظمته ورفعة مكانته وعلو شأنه. تغمدّه الله برحمته وأسكنه فسيح جنّته. وجعله مع النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين. وحسن أولئك رفيقا.

وإن من أجل ما ترك رحمه الله لهذه الأمة المغربية التي تعزّز بالعرش العلوي المجيد والجالس عليه أنتم يا مولانا الذين تخرجتم من مدرسة الحسن الثاني رضي الله عنه وتضلّعت من ينابيع معارفها الجلى، فكنتم عند حسن ظنه، وقرت بعلّمكم وحيويتكم وبعد نظركم وتوفّقكم عينه في كل ما مارستموه من أعمال في عهد والدكم المنعم، فكان مراتح البال في حياته على هذه الأمة ومستقبلها بقيادتكم الحكيمة وتوجهاتكم الهادفة وممارساتكم البناء وأعمالكم الصائبة.

وإن سكان الصحراء المغربية الذين عرفوا بوفائهم وإخلاصهم وتشبّثهم بالبيعة لملوك المغرب منذ عهد مولاي إدريس الأول إلى عهد الدولة العلوية الشريفة التي حمت ثغور المغرب من تسلل العدو، ونشرت الإسلام، ودافعت عن الوطن ووحدته رغم كيد الكائدين، وتأمّر المتآمرين، إن هؤلاء السكان الذين خدموا أوائلكم بكل تفان من عهد مولاي إسماعيل ومولانا الحسن الأول وجدكم محمد الخامس ووالدكم المنعم رحمه الله سيبقون على ذلك المنهج المستقيم الذي ليله كنهاره، لا يزيغ عنه إلا هالك، وفاء للبيعة الشرعية التي في أعناقهم لجلالتكم، والتي تسلسلت فيهم أبا عن جد كما أسلفوا ذكره لأجدادكم الميامين،



انطلاقاً من قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَا الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنْ يَكْفُرْ فَمِنْ أَجْرٍ عَظِيمٍ﴾¹. وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾². وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصني فقد عصى الله، ومن يطع أميري فقد أطاعني ومن يعص أميري فقد عصاني». وقوله صلى الله عليه وسلم: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية». وقوله صلى الله عليه وسلم: «من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية». وقوله صلى الله عليه وسلم: «السلطان ظل الله في الأرض من أكرمه أكرمه الله».

انطلاقاً من هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية سنبقى يا مولانا أوفياء للبيعة لجلالتكم التي نحن مؤمنون بها ومتفانون في تطبيق واجبها الشرعي لشخص جلالتكم الكريم، تطبيقاً للكتاب والسنة، وجرياً على سلوك آبائنا الذين أخلصوا لواجب البيعة الشرعية لأسلافكم المؤمنين.

فلقد جند آباؤنا أنفسهم بقيادة أسلافكم الحكيمة منذ عهد مولانا إسماعيل إلى اليوم جهاداً في سبيل الله، ودفاعاً عن الوطن، فلم تبق شريحة من سكان الصحراء المغربية إلا قامت بواجبها من وراء عرشكم المنيف. ويشهد على ما ذكرناه المعارك الجهادية الكثيرة التي خاضها أبناء الصحراء المغربية بقيادة الملوك العلويين العظام، وسنبقى يا مولاي على الدرب سائرين، و لجلالتكم مخلصين، وفي واجب البيعة متفانين.

¹ - سورة الفتح، الآية: 10.

² - سورة النساء، الآية: 58.



مولاي دام عزكم وعلاكم.

إنه بالرغم من محاولات الاستعمار وأعوانه لفصل الصحراء المغربية عن الوطن الأب عبر تاريخ وطننا الغالي، فإن ما يتحلى به رعاياكم الأوفياء من وفاء للبيعة، والتشبث بالوقوف عند واجبها الديني من الوفاء والإخلاص لولي الأمر، هذه المميزات جعلت تلك المحاولات الدنيئة تبوء بالفشل. وإن العناية التي أولاها ملوك الدولة العلوية لأبناء الصحراء المغربية الذين لم يجعلوا أي حائل بينهم وبين العرش العلوي المجيد والجالس عليه كانت أكبر حافز وأقوى دعامة يرتكز عليها للدفاع عن الوحدة بالغالي والنفيس، فأغدق الملوك العلويون الأمجاد على الأشراف والمرابطين والعلماء والزعماء والقادة والصلحاء وأهل الحل والعقد وغيرهم من أهل الصحراء أياديهم البيضاء. ونعمهم الجمّة، بدون واسطة بينهم وبين ساكنة الصحراء، فارتاح بهذه العناية الفائقة الكل، وازداد غبطة وسرورا بهذا الحذب المتميز الذي أولاها العرش العلوي، ويوليه لهذه الشريحة من أبناء الوطن العزيز.

ومما زاد أبناء الصحراء اعتزازا ونفرا بمغريبتهم المتأصلة في جذور أعماق التاريخ هو أنهم لم تبقى قبيلة ولا زاوية من أبناء صحرائنا إلا ولها ظهائر مولوية مباشرة منذ فجر الدولة العلوية المنيفة إلى اليوم... تبرز مكانتهم عند العرش العلوي المجيد والجالس عليه، وتعلي شأنهم أمام الكل.

ونحن إذ نشير معترزين إلى هذه العناية الخاصة التي يوليها لسكان الجنوب ملوكنا العلويون الأمجاد، فالقصد من ذلك هو أن نعلن أمام الكل تعلقنا وشكرنا وامتناننا للعرش العلوي العتيد والجالس عليه بالنصر والتمكين.

وليعلم الجميع كذلك ما يحس به أبناء الصحراء المغربية من عطف وحذب وعناية ينعم بها علينا ملوكنا على مر التاريخ سنبقى مدينين لهذا الحب الذي نبادله وفاء بوفاء، وحنوا بحنو، وإخلاصا بإخلاص، فما زال العرش العلوي المجيد علينا وارفا، وسيب عطائه على أبناء الوطن واكفا.



مولاي

إن أبناء الصحراء المغربية، دفاعا عن الوحدة وقياما بالواجب، وصدا للعدو، وإخلاصا للعرش العلوي المجيد وللجالس عليه، يعاهدون الله ويعاهدونكم أنهم لا يحيدون عن طاعتكم التي أوجب الله عليهم مدى الدهر والأيام.

إن حلقات السلسلة الذهبية النضالية عن قيم هذا الوطن التي أنتم الماسكون لها والمقوون لحلقاتها، والضامنون لتلاحمها، ستبقى بكم على يدكم مترابطة قوية لا يصيبها بتر ولا ضعف ولا وهن. فأنتم يا مولاي أمير المؤمنين، وحامي حمى الوطن والدين، ونحن رعاياكم الأوفياء لا نريد عما رسمتموه وترسمونه لنا قيد أنملة، فلقد عودتنا قيادة عرشكم المنيف على السير بهذه الأمة العظيمة إلى كل ما يكفل لها السعادة والعزة والتقدم والازدهار.

وإن أبناء الصحراء المغربية، حبا فيكم يا مولاي، وتفانيا في الولاء لعرشكم الذي زان المغرب وقدمه، وحفظ كرامته وعزته، وإخلاصا منهم لواجب الحفاظ على ما تفرضه خدمة المقدسات الوطنية. هم في شوق دوما وأبدا إلى التلمي من الحضرة الشريفة. أدامها الله لنا ركنا ركيننا وحصنا حصينا.

إن سكان الصحراء المغربية الذين اكتووا بنار الاستعمار ومن لف لفه ما زالوا يعانون من المحاولات التي يقوم بها أعداء هذا الوطن، والتي تبدو في أشكال متعددة، وألوان مختلفة، للفت من عزيمة الأوفياء المخلصين المؤمنين بالقيام بالواجب عليهم، ولكن تلك المحاولات يواجهها عرش جلالتم المنيف بالحكمة المعهودة فيكم وبعد النظر الملموس في قيادتكم الرشيدة، فتتكسر مرايا أحلامها على صخرة إيمانكم القوي وإخلاص رعاياكم اللامشروط، أدامكم الله لهذه الأمة منار إشعاعها ومصدر مناعتها وآمال تقدمها وازدهارها.



مولاي

إن سكان الصحراء المغربية عمتهم الفرحة والسرور التامان، وارتاحت نفوسهم بما تضمنته الرسالة الملكية السامية الموجهة إليهم بمناسبة ذكرى وادي الذهب.

وإن عناية سيدنا دام علاه بجميع رعاياه شاملة. وإن العطف والحدب اللذين تحيطون بهما جميع رعاياكم الأوفياء دام علاكم ينعم الكل بهما ويسعد، وحظنا نحن أبناء الصحراء المغربية من ذلك الحنان أن نعم به ونعتز ونتيه به على غيرنا. فأنتم الراعي الأمين، والحصن الحصين، والمدافع عن الوطن والدين. أدامكم الله وأيد ملككم. وسدد خطاكم وخلد في الصالحات ذكركم، ووالى من والاكم وعادى من عاداكم، وأقر عينكم بصنوكم صاحب السمو الملكي الأمير الجليل مولاي رشيد، وسائر أفراد الأسرة الملكية الشريفة. إنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير. وبالإجابة جدير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

والسلام على المقام العالي بالله.

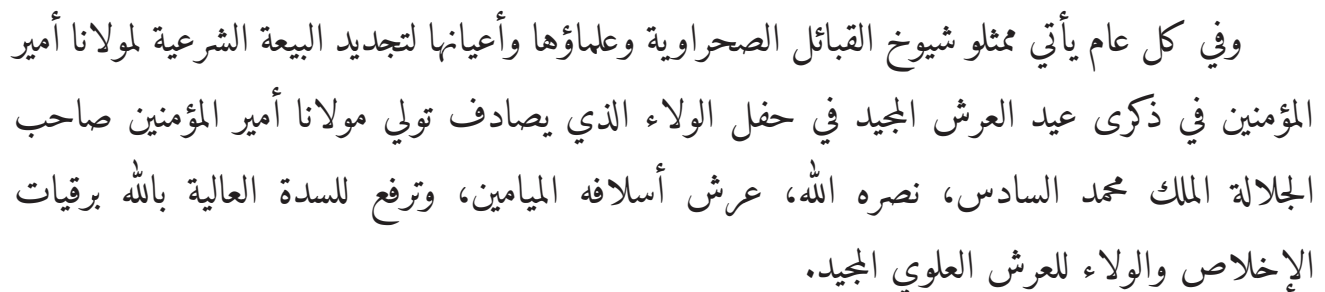
خدام الأعتاب الشريفة... أعضاء المجلس الاستشاري الملكي وأعيان القبائل الصحراوية.¹

ومن نماذج البيعات المكتوبة من قبل أهل الصحراء المغربية لأمر المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله، بيعة زاوية آل حيلتي بمدينة الداخلة سنة 1999م².

وهذه صورة من وثيقة هذه البيعة:

¹ بيعة شيوخ وأعيان وأعضاء المجلس الملكي الاستشاري للشؤون الصحراوية لجلالة الملك محمد السادس نصره الله، يوم الأربعاء 20 جمادى الأولى 1420هـ/ موافق 01 شتنبر 1999م، منشورة في مجلة دعوة الحق، العدد 346، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

² نسخة في زاوية حيلتي بمدينة الداخلة.



لقد شكلت البيعة الشرعية في المملكة المغربية الشريفة نبراسا عمليا في تعلق الأمة المغربية بمقام إمارة المؤمنين، وتجسيذا شرعيا لمقاصد الدين الحنيف في الحفاظ على الضرويات بجلب المصالح ودفع المفاسد، ولا يتحقق ذلك إلا بتوطيد البيعة الشرعية والوفاء بمقتضياتها، فحسد المغاربة قديما وحديثا هذا النموذج العملي الفريد المتجلي في تلاحم الشعب مع الملك، فكانت العلاقة بين الراعي والرعية علاقة تكاملية مبنية على احترام الحقوق وأداء الواجبات، لذلك نجد دائما النموذج المغربي في كل شيء وفق الخصوصية المغربية فالبيعة الشرعية لا تقبل إلا مكتوبة، وتشمل جميع الشيوخ والأعيان والعلماء وممثلي الأمة المغربية، وقد



دأب أهل الصحراء المغربية على هذه العادة الحسنة سيرا على نهج أجدادهم الذين بايعوا مولاي علي الشريف سلطانا عليهم إلى فترة مولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله، فكلمها حلت مناسبة عيد العرش المجيد إلا وتجد كل ممثلي القبائل الصحراوية شيوخا وأعيانا ومنتخبين يقدمون لمولانا أمير المؤمنين فروض الطاعة والولاء وفاءً للعرش العلوي المجيد الذي ظل وفيًا لتطلعات أهل الصحراء المغربية، حيث إنه يحرص على مصالحهم بجلب التنمية والازدهار لهم ويدفع عنهم المفسد، فكان الوفاء والإخلاص من تجليات البيعة الشرعية لأهل الصحراء المغربية، لذلك نجد دائما هذه البيعة ميثاقا مستمرا بين أهل الصحراء المغربية وملوك الدولة العلوية الشريفة، عملا بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَوْلِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾¹.

¹ سورة النساء، الآية: 58.



قبسات من إمارة المؤمنين في ذكرى عيد عرشها المجيد

ذ. عبد اللطيف البغيل

عضو المجلس العلمي المحلي لإقليم الفحص أنجرة

أكرم الله تعالى الأمة المغربية بقيامها على ثواب عريقة، منبثقة عن الدين وشريعته، وقائمة على الارتباط بالخصوصية المغربية في أبعادها الدينية والتاريخية والحضارية، وفي أبعادها الثقافية وأعرافها المرعية، مما جعل هذه الأمة اليوم توصف بكونها من بين أعرق الأمم، كيف لا وهي أمة لها أدوار مهمة في بناء التراث العالمي المشترك، بحيث يجد الباحث في كل فن من فنون العلم¹ والمعرفة الإنسانية، مساهمة معتبرة من قبل المغاربة عبر تاريخ بلدهم الطويل، والحافل بالأحداث والتجارب، والنظم المختلفة، ومنها النظام الديني والسياسي القائم على إمارة المؤمنين باعتبارها جوهر الأمة وقلبها النابض، وقائدها البارع، وموجهها الملهم، لا يفتر عن العمل دون ملل ولا كلل في تحقيق المصالح العامة لها، والساھر على وحدتها ومنعتها، واستقرارها، والحافظ لحقوقها، والناطق باسمها في كل المحافل والتجمعات، ولهذا يدين كافة أفراد الأمة المغربية لإمارة المؤمنين بالولاء، ويتعلقون بأهدابها، ويباركون خطواتها، ويحتفلون بذكرى عيد عرشها وفق خصوصيات متميزة، بحيث تعتبر هذه الذكرى من أهم الذكريات المنتظرة بكثير من الفرح والسرور في كل سنة، ويكون احتفال الأمة بعيد العرش بإعلان تجديد الشرعية الدينية

¹ يذكر المؤرخون بكثير من الإعجاب والتقدير تميز المغاربة في كثير من أبواب المعرفة ومساهماتهم في الحضارة الإنسانية، وعلى الخصوص، تميزهم: بالتمكن من العلوم الشرعية، والتألق في العلوم العربية، والمهارة في النقش، والشهرة في التجارة... انظر في هذا الصدد على سبيل المثال: السيد محمد بريم التونسي، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، المطبعة الإعلامية بمصر: 1303هـ، ج:1، ص: 61. وانظر كذلك: أحمد المكاوي، المغرب في تاريخه المنسي: جوانب من تاريخ المغرب الحديث بعيون عربية، جذور للنشر، الطبعة الأولى: 2006م، ص: 21.



والدستورية والتاريخية لنظام البيعة وتجدد الوفاء والعهد بين الإمام وأمته، وبتكريس الخصوصية القائمة على خدمة ثوابت الأمة ورعايتها.

ومع إطلالة عيد العرش السعيد يطيب لنا أن نتحدث من خلال مجلة دعوة الحق الغراء عن بعض التأمّلات المرتبطة بعلاقة ثوابت الأمة المغربية بمؤسسة إمارة المؤمنين، (أولاً)، وعن فلسفة الاحتفال بعيد العرش (ثانياً)، والله الموفق.

أولاً: علاقة ثوابت الأمة المغربية بمؤسسة إمارة المؤمنين

الأمة المغربية لها ثوابت مقدسة وأركان مؤسسة تقوم عليها، وتمثل في: العقيدة الأشعرية، ومذهب الإمام مالك، والتصوف السني وإمارة المؤمنين، ومن ثم فإن العلاقة فيما بين هذه الثوابت تبدو واضحة من جهة قيامها كلها على الدين الإسلامي، وبكونها من المبادئ الدستورية الضاربة في أعماق التاريخ، وناشئة عن نصوص الشريعة لا سيما القرآن الكريم، حيث قال الله تعالى: ﴿لَا الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾¹.

وهذه البيعة تقوم على أساس حفظ مقام الإيمان، وحفظ الدين وصيانة أحكامه، والقيام بأركانه، ولهذا كانت إمارة المؤمنين في المملكة المغربية الشريفة ولا زالت تتميز بعدة سمات هامة تتركس خصوصية النموذج المثالي لسياسة الدين والدنيا معاً، وتتجلى فيها العلاقة القائمة بين هذه الثوابت وترباطها، ومن هذه الخصوصيات ما يلي:

1) إن أمير المؤمنين عندنا هو إمام لكافة المؤمنين بالله تعالى، ويده أمر حراسة الدين:

إذ الإمام في النصوص الشرعية هو مصطلح له من الحمولة الدينية بمعناها العقدي ومعناها المذهبي ومعناها الصوفي، ما هو جدير بالاحترام والتقدير، وفق المقاييس والمقادير الشرعية والحقوقية، وبيان ذلك؛

¹ - سورة الفتح، آية: 10.



أن مصطلح أمير المؤمنين من حيث كونه خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو إذن قائم على ما كان يقوم عليه النبي صلى الله عليه وسلم من حفظ الدين وحفظ الملة، وحفظ حقوق الأمة وإقامة العدل فيها، وسياسة البلاد سياسة تحقق الأمن والاستقرار في ربوعها، وبين أفراد الرعية على أتم ما ينبغي.

والمعروف عن ملوك المغرب قاطبة من أولهم إلى من بيده الأمر اليوم منهم، تعلقهم بالدين والذب عنه وحراسته وتعظيم حرمانه، وكمثال على هذا فإن المولى إدريس رضي الله عنه أقام دولته على أساس من الدين، وتدل رسالته الخالدة التي بعثها لأهل المغرب على هذا التوجه.

والمملوك الذين أتوا من بعده لم يحدوا عن هذا النهج أيضا، فنجد مولانا الحسن الأول رحمه الله على سبيل المثال، كان متعلقا بالدين، "ولا يشعر بأي نقص ولا بأية عقدة وهو يقول إنه مسلم وإنه متدين، نلاحظ هذا في كتاباته، وفي خطابه، في رسائله إلى رؤساء الدول عندما يستدل بالآية القرآنية ويستدل بالحديث الشريف، لا يشعر بأية عقدة، بل على العكس من ذلك يشعر بأنه يؤدي رسالة أسلافه وأجداده".¹ كما أن من أتى بعده من ملوك الدولة العلوية الشريفة لم يحدوا عن ذلك، فولانا محمد الخامس عرف عنه قوة إيمانه ويقينه بالله وثقته بنصر الله تعالى، وقد تحدث الأستاذ محمد المختار ولد اباه عن الحياة الإيمانية لهذا الملك البطل، وبعد أن قسم الإيمان إلى إيمان الجاحدين المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾²، والإيمان الحق الذي ينقسم إلى إيمان المؤمنين وإيمان أهل اليقين، وبعد أن قرر ما يرتبط بهذا النوع الثاني من الإيمان الحق قال ما نصه: "ولقد كان محمد الخامس رحمه الله من أهل هذا الإيمان، فلقد كانت نفسه مطمئنة، وكانت السكينة تشع في نفسه، ولقد كان جميع الذين عرفوه، يلبسون عن كثر، مظهر ذلك الإيمان الذي يتجاوز شخصه.

¹ - د: عبد الهادي التازي، العلاقات الدولية للمغرب على عهد الحسن الأول، الذكرى المئوية لزيارة السلطان مولاي الحسن لمدينة طنجة، ندوة نظمها جمعية تنمية طنجة والمحافظة على مآثرها، بالاشتراك مع مجموعة "ماروك سوار" و "الصحراء"، يومي 29 و30 يونيو 1990م. الشركة المغربية للنشر "ولادة" الدار البيضاء، المغرب. مطبعة فضالة - المحمدية، 1991م، ص: 49.

² - سورة المائدة، آية رقم: 6.



فيحس مجالسه بقوة جاذبة ذات تأثير بالغ، يغمر من يدنو منه، ولقد عبر عنها بعض الباحثين "بالابتسامة الساحرة"، كما أن جلالة الملك الحسن الثاني، وهو أعرف الناس به، لم ينس هذه "الابتسامة" حين قال في أخرج لحظات تاريخ كفاح الملك وأسرتة (لحظة النفي): "ولقد كنت أنظر إليك نظرة إشفاق، ورأيتك تبسم قائلاً: «لا تحزن إن الله معنا»¹."

وقد كان مولانا الحسن الثاني، طيب الله ثراه، على نهج أسلافه في تعظيم حرمت الدين عالما محققا لأحكامه وتعاليمه، عاملا على نصرته من خلال مواقفه الثابتة ومبادراته العديدة التي قام بها لصالح قضايا الأمة الإسلامية، جاعلا من المملكة المغربية منبرا للدفاع عن المقدسات الإسلامية، مثل قضية القدس، وعمله الفعال في منظمة المؤتمر الإسلامي وغير ذلك مما لا يتسع المقام بذكره.

كما أن العهد الميمون والزاهر لمولانا الإمام محمد السادس حفظه الله يعرف نهضة دينية كبرى على المستوى الداخلي وعلى المستوى الإفريقي والدولي، وتهم هذه النهضة المباركة؛ الإصلاح المؤسسي، والتعليمي، والاعتناء بالقيمين الدينيين وتكوينهم وتأطيرهم، وبناء المساجد بالمملكة وبكثير من الدول الإفريقية وغيرها، والاعتناء بالمصحف الشريف وطباعته ونشره، وتوزيعه، لاسيما على مغاربة العالم في إطار عملية "مرحبا" حيث تم توزيع ما يزيد عن 29 ألف نسخة على أبناء المغرب المهاجرين وبعض الأفارقة والأوربيين، خلال الصيف الماضي (2023م)² بميناء طنجة المتوسط على وجه الخصوص، وتعد هذه المبادرة، عملية رائدة حققت إشعاعا دينيا كبيرا، وحازت على الثناء الجزيل من قبل الخاص والعام.

¹ - اقتباس من قوله تعالى: ﴿لَا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ الآية: 40 من سورة التوبة.

² - وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد أحمد التوفيق، عرض مقدم أمام لجنة الخارجية والدفاع الوطني والشؤون الإسلامية والمغاربة المقيمين بالخارج بمجلس النواب، حول مشروع الميزانية الفرعية لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للسنة المالية 2024م، ص: 7.



كما أن خطابات مولانا الإمام دائما ما تحمل في عباراتها ما يدل على الهوية الدينية لإمارة المؤمنين وارتباطها بالإيمان الحق، ومن ذلك ما ورد في خطاب العرش لسنة 2022م عند كلامه الشريف عن مدونة الأسرة حيث قال حفظه الله ونصره: "وبصفتي أمير المؤمنين، وكما قلت في خطاب تقديم المدونة أمام البرلمان، فإنني لن أحل ما حرم الله، ولن أحرم ما أحل الله، لاسيما في المسائل التي تؤطرها نصوص قرآنية قطعية.

ومن هنا، نحرص أن يتم ذلك، في إطار مقاصد الشريعة الإسلامية، وخصوصيات المجتمع المغربي، مع اعتماد الاعتدال والاجتهاد المنفتح، والتشاور والحوار، وإشراك جميع المؤسسات والفعاليات المعنية." كل هذا وغيره كثير مما لا مجال لعهده في هذا المقام من جليل الأعمال التي يقوم بها جلالته بصفته أميراً للمؤمنين، فيما يرتبط بحفظ مقام الدين، مما يجعلنا نعتقد بحق أن أمير المؤمنين نصره الله، من جملة المجتهدين في مناهج دراسة الدين ونشره، والذين ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها".

2) انتماء أمير المؤمنين إلى بيت الشرف النبوي

كما أن أمير المؤمنين باعتباره إماما وخليفة للرسول صلى الله عليه وسلم عندنا في مغربنا ومنذ عصور خلت، هو في الحقيقة الشرعية ينتمي إلى بيت النبوة، ومن نسل سيد الوجود عليه أفضل الصلاة والتسليم، بواسطة سيدتنا فاطمة الزهراء والإمام علي رضي الله عنهما، ومن تناسل منهما إلى وقتنا الحاضر. ولا يخامر المؤرخين شك في شرف هذه السلالة الشريفة¹ وقد وصف السيد محمد بريم التونسي متحدثا عن العائلة العلوية الحاكمة في المغرب ما نصه: "عائلة شريفة ثابتة النسب برسول الله..."²

¹ - أحمد المكاوي، مرجع سابق، ص: 19.

² - السيد محمد بريم التونسي، مرجع سابق، ج: 1، ص: 61.



وهذه ميزة كبرى، وقيمة عظمى تجعل هذه الإمامة عندنا ذات أثر كبير على الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية وغيرها.

وأهم ما هنالك هو أثر هذه الإمامة في تحقيق الاستقرار في البلاد، مع ملاحظة أن هذا الاستقرار يشمل جميع النواحي: استقرار أمر الدين، واستقرار أمر المجتمع، واستقرار نظام الأمة برمته...

ولا شك أن عامل الاستقرار هذا، آت من جهة استقرار نظام إمارة المؤمنين عندنا، ورسوخها التاريخي، وذلك أن هذا النظام ليس وليد اليوم، وإنما هو نظام ضارب في أعماق التاريخ، ويربط الحاضر بالماضي بدون انقطاع منذ مئات السنين، بحيث لو أردنا أن ننسب أمير المؤمنين إلى آباءه، فإن ذلك لا يتأتى إلا بأن نقول: هو أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين...

ويعجبني هنا أن أردد ما قاله ابن الونان في سيدي محمد بن عبد الله في قصيدة طويلة مشهورة تعرف بالشمقمقية حيث قال:

محمد سبط الرسول خير من * ساد بحسن خلقه وخلقه
أعني أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين * ر المؤمنين ابن الأمير المتقي

ولا يخفى ما في هذين البيتين من الاطراد؛ وهو عبارة عن ذكر اسم الممدوح ولقبه وكنيته اللائقة به واسم من أمكن من أبيه وجده وقبيلته ليزداد الممدوح تعريفاً... والمقصود هو إرادة القول؛ بأن الممدوح مُعَرِّق في الخلافة والملك، ليس حديث العهد، ولا جديد الشرف والمجد. قالوا: ولا يكون مُعَرِّقاً حتى يكون الثالث فما فوقه، وهو كذلك في ممدوح الناظم.¹

¹ - انظر: العلامة المؤرخ أحمد بن خالد الناصري السلاوي، زهر الأفنان من حديقة ابن الونان، المركز الثقافي للكتاب، ط: 1، سنة: 2020م، ج 2، ص: 412.



فما أشبه الحفيد بالجد في الخلقة والأخلاق والعراقة، والملك، فهذان البيتان ينطبق معناهما تمام الانطباق على أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله، فيما حُلي به من حميد الخصال الخلقية والخلقية، حتى أضحي محبوب الشعب والأمة بلا منازع.

فهذا شأن إمارة المؤمنين، لا يمكن إلا أن تكون ذات علاقة كبرى بأساس العقيدة وأساس المذهب، وأساس السلوك الصوفي السني، علاقة تدين وممارسة، وحفظ وحراسة.

(3) امتياز إمارة المؤمنين في المغرب بكونها ناشئة عن بيت علم

فقد قامت إمارة المؤمنين في المغرب منذ نشأتها إلى يوم الناس هذا على العلم؛ لأن به تتحقق المصالح الدينية والدينية، وقد قال الحضرمي: "إن الأحياء الناطقين والحكام المتقدمين فرقوا بين الجماد والحيوان بالحياة، وفرقوا بين البهيمة والإنسان بالعقل، وفرقوا بين الشريف والخسيس بالعلم"¹. وقال أيضا بعد كلام: "...واعلم أن الملوك العلماء بقيت بالعلم أذكراهم، وأن الملوك الجهال، ماتت معهم أخبارهم."²

فالعلم أساس العمران والحضارة، فلولا ما وجدت هذه المآثر الكثيرة الشهيرة التي كلت أقلام المؤرخين عن تدوينها، ففي كل مدينة مغربية آثار عديدة، وفي كل حدث مواقف قوية سديدة، وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى، وكل هذا لم يكن ليحدث ويتحقق لولا العلم الذي صانه سلاطين المغرب فصانهم بعد مماتهم، وحفظ أخبارهم وخلد في الصالحات ذكرهم، وأعلى شأنهم بين ملوك الأرض في حياتهم.

فملوك الدولة العلوية الشريفة على اختلافهم وتعددتهم كانوا على أعلى درجة من العلم والمعرفة، والأخذ بأوفي الأنصبة من الأدب، ومن أعظم المطلعين على أحداث التاريخ، وعلى علم كبير بمقاصد

¹ - أبو بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي، كتاب السياسة، أو الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق الدكتور سامي النشار، دار الثقافة - الدار البيضاء، الطبعة الأولى: 1401 هـ 1981 م، ص: 57.

² - أبو بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي، مرجع سابق، ص: 69.



الشريعة الإسلامية، وعلم بنصوصها من كتاب الله وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، وإجماع أهل الحل والعقد من الأئمة، ولهم نصيب من العلوم العقلية والأصولية، وهنا يكفي أن أشير إلى ما كان عليه المولى محمد بن عبد الله، والمولى سليمان، والمولى إسماعيل، والسلطان مولاي محمد الخامس، طيب الله ثراهم، من العلم والأدب.

والجميع يعلم ويشهد بما كان عليه المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني، رحمه الله ورضي عنه، وعن أبيه وأجداده، ومن بعده وارث سره مولانا محمد السادس، حفظه الله ونصره، من العلم والمعرفة واتساع الأفق الثقافي والمعرفة الواسعة، بفنون السياسة ودروبها ووسائلها وأنماط وطرق الحوار السياسي، وغير ذلك مما هو من مقومات الشخصية المثالية التي بفضل ما تمتلكه من علم ومعرفة وثقافة واسعة، تستطيع أن تقدر الأمور حق قدرها، وتتخذ القرار المناسب بعد تقليب الأمور والبحث في مختلف الأسباب والحيثيات، والموازنة التامة بين أوجه المصالح والقواعد المتوخاة، وأوجه المفساد والأضرار التي قد تنتج عن هذا القرار أو ذاك؛ "بفضل اعتماده من الولاة على كفاته، ومن جباته على ثقاته، ومن قضاته على هدايته، ومن وزرائه على ما يقرن الصواب بآرائه"¹، وكل هؤلاء وغيرهم من أبناء المملكة الشريفة مأمور بمقتضى النطق الملكي السامي في خطاب العرش للسنة الماضية 2023م "بالجدية والتفاني في العمل... والجدية كمنهج متكامل تقتضي ربط ممارسة المسؤولية بالمحاسبة، وإشاعة قيم الحكامة والعمل والاستحقاق وتكافؤ الفرص".

ولا شك أن إدارة البلاد وحكمها على علم ومعرفة هو منة عظيمة، لما تدل عليه من حكمة وتبصر وبعد نظر، ولما تحققه من مكاسب وفوائد على البلاد والعباد، إن على المستوى الدولي أو على المستوى الداخلي، وإن على المستوى الاقتصادي والاجتماعي.

¹ - الوزير جمال الدين علي بن يوسف القفطي، أساس السياسة، تحقيق جليل العطية، دار الطليعة، بيروت، ط:1، سنة: 1429 هـ 2008م، ص:61.



وإن إمارة بلاد هذا وصفها، لهي هبة من الله تعالى لا تقدر بثمن؛ لأنها ستقود يقينا البلاد إلى كل خير ورشاد، وتجنبه قطعاً كل شر وخطر.

ونظراً لهذه الخصلة التي يتمتع بها ملوكنا وأمرأؤنا الكرام، نجدهم يكرمون العلماء ويغشون مجالسهم ويقربونهم، ويشجعون على العلم ويكرمون طلبته وقيموهم مؤسساته.

وحسبنا هنا أن نمثل لهذا الاحتفاء بالعلم وأهله من سنة إقامة الدروس الحسنية التي هي سنة قديمة عرفت أوجها في عهد مولانا الحسن الثاني طيب الله ثراه، وارتقت ذروة سنامها في عهد وارث سره أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله ونصره.

ومن مظاهر هذا الاحتفاء بالعلم كذلك، العناية بالعلماء وتشجيعهم بالجوائز الاستحقاقية والتكريمة والتشجيعية، والمكرّمات والصلوات المولوية.

4) عراقة إمارة المؤمنين وهيبتها واحترامها وطنيا ودوليا

إن إمارة المؤمنين بالمغرب إمارة عريقة، تضرب بجذورها في أعماق التاريخ ولمئات السنين. ولهذا فإنها تحظى على المستوى الدولي بالهيبة والوقار والاحترام، بسبب هذا الزخم الكبير من الريادة والقيادة والوجاهة والأصالة، وهو ما يجعلها مثالا لأي نظام قيادي ناجح لا يضاهيها أي نظام آخر. وقد سجل تاريخنا المجيد أمثلة مشرقة عن التدخل الفاعل، والتأثير البين لإمارة المؤمنين على الأحداث العالمية، والقضايا العربية العادلة، وفي مقدمتها قضية فلسطين والقدس الشريف، وتسجيل مواقف مشرفة ستبقى أبد الدهر بمثابة غرة منيرة في محطات من تاريخنا القديم والحديث.

مما يسمح لنا بحق أن نستنتج أن إمارة المؤمنين بالمملكة المغربية الشريفة، تشرف بهذه العراقة والوجاهة والهيبة على دولة قيم مؤطرة بثوابتها العريقة، ويشهد تاريخها الزاهر برسوخ قدمها في التمثيل بالقيم العليا التي تنطوي عليها هذه الثوابت، وليس بخاف في هذا النطاق أن الأمريكيين تمكنوا من معرفة قيم



الحكم والسلطنة في المملكة المغربية الشريفة، المنبثقة من الشريعة الإسلامية قبل غيرها من ممالك الإسلام والعالم العربي، عن طريق اعتراف المملكة المغربية الشريفة بها وبالمعاهدات التي عقدتها معها سنة: (1776م)¹.

ولعل هذا النمط من التعامل الراقي المبني على الجدية والوفاء والتعاون، دون خلفيات أو عوائق ترجع إلى الاختلاف في الدين والعادات وسائر الخصوصيات، هي التي دفعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن تطلب من السلطان المغربي محمد الثالث، أن يستخدم مساعيه الحميدة من أجل عقد معاهدات صداقة وتعاون بين الولايات المتحدة الأمريكية، وحكام بعض دول الجوار، وقد نجحت تلك المساعي وأسفرت عن عقد معاهدات بين الولايات المتحدة وبين تلك الأقطار اعتباراً من سنة 1795م وما بعدها.²

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الحكمة ضالة إمارتنا والأعراف صناعتنا والتاريخ طوع يدنا، فنحن المغاربة بهذا الزخم التاريخي الذي صنعه ولادة أمرنا، أولى من أي كان بإعطاء الدروس وإعطاء القدوة لكل مشكك أو معاند.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم * إذا جمعنا ياجرير المجمع

(5) إمارة المؤمنين بالمملكة المغربية الشريفة هي إمارة مسنودة ومُسندة

إن إمارة المؤمنين بالمغرب هي إمارة مسنودة بالتاريخ وبالنسب الشريف وبالعلم والمعرفة وبالوحدة الوطنية وبالالتحام بالقاعدة الشعبية، وبالشرعية التاريخية والدستورية وبالشرعية الدينية وبالدعم التام، والتعلق الدائم لكافة أفراد الأمة المغربية بأهداب العرش العلوي المجيد، وبالتجند التام وراء أمير المؤمنين نصره الله وأيده.

¹- أ. د: جمال زكرياء قاسم، الجاليات العربية في المهجر الأمريكي، الكتاب: 17 حول التاريخ الحديث والمعاصر من موسوعة الثقافة

التاريخية والأثرية والحضارية، طبع دار الفكر العربي، سنة: 2006م، ص: 5.

²- أ. د: جمال زكرياء قاسم، مرجع سابق، ص: 5 - 6.



وهي مسندة، لأنها تستند إلى حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «الأمّة من قريش»¹ فالإمامة العظمى وإمارة المؤمنين هي حق أعطاه رسولنا الكريم لمستحقه، ومنه لمن يأتي بعده، وهكذا إلى أن يصل إلى مستحقه الحالي، ومنه إلى مستحقه الذي يأتي من بعده في كل عصر ووقت وأوان وإلى قيام الساعة.

فالإمامة العظمى في المغرب بهذا الوصف، تبدو كأنها مأخوذة بالسند المعروف عند المحدثين، فنقول: مولانا أمير المؤمنين محمد السادس أخذ الإمامة وإمارة المؤمنين عن أبيه عن جده عن أبي جده مولانا يوسف، وهكذا إلى أن نصل إلى معطيها الأول وهو مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فيتحقق بهذا السند المتصل أنواع من العناية والتسديد والتوفيق والبركة العائدة على البلاد والعباد، ويكفي أن يكون من فضيلة هذا السند، أن الله تعالى قد أقام به دولة الإسلام بالمغرب الأقصى، وجمع بها أمر المسلمين، وما اجتمع المسلمون على إمام يسوسهم إلا وكان الله معهم يؤيدهم ويسددهم، ويثبت أمرهم، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾²، وقال صلى الله عليه وسلم: «يد الله مع الجماعة»³. ومن كانت يد الله معه فقد أفلح وظفر، وحاز على الكمال في كل شيء، لأن الله تعالى كامل وعطاءه شامل.

ويترتب على ما سبق من شرف إمارة المؤمنين واستنادها إلى الأمة، وإسنادها إلى معطيها الأول، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم إعطاء شرعيا، أن إمارة المؤمنين قائمة على سياسة الدين والدنيا، فسياسة الدين ما أدى إلى قضاء الفرض، وسياسة الدنيا ما أدى إلى عمارة الأرض، وكلاهما يرجعان إلى العدل

¹ - الحديث رواه الإمام البخاري في صحيحه، في باب: مناقب قريش، ح: 3500 بلفظ: "إن هذا الأمر في قريش، لا يُعاديهم أحدٌ إلا كبه الله على وجهه، ما أقاموا الدين".

² - سورة الفتح، آية: 10.

³ - الحديث رواه ابن عمر، وأخرجه الترمذي (ح: 2167) والحاكم (ح: 397) وغيرهما.



الذي به سلامة السلطان وعمارة البلدان؛ لأن من ترك الفرض ظلم نفسه، ومن خرب الأرض ظلم غيره.¹

ولا شك أن اجتماع هذه الخصائص والمميزات في إمارة المؤمنين بالمغرب هي التي أعطتها قوة ومنعة وهيبة، وجعلتها تصمد أمام التحديات والهزات التي مرت بها عبر التاريخ، وكمثال على هذا، صمود إمارة المؤمنين في وجه الاستعمار الغاشم الذي أراد أن يقتلع البلاد من جذورها ويعزلها عن أصولها ويحتثها من محيطها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أراد الاستعمار أن يعزل مؤسسة إمارة المؤمنين عن قاعدتها الشعبية، وعن سائر الهيئات الوطنية من علماء وتجار وحرفيين وفلاحين ووجهاء وغيرهم.

ورغم كل المحاولات والإغراءات من جهة، أو الضغط والقتل والسجن والتعذيب من جهة أخرى، إلا أن كل محاولاته باءت بالفشل.

وهنا لا بد أن نشير إلى صورتين دالتين من صور التدخل الاستعماري الاجتثاثي الذي مارسه ضد الوحدة التي تجمع بين إمارة المؤمنين والقاعدة الشعبية بكل فئاتها وأطيافها:

- الصورة الأولى: هي أنه لما ضغط الاستعمار على السلطان مولاي عبد الحفيظ وأرغمه على توقيع عهد الحماية بعد جهد جهيد، اصطدم بإرادة السلطان في التخلي عن الحكم؛ لأنه لم يرد أن يكون سلطان الحماية، وقال قولته الشهيرة: "أنا سلطان للاستقلال وليس سلطانا للحماية".² فلم يثبت بأية وسيلة من الوسائل أن الدولة المغربية ممثلة في السلطان المولى عبد الحفيظ قبلت عملية الانتحار

¹ - ابن الحداد، محمد بن منصور بن حبيش، الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، تحقيق روان السيد، دار الطليعة، بيروت، ط:1، 1983م، ص:62.

² - محمد حسن الوزاني، حياة وجهاد: (التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية)، ج:1، طور المخاض والنشوء، ص: 154.



والاختفاء من الوجود كدولة حرة مستقلة ذات كيان وسيادة، كما كان شأنها مدى العصور السابقة والقرون المنصرمة.¹

- **والصورة الثانية:** هي أن الاستعمار الغاشم لما قام بجريمته النكراء بنفي السلطان محمد الخامس والأسرة الملكية إلى كورسيكا ثم إلى مدغشقر، وتنصيب سلطان صوري على العرش، لم يزد هذا الفعل الشنيع إلا تعلقا للشعب بإمامه وبإمارة المؤمنين، في ثبات وعزيمة، وصبر، وقدرة عجيبة على التحمل لكل أنواع القهر والضغط، والعنف الذي مارسه المستعمر على جميع فئات الشعب المغربي وقواه الحية.

وقد ظل الجميع على وفائه للملك ولولي أمره دون كلل ولا ملل.

وهنا أنقل شهادة حية لأحد الشخصيات الاستعمارية التي قادت الحملة الاستعمارية في المغرب ويتعلق الأمر بشهادة المارشال ليوطي نقلها (المسيو لويس بارتو) في كتابه: "ليوطي والمغرب" حيث قال: "إننا إزاء إمبراطورية تاريخية مستقلة غيرة على استقلالها أشد غيرة، نافرة من أي لون من ألوان العبودية، كانت إلى السنوات الأخيرة دولة كاملة التكوين، متمتعة بأنظمتها الإدارية والاجتماعية وتمثيلها الخارجي...". ثم زاد قائلا: "كان للإمبراطورية الشريفة إذن هيئة سياسية منظمة وهيئة أخرى دينية ذات أهمية ونفوذ، كما أن لها نواة اقتصادية من الدرجة الأولى مكونة من كبار التجار...".²

فهذه شهادة واضحة تدل على سر قوة إمارة المؤمنين بواسطة أذرعها السياسية وأذرعها الدينية ذات نفوذ وتأثير، وهذا ما أكسبها قوة ومنعة وجعلها عصية على الأطماع الخارجية ممثلة في الاستعمارين الفرنسي والإسباني، وحافظت بها على وجودها وكيانها، فذهب الاستعمار وبقيت إمارة المؤمنين أقوى مما كانت.

¹ - محمد حسن الوزاني، مرجع سابق، ج: 1، ص: 154.

² - المرجع نفسه، ج: 1، ص: 215.



6) سهر إمارة المؤمنين على إشاعة الأمن والذود عن الحرمات والأعراض

ومن أثر إمارة المؤمنين في الحكم، إشاعة الأمن والذود عن حرمات الناس وحماية الأعراض وعدم التفرقة بين أفراد الرعية على أساس لون أو جنس أو دين.

وهنا أستحضر حكاية وواقعة لطيفة وفريدة في تاريخنا المغربي فيما يرتبط بهذه الحالة أو الواقعة، وهي أنه لما وقعت فرنسا في قبضة النازية أثناء الحرب العالمية الثانية، طلب رئيسها تحت ضغط برلين من الملك محمد الخامس، رحمه الله، تطبيق القوانين النازية على اليهود، فأبى وقال له: "إن اليهود في ذمتنا وشرع الإسلام لا يوافق على تلك القوانين الجائرة"¹.

إذن فالمسألة، مسألة القانون الإسلامي الذي يحكم العلاقة بين أمير المؤمنين ورعيته، وقد قال في هذا الصدد الشيخ عبد الله كنون رحمه الله: "إن تاريخ العالم لم يعرف دولة استظل بظلمها جميع أهل الملل والنحل والمنتسبين لمختلف الأجناس والألوان، فشملتهم برعايتها وسوت بينهم في المعاملة وبين رعاياها الأصليين كدولة الإسلام، وكثيرا ما كانت الدول العنصرية والمتعصبة تطرد من بلادها أتباع الأديان المخالفة لها كاليهود وغيرهم، فلا يجدون مأوى لهم يحميهم ويمنع عنهم الضيم إلا في بلاد الإسلام، والتاريخ أعظم شاهد والواقع المحسوس أكبر دليل"². والدولة المغربية الشريفة، المتشعبة بالروح الإسلامية كانت ولا تزال مثالا متفردا في ذلك، ومقصدا للقاصدين من أفريقيا جنوب الصحراء ومن غيرها، ليستظلوا بالطمأنينة والأمن والسلام، والعيش الكريم.

فما سبق نتضح لنا العلاقة القائمة بين إمارة المؤمنين وثوابت الأمة، وهي أن إمارة المؤمنين هي المبدأ الفاعل الذي إليه يرجع حفظ كل الثوابت والقيام عليها وصيانتها، وحفظ مقامها، وأنه لا يمكن لأحد مهما كان شأنه أن يزاحمه في شأنها، أو يتصرف من دونه فيها، فحفظ أمر العقيدة بيده وفق اختيارات

¹ - الشيخ عبد الله كنون، منطلقات إسلامية، مطبعة سوريا بطنجة، د. ت، ص: 176 و177.

² - المرجع نفسه، ص: 176 و177.



الإمام الأشعري، وأمر إقامة الشرائع موكل إلى سديد نظره، وفق مذهب الإمام مالك، والتصوف السني اختيار للأمة المغربية بدءاً من المولى إدريس إلى يوم الناس هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأمير المؤمنين يتأدب بآدابه ويحفظ رسومه وقواعده. وأن العلماء وأئمة المساجد وسائر القيميين الدينيين هم نواب عن الإمام الأعظم، في القيام بهذه الثوابت وفق التوجه الشرعي المرعي في المملكة الشريفة.

ومن نافلة القول هنا أن نشير إلى أنه ليس من باب العبث أن نجد الإمامة العظمى من صميم البحث العقدي والكلامي؛ مشروعية وأحكاماً وتفصيلات.¹ لأن أمر قيام الدين والعقائد موكل إلى الإمام شرعاً، وبدونه يتعطل كل ذلك ويختل.

ثانياً: دلالات الاحتفال بعيد العرش المجيد

من خلال ما استعرضناه سابقاً من لمحات وإضاءات عن علاقة إمارة المؤمنين بثوابتها الأصيلة، وما ينتج عن هذه العلاقة من ثمرات ومصالح يتفياً بها جميع أفراد الأمة المغربية في أمن وسلام، وأمل فسيح في حياة أفضل في ظل إمارة المؤمنين، ممثلة في مولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده، يحق لنا أن نحتفي ونحتفل بهذه الإمارة المباركة في عيد عرشها المجيد، إظهاراً لنعمة الله تعالى علينا باجتماع أمرنا، ووحدة صفنا ومنعة مملكتنا السعيدة على يد ملكنا الهمام متعه الله بالصحة والعافية وآزره بمدد من عنده، الذي يعمل بدون كلل ولا ملل على إسعاد شعبه، ساعياً في تحقيق الحياة الطيبة له، حسبة لله تعالى وقياماً بما طوقه الله من أمر عباده، عاملاً بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾.²

¹ - انظر على سبيل المثال، الشيخ عثمان السلاحي الفاسي، العقيدة البرهانية، ونظمها لعبد الله الهبطي الغماري الطنجي، تقديم وتحقيق جمال علال البختي، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط: 1، 1442 هـ/ 2020 م، ص: 162-163.

² - سورة الإسراء، آية: 19.



وإن أفضل مقام قد يناله المؤمن هو مقام السعي؛ باعتباره العمل المخصوص الذي يعتني به ويهتم له ويجتهد في تحصيله، وأدائه، فهو بهذا المعنى يتحقق بعدة وسائل بحسب ما يفتقر إليه هذا السعي من مجهود، فإن افتقر إلى أن يعدو إليه العامل ببدنه عدا، وإن افتقر إلى أن يجمع له أعوانه ومساعديه جمع، وإن افتقر إلى أن يتفرغ له وينقطع لأدائه انقطع.¹ وإن أمير المؤمنين مولانا محمدا السادس نصره الله يسعى في خدمة شعبه ويعدو إليه في كل اتجاه وفي كل ناحية، ثم إنه متفرغ لرعاية مصالح شعبه ومنقطع لخدمته، وبهذا حق له أن ينال بفضل الله ومعونته "مقام البينية" بين الله تعالى وبين عباده، وهو والله لشرف عظيم، ومقام رفيع لم ينله من عباد الله تعالى، إلا الأنبياء وأولو الأمر والعدل والعلماء.

فالأنبياء يسعون بين الله وبين عباده بالرسالات، وصحيح الديانات، وأمها الشرائع، وأولو الأمر يسعون بين الله وبين الخلق بالحكم بين عباد الله بالعدل، ويسعون في تحصيل مصالحهم ومصالح الدين بالاحتساب، وإقامة أمر الدنيا وسياستها وحراسة الدين.

والعلماء الذين هم نواب أمير المؤمنين يسعون بين الله وبين العباد بتعليم الناس أمر دينهم وما ينفعهم من صنوف العلوم والمعارف، والإجابة عن أقضية الناس ونوازلهم.

لهذا وجبت لهم الطاعة ووجب رد الأمر إليهم عند التنازع، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.²

¹ - ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، التبيان في أقسام القرآن، صححه وعلق هوامشه: محمد حامد الفقي، دار المعرفة

للطباعة والنشر، بيروت (د - ت) ص: 6 - 7.

² - سورة النساء، آية: 58.



لهذا فإن عيد العرش المجيد هو مناسبة للتعبير عن الفرح والسرور بما أولانا الله تعالى من فضله واختصنا بإنعامه، واستحضار ما يتعلق ببلادنا من الخصائص والذكريات والمفاخر والإنجازات، وما يعزم عليه أمير المؤمنين من سديد التوجيهات والسياسات.

وتجلى دلالات عيد العرش بالمغرب فلسفته في ما يأتي:

1) أن هذا العيد المجيد يجسد الإيمان الراسخ بالله تعالى، والتعلق بالثواب

إن عيد العرش المجيد يجسد الإيمان الراسخ بالله تعالى من خلال التثبث بالثواب الدينية والوطنية التي يقوم عليها النظام السياسي والاجتماعي بالمملكة السعيدة، وهو مناسبة للتذكير بها، وتلقينها للأجيال الصاعدة، وإن الخطب الملكية بهذه المناسبة تحمل كثيرا من الدلالات التي تخدم هذه الثواب، وتلح على صيانتها، والحفاظة عليها، بما يؤكد ويدعم مقومات الهوية المغربية.

ومن هذا الإيمان، نبع اليقين في الماضي بأن الاستعمار الغاشم لا محالة زاهق، وأن المغرب سيعود إلى أهله وأن المملكة سترجع إلى ملكها الشرعي، وهذا الإيمان هو الذي دفعنا بالأمس في ميدان المقاومة لإثبات وجودنا وانتزاع حريتنا واستقلالنا، وسوف يدفعنا غدا لإثبات قوتنا وتعزيز قيمنا الخلقية. وإذا كنا قد استطعنا أن نكسب المعركة الأولى ونطيح بسلطان الاستعمار وأعوانه، فإن الفضل في ذلك يعود لعقيدة هذا الشعب الراسخة، ولإيمان قائده الأكبر مولانا محمد الخامس بمعية وارث سره مولانا الحسن الثاني، طيب الله ثراهما، الذي لا يتزعزع، وثقته في عدالة القضية التي كان يدافع عنها، وضحي في سبيلها بعرشه، وقد نصره الله في النهاية بفضل ثباته على الحق وصموده في وجه الباطل¹، وتحقق لنا وعد الله تعالى إذ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ تَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَفْئَامَكُمْ﴾².

¹ - إدريس الكّاني، المغرب المسلم ضد اللادينية، مطبعة الجامعة، الدار البيضاء، المغرب، محرم عام: 1379هـ/ 1958م،

ص: 43.

² - سورة محمد، آية: 8.



ويوم أن عادت للشعب كرامته وللوطن سيادته، وعاد إلى العرش بطل المقاومة ظافرا منصورا واستعادت الدولة المغربية وجودها السياسي ومكانتها الدولية بفضل حكمة الخلف الصالح لمولانا محمد الخامس مولانا الحسن الثاني، ووارث سره صاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله، إذ بين المحمدين تحققت المعجزة المغربية وتحقق المستحيل وأصبحت المملكة الشريفة اليوم تنعم باستقلالها، وتطورها الدائم، وقوتها المؤثرة في محيطها الإقليمي والجهوي والدولي، وعلاقتها المتميزة القائمة على التعاون والتفاهم مع غالبية الدول ومن كل القارات.

(2) عيد العرش مناسبة لتوجيه رسائل وإشارات

وعيد العرش كذلك مناسبة مهمة توجه من خلالها رسائل واضحة إلى العالم مفادها أن المملكة المغربية الشريفة دولة ذات تاريخ وحضارة، وسيادة ومتميزة في عاداتها وأعرافها، وصانعة للأمن والسلام، ومساهمة في قيام البشرية والعالم على مبادئ العدالة والإنصاف واحترام الآخر، والجنوح نحو السلم، والانفتاح على كافة الثقافات والديانات والحوار المتبادل الهادف إلى تعزيز الأمن والسلم والرخاء والتعاون بين كافة أقطار الأرض، على أساس صيانة المصالح المتبادلة.

(3) عيد العرش للتعريف بالخصوصية المغربية

إن عيد العرش المجيد هو فرصة سانحة متجددة كل عام للتعريف بالخصوصية المغربية المتميزة والقائمة على وحدة الدين والمذهب والعقيدة والسلوك، وباللممة الاجتماعية، وبالعادات والتقاليد، وغير ذلك مما هو من صميم ما يميز المملكة المغربية الشريفة أمة وقيادة.

(4) عيد العرش نشأ من الأوساط الشعبية المغربية

إن فكرة عيد العرش في أصلها هي فكرة نابعة من الأوساط الشعبية المغربية، وليست فكرة دولة أو حكومة أو جهة رسمية، وهذا منتهى الخصوصية المغربية، وهي ميزة لا أعلم أن أمة من الأمم سبقت إليها، كما لا أعلم أن نظاما ما، تلقف هذه الفكرة بالترحاب والقبول، كما فعل النظام المغربي، وهذا منتهى الالتحام بين



القمة والقاعدة، والوفاء للقيم الوطنية من الجانبين، في إطار "التجاوب التلقائي، بين العرش والشعب".
بحسب النطق السامي لمولانا أمير المؤمنين نصره الله وأيده في خطاب العرش لسنة 2023م.

(5) عيد العرش المجيد مناسبة للتسامح والرفقة والعطف

ثم إن عيد العرش المجيد يمثل على الصعيد الوطني مناسبة للتسامح والرفقة والعطف على كثير ممن أخل بالنظام العام أو ارتكب ما يقوض الأمن العام بالتعرض للناس ولأموالهم، أو غير ذلك مما يستوجب العقاب، خصوصا إذا بدا من الجاني أو المخطئ ما يدل على صلاح حاله أو إظهار ندمه على ما فرط منه، أو صدر عنه في لحظة طيش أو رعونة غير محسوبة.

فقد اعتاد المغاربة في كل ذكريات عيد العرش المجيد، ومنذ سنوات طويلة، على ترقب تفضل أمير المؤمنين بإصدار عفوه على أفراد من أبناء شعبه المحكوم عليهم من مختلف محاكم المملكة، وحق له أن يعفو، لأن العفو صفة سلطانية، يوصف بها السلطان العادل، وعن علي رضي الله عنه: "عفو الملوك أبقى للملك"¹ وقال صلى الله عليه وسلم: "إن العفو لا يزيد العبد إلا عزا فاعفوا يعزكم الله"²، فعفو أمير المؤمنين نصره الله وأيده هو اتباع لسنة جده المصطفى صلى الله عليه وسلم، وسير على نهج أسلافه المنعمين رضي الله عنهم، وينطبق على صنيعه الجميل هذا، قول الشاعر الحسن بن رجاء:³

صفوح عن الإجرام حتى كأنه * من العفو لم يعرف من الناس مجرما

وليس يبالي أن يكون به الأذى * إذا ما الأذى لم يغش بالكره مسلما

¹ - المناوي، فيض القدير، بيروت، 1972م، ج:4، ص:318.

² - رواه إمامنا مالك في الموطأ، تحقيق فؤاد عبد الباقي، ح: 1000.

³ - انظر ذلك في الفرج بعد الشدة، للتنوخي، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر بيروت 1978م، ج:1، ص:387.



(6) عيد العرش مناسبة للتماسك والوحدة، وتجديد العهد لمواصلة المسيرة وراء قائد البلاد

فيه تجدد البيعة الشرعية للملك، وفيه يترقب المواطنون الخطاب الملكي، يعقبه احتفال وبهجة تعم سائر أرجاء الوطن، فهذا العيد في المغرب هو فريد في نوعه على مستوى العالم؛ لأن فكرته نبعت من إرادة الشعب، ومن أوساط الحركة الوطنية،¹ فهو بهذا عيد بأبعاد تاريخية، ويرمز إلى أمجاد المغاربة ونضالهم ومقاومتهم من أجل التحرر، ثم أصبح هذا العيد رمزا يتفاءل به المغاربة بجميع الرغبات والغايات التي تصبح فيه قابلة للتحقق بيد مولانا أمير المؤمنين دام له النصر والتمكين، الذي هو خير من يجسد الوجود والاستمرار للدولة المغربية، ويشخص السيادة الوطنية، والجهاز المحكم المنتسب إليها، ويرمز إلى وحدة الوطن، فكل هذه المعاني ينبغي أن تتمثل في عيد العرش كعيد وطني رسمي لجميع المغاربة الذين تتاح لهم الفرصة سنويا للتعبير عن الوحدة القومية واستمرار الكيان الوطني.

(7) تعزيز سياسة الاعتدال والتعاون

كما أن عيد العرش المجيد فرصة مناسبة لتعزيز سياسة الاعتدال والتعاون، التي تشكل مبدأ من المبادئ التي وقع عليها إجماع الأمة، منذ القديم، وهو سر من أسرار وحدتها واستقرارها، وضامن استمرارها بفضل إمارة المؤمنين وسهرها الدائم على المضي قدما إلى تحقيق التطلعات وتحقيق الأهداف التنموية في البلاد.

وفي هذا المعنى قال عمر بن عبد الجليل في أحد مقالاته مخاطبا بعض الجهات، بالعدول عن بعض مواقفها وأفكارها زمن الحماية، ونصه: "... ونقول لهم: اعلّموا أن المغرب لا ينهض من كبوته إلا بالمحافظة

¹ - تضمن العدد: 77 - 78 المزدوج من المجلة الفصلية المناهل التي تصدرها وزارة الثقافة المغربية مضمونا خاصا بمولانا محمد الخامس طيب الله ثراه، وتاريخ المغرب المعاصر، وقد ورد في هذا العدد مقالان: أحدهما: تحت عنوان: "فكرة الاحتفال بعيد العرش في الأدب المغربي - دراسة نقدية - لعادل بمنصور، من الصفحة: 259 - 300. والآخر لمحمد حسن الوزاني، بعنوان: عيد العرش والحركة الوطنية، من: ص: 471-477 وفيهما تفصيلات تاريخية ومعلومات أخرى متعلقة بمبررات الاحتفال بعيد العرش المجيد.



على النظام، فلتتركوا عنكم ما كان علق بأذهانكم في الماضي من أفكار ثورية، ولتلتفتوا حول ملككم المحبوب وعرشه المجيد، ففيهما ضمان حريتنا ووحدة بلادنا...¹

وبالإضافة إلى ما سبق فإن هذا العيد السعيد:

- (8) يقوي الشعور العام بالأمن والاطمئنان، والشعور بالحرية.
- (9) ويتجدد فيه العزم على المضي قدما في التمكين للدولة المغربية، والعمل على تبوئها المكانة التي تستحقها بين سائر الدول، باعتبارها دولة عريقة، وذات حضارة وتاريخ. وهو ما أشار إليه خطاب العرش للسنة الماضية: 2023م.
- (10) وهو مناسبة لزرع روح المواطنة الحققة في نفوس الناشئة، وتعريفهم بأجداد بلادهم، وتأهيلهم إلى فهم حقيقة الشخصية المتفردة لأسلافنا الأماجد، وحثهم على اتخاذهم قدوة في حياتهم، بما يخدم أهداف تنشئة المواطن الصالح.
- (11) ويتجدد فيه العهد وإعلان الولاء والتعلق بإمارة المؤمنين.
- (12) وأنه مناسبة لقياس مدى التقدم والتطور الذي تحقق فيما مضى، ومناسبة للتخطيط للمستقبل ورسم للأهداف التي يراد تحقيقها. وقد أشار مولانا أمير المؤمنين محمد السادس، نصره الله وأيده، إلى هذا الأمر في خطاب العرش المجيد لسنة 2023م، إذ يقول: "وإننا نحمده تعالى على ما أنعم به علينا من عونه وتوفيقه؛ حيث تمكنا من تحقيق العديد من المنجزات، ومن مواجهة الصعوبات والتحديات.

والمغاربة معروفون، والحمد لله، بنخصال الصدق والتفائل، وبالتسامح والانفتاح، والاعتزاز بتقاليدهم العريقة، وبالهوية الوطنية الموحدة.

¹ - محمد حسن الوزاني، حياة وجهاد: (التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية) ج: 6 - ظهور الأحزاب والمطالبة بالاستقلال: 1937 - 1946م. مؤسسة محمد حسن الوزاني، 1986م، ص: 105.



واليوم، وقد وصل مسارنا التنموي إلى درجة من التقدم والنضج، فإننا في حاجة إلى هذه الجدية، للارتقاء به إلى مرحلة جديدة، وفتح آفاق أوسع من الإصلاحات والمشاريع الكبرى، التي يستحقها المغاربة.

فهذه هي أهمية ودلالات عيد العرش؛ عيد التحديات، واليقظة العامة ضد المؤامرات الصادرة عن كيانات وجهات معادية بسبب غيظها وعدم رضاها على ما يحققه المغرب من خطوات كبيرة على كافة الأصعدة؛ سياسيا، واقتصاديا، واجتماعيا، وأمنيا، وغير ذلك. وستبقى كل هذه المحاولات والمناورات تصطدم بأسوارنا المنيعّة التي بناها جلاله الملك حفظه الله مع شعبه، أساسها الوحدة والإيمان، وذروتها التعلق بأهداب العرش العلوي المجيد، ضامن الاستقرار والماسك الأمين لمفاتيح المستقبل المشرق.



إمارة المؤمنين وأثرها في حفظ الملة ووحدة الأمة

ذ. الحسين مهداوي

باحث في الدراسات الإسلامية- وجدة

الحمد لله الملك الخلاق، المنعم على عباده بصنوف النعم والأرزاق، جعل منصب إمارة المؤمنين في خاصة عباده، ليثبت بين الأنام شرعه ويظهر في المناصفة بينهم حكمته وعدله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام الأمة وقدوة الأمراء والخلفاء، وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛ فإن الحديث عن إمارة المؤمنين وبيان مقاصدها ودورها في تحصين الأمة وحفظ هويتها ووحدتها، من أجل ما ينبغي أن يحرص على بيانه أهل العلم، جمعا للكلمة وحفظا للأمن ودفعاً للفتن؛ إذ في بيان هذا المنصب العظيم ما يظهر حقوق وواجبات الراعي والرعية، التي بها تحفظ الأمة هويتها وتنضبط الأفراد والجماعات بختلف طبقاتها بما يلزمها بمقتضى البيعة الشرعية التي تلزم صاحبها الوفاء بعهدتها، والحرص على تنزيل مقتضياتها وصون معانيها الشرعية. وقد كان علماء المغرب منذ دخل الإسلام إلى هذا البلد المبارك يحرصون على هذا الأصل الشرعي المتعلق بإمارة المؤمنين، بيانا وترشيدها.

أما البيان، فيقوم على إظهار حكم الشرع المتعلق بمنصب الإمامة من تحرير معانيها الشرعية وبيان شروطها المرعية وإظهار مقاصدها الواقعية، ودفع كل ما يعترضها من مخالفات رزية منفية لتعارضها مع أصل الشرع وضابط العقل، وهو ما يظهر في مصنفاتهم سواء المستقلة بهذا



الشأن أو في أبحاثهم التي جعلوها ضمن علوم شرعية سنّية لها صلة برفعة مقام الأمة وتحصين إيمانها؛ إذ الإمامة لها صلة بهذا الباب وأواشج قربي هي لب اللباب.

وأما الترشيّد، فيتخذ طابعا عمليا يتمثل في تحقق العلماء بالوفاء بعهد البيعة الشرعية المتمثل في مشاركتهم البيعة وتحقيقهم بها، ترشيدا لغيرهم من عامة الناس على اتباع أهل العلم والاقتداء بهم والأخذ بمنهجهم في رعايتهم لمنصب إمارة المؤمنين صيانة وحفظا، والالتزام بمقتضياتها الشرعية علما وعملا، لما في ذلك من مصالح عظيمة تتصل بكليات الشريعة، التي بحفظها يُحفظ على الناس أمنهم ومعاشهم واستقرارهم.

وقد جعلت هذه المقالة في محورين أساسيين نتبين من خلالهما عظيم منزلة إمارة المؤمنين وضرورتها لحفظ الأمة.

المحور الأول: إمارة المؤمنين، سؤال المفهوم والمشروعية.

المحور الثاني: مركزية إمارة المؤمنين في حفظ الأمة ووحدتها.

المحور الأول: إمارة المؤمنين، سؤال المفهوم والمشروعية

إن سؤال المعنى المتعلق ببيان حقائق الأشياء، مؤذن بصحة التصور وسلامة التنزيل، وإن معرفة مدلول إمارة المؤمنين والتعرف على حقيقتها، يعين على فهم معناها ومبناها في مجال السياسة الشرعية، وبالتالي سلامة وجودها على وفق ما تقرر في الشريعة وصون المعاني المتعلقة بها عن الاضطراب والإخلال، وإنه كلما ذكرنا هذا المصطلح الشرعي تبادرت للأذهان مجموعة من المصطلحات ذات الصلة به، كالخلافة والإمامة العظمى، وهي جميعا تفيد دلالة واحدة، تتعلق بحفظ نظام الأمة وتنظيم شؤونها ورعاية مصالحها ودفع ما يخل بوجودها على مستوى الكليات الخمس التي أمرت الشريعة بالحفاظ عليها من جهتي الوجود والعدم.



فعنى إمارة المؤمنين يرتبط بالمجال الذي انبثقت منه، وهو ما اصطلاح عليه فقهاء السياسة الشرعية بالإمامة العظمى أو الخلافة، وقد وردت تعريفات كثيرة تبين معنى الإمامة والمجال الذي تنتمي إليه، ومن ذلك قول إمام الحرمين الجويني (ت478هـ): «الإمامة رياسة تامة، وزعامة عامة، تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا»¹.

وقال الماوردي (ت540هـ): «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين، وسياسة الدنيا»².

أما ابن خلدون (ت808هـ) فيرى أن الإمامة هي: «حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الآخروية والدينية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا»³.

ويقول العلامة ابن زكري (ت900هـ) في نظمه "محصل المقاصد مما تعتبر به العقائد":

حقيقة الإمامة الرياسة * في الدين والدنيا مع السياسة

يقول أبو العباس المنجور (ت995هـ) شارحا لقول ابن زكري: «وهي في الشرع عبارة عن رياسة في الدين والدنيا عامة لشخص واحد غير نبي»⁴. وقوله هذا هو اختيار ابن زكري في "بُغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب".

¹ غياث الأمم، أبو المعالي الجويني، ص 27.

² الأحكام السلطانية، أبو الحسن الماوردي، ص 3.

³ المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، 1: 191.

⁴ مختصر نظم الفرائد ومبدي الفوائد، ابن زكري التلمساني، 2: 1273.



فهذه التعريفات التي أوردتها تحدد النطاق الوظيفي لهذا المنصب العظيم، والذي يتمثل في الخلافة عن صاحب الشرع وحفظ الدين بإلزام الناس الخضوع لمقتضياته الشرعية، وصون مصالحهم وتدير شؤونهم الخاصة والعامة.

ولأهمية إمارة المؤمنين ألحقها العلماء بمصنفات الاعتقاد، واختلف تعليلهم لهذا الصنيع، فالإمامة من مسائل الفقه وليست من مسائل الاعتقاد، فهناك من علل الأمر بالإلزام والعادة، أي أنه جرت عادة المصنفين على ذكر مسائل الإمامة في آخر مباحث مصنفات علم الكلام، والسير على طريقتهم في ذلك أسلم من حيث الاتفاق والإقبال على تحصيل مسائلها، ومعرفة مضامينها، وهو اختيار الغزالي في "الاقتصاد".

يقول الغزالي (ت505هـ): «اعلم أن النظر في الإمامة أيضا ليس من المهمات، وليس أيضا من فن المعقولات، بل من الفقهيات»، ثم يقول: «ولكن إذا جرى الرسم باختتام المعتقدات به، أردنا أن نسلك المنهج المعتاد، فإن فطام القلوب عن المنهج المخالف للمألوف شديد النفار»¹.

ومنهم من علل ذلك بذكر الخلاف الحاصل بين أهل السنة والمعتزلة في حكم الإمامة، هل هي بالشرع أم بالعقل؟

فيرى أهل السنة أن الإمامة واجبة بالشرع، واستدلوا بأدلة كثيرة، ويرى المعتزلة أنها واجبة بالعقل، بناء على قاعدة وجوب الأصلح على الله تعالى. وهذا التعليل ذكره الجويني في "غياث الأمم"، والماوردي (ت540هـ) في "الأحكام السلطانية"، وابن عقيل (ت513هـ) في "الأحكام السلطانية"، والآمدي (ت631هـ) في "غاية المرام في علم الكلام"، وغيرهم، فلما كان للإمامة منزع عقدي في هذا الجانب الخاص، نصوا على ذلك في كتب الاعتقاد حتى

¹ الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، ص 391.



يبيّنوا حكمها وينفوا عنها الخلل والاضطراب في التصور، وذلك لما ينتج عنه من انحراف في الاعتقاد والعمل.

وإذا أردنا أن نمنع النظر في تدبر صنيعهم، فإنه يمكننا القول إن جعلها ضمن مباحث الاعتقاد، لبيان ضرورتها في قوام الأمة اعتقاداً وعملاً؛ لأن منصب الإمامة له صلة وثيقة بحفظ الكليات الخمس، وعلى رأسها حفظ الدين، والدين لا يقوم أسه ولا تظهر شعائره إلا بوجود إمام مطاع، فنصب الإمامة، حافظ للدين بقوة السلطان، ولذلك كان أمر إضافة هذا المبحث له تعلق بهذه الإشارة.

وقد استدلل العلماء على مشروعية إمارة المؤمنين بأدلة كثيرة، أذكر منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 58].

يقول محمد الطاهر ابن عاشور: «لما أمر الله الأمة بالحكم بالعدل، عَقَّبَ ذلك بخطابهم بالأمر بطاعة الحكام وُلَاةِ أُمُورِهِمْ؛ لأن الطاعة لهم هي مظهر نفوذ العدل الذي يَحْكُمُ به حُكَّامُهُمْ، فطاعة الرسول تشتمل على احترام العدل المشروع لهم وعلى تنفيذه، وطاعة وُلَاةِ الْأُمُورِ تنفيذ للعدل»¹.

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية»².

وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم»³.

¹ - التحرير والتنوير، ابن عاشور، 5: 97.

² - صحيح مسلم، كتاب الإمامة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، رقم: 1851.

³ - المسند، أحمد بن حنبل، رقم: 6647.



فأوجب صلى الله عليه وسلم تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماع¹.

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً؛ أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم»².

ولابد من التأكيد على أن الباحث في أدلة مشروعية إمارة المؤمنين، يجد أنها قد بلغت درجة القطع في الدلالة على مشروعية إمارة المؤمنين ووجوبها، ويستند ذلك إلى نصوص واضحة جلية، إضافة إلى انعقاد الإجماع على هذا الأصل، ولا أريد أن أطيل في ذكر الشواهد على ذلك، فيمكن الرجوع إليها في مظانها، كالكتب التي اختصت ببيان أحكام الإمامة، مثل كتب الأحكام السلطانية، وكتب السياسة الشرعية، ونجد ذلك أيضاً في مصنفات علم الكلام في المبحث الخاص بالإمامة.

المحور الثاني: مركزية إمارة المؤمنين في حفظ الأمة ووحدتها

لا بد أن نؤكد أن اختيار المغاربة بجميع فئاتهم لهذا الأصل العظيم، إنما هو ثمرة الإيمان بأمر الشرع الذي يحث على تنصيب أمير المؤمنين لحفظ الدين وإقامة الشرع المبين بإظهار أحكامه وعباداته، وتنظيم شؤون الأمة بما يحقق مصالحها ويحفظ أمنها واستقرارها، ولا شك أن الإخلال بهذا الأصل له عواقب وخيمة ومخاطر جسيمة، تهدد أمن الأمة وتفكك وحدتها، وتمزق تماسكها، وتجعل من أبنائها لقمة سائغة لأطماع الأعداء، كل هذه الاعتبارات جعلت إمارة المؤمنين تحتل مركزية مهمة في الأمة ووحدتها.

¹ - إكليل الكرامة في تبيان مقاصد الإمامة، صديق حسن القنوجي، ص 67.

² - صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه، رقم: 3236.



والمقصود بمركزية إمارة المؤمنين أن الأمة لا يمكن أن تستقر أحوالها، وتنهض بمطالبها العمرانية وآفاقها الشهودية، إلا بعد تحققها بالمقتضيات الشرعية لإمارة المؤمنين، المتمثلة في الطاعة بالمعروف والنصرة والوفاء بعهد البيعة، ويظهر أن هذا الواقع كان ماثلاً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وعند الصحابة الكرام، يقول صلى الله عليه وسلم: «سيأتيكم بعدي ولادة، فيليكم البر بربه والفاجر بفجوره، فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق، فإن أحسنوا فلکم ولهم، وإن أساءوا فلکم وعليهم»¹، ويقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: «لا يصلح الناس إلا أمير: بر أو فاجر». قالوا: يا أمير المؤمنين هذا البر، فكيف بالفاجر؟ قال: «إن الفاجر يؤمن الله - عز وجل - به السبل، ويجاهد به العدو، ويحيى به الفيء، وتقام به الحدود، ويحج به البيت، ويعبد الله فيه المسلم آمناً، حتى يأتيه أجله»².

وتنصيبه على وجوب الإمامة دليل على شدة الحرص على حفظ منصب إمارة المؤمنين، وذلك لما يتحقق بوجوده من مصالح لا حصر لها، يقام بها أصل الدين، وتحقق الدماء، وتحفظ الأموال، وتصان به الأعراض، وتدفع به الفتن، وهو ما عبر عنه بقوله: «يؤمن الله - عز وجل - به السبل، ويجاهد به العدو، ويحيى به الفيء، وتقام به الحدود، ويحج به البيت، ويعبد الله فيه المسلم آمناً، حتى يأتيه أجله».

وعمل الصحابة هو أصل معتبر في مجال السياسة الشرعية، واختيار لما يخدم الأمة على مستوى رعاية مصالحها وتنظيم أحوالها، فالاعتبار في أحوالهم والنظر في أقوالهم واجتهاداتهم، يرسم للأمة بمختلف أجيالها المسار الصحيح الذي ينبغي أن تلتزم به لتحقيق نهضتها وبناء مجدها وحفظ هويتها، وقد اشتهر عن إمامنا مالك، رضي الله عنه، أنه قال: «لا يصلح آخر هذه الأمة

¹ الحجّة في بيان الحجّة، إسماعيل الأصفهاني، 2: 419.

² شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي، 13: 187.



إلا بما صلح عليه أولها»، وفي ذلك إشارة قوية إلى التثبت بمنهج السلف الصالح المتمثل في القرون الأولى، وما توارثته المذاهب الفقهية المعتمدة، وعلى رأسها مذهب مالك الأغر.

وقد نص العلماء على بيان مركزية إمارة المؤمنين في رعاية الأمة على مستوى حفظ دينها وصون مصالحها، يقول إمام الحرمين في "غياث الأمم": «ولا يرتاب من معه مسكة من عقل أن الذب عن الحوزة، والنضال دون حفظ البيضة محتوم شرعا، ولو ترك الناس فوضى لا يجمعهم على الحق جامع، ولا يزعهم وازع ولا يردعهم عن اتباع خطوات الشيطان رادع، مع تفنن الآراء، وتفرق الأهواء، لانتثر النظام، وهلك الأنام، وتوثب الطغام¹ والعوام، وتحزبت الآراء المتناقضة، وتفرقت الإرادات المتعارضة، وملك الأردلون سراة الناس وفضت المجامع، واتسع الخرق على الراقع، وفشت الخصومات، واستحوذ على أهل الدين ذووا العرامات²، وتبددت الجماعات، ولا حاجة إلى الإطناب بعد حصول البيان، وما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن»³.

ويقول عالم الاجتماع العمراني عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ) في مقدمته: «الملك منصب طبيعي للإنسان؛ لأننا قد بينا أن البشر لا يمكن حياتهم ووجودهم إلا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضرورياتهم. وإذا اجتمعوا دعت الضرورة إلى المعاملة واقتضاء الحاجات، ومد كل واحد منهم يده إلى حاجته يأخذها من صاحبه، لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض، ويمانع الآخر عنها بمقتضى الغضب والأنفة ومقتضى القوة البشرية في ذلك، فيقع التنازع المفضي إلى المقاتلة، وهي تؤدي إلى الهرج وسفك الدماء وإذهاب النفوس، المفضي ذلك إلى انقطاع النوع، وهو مما خصه الباري سبحانه بالمحافظة،

¹ أوغاد الناس.

² الشدة والشراسة.

³ غياث الأمم، أبو المعالي الجويني، ص 28.



واستحال بقاؤهم فوضى دون حاكم يزع بعضهم عن بعض، واحتاجوا من أجل ذلك إلى الوازع وهو الحاكم عليهم، وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم»¹.

فهذه النصوص وغيرها تؤكد حقيقة إمارة المؤمنين ودورها في حفظ الأمة ووحدتها، «فبان أن السلطان ضروري في نظام الدنيا، ونظام الدنيا ضروري في نظام الدين، ونظام الدين ضروري في الفوز بسعادة الآخرة، وهو مقصود الأنبياء قطعا، فكان وجوب نصب الإمام من ضروريات الشرع الذي لا سبيل إلى تركه»².

والذي يمكن أن نختم به القول إن إمارة المؤمنين تنحصر محصلاتها الواقعية في مقصدين:

المقصد الأول: حفظ الدين من خلال تثبيت دعائمه وإظهار شعائره وتفعيل دوره في الحياة، بحيث يجب عن جميع نوازل الناس ويحل جميع إشكالاتهم، وبالتالي يكون هو الملجأ والملاذ عند النوائب، وهذا ما يعبر عنه بالحفظ من جهة الوجود، وأما من جهة العدم فيكون ذلك بدفع كل ما يتسبب في تحريف نصوص الشريعة والتعسف في تأويلها، إفسادا لعقائد الناس وتبليسا عليهم، وتنظيم شأن الفتوى؛ إذ في تفلتها انخرام الأمن وضياع أحوال الناس بتصدر الجهال لإفتاء الناس والجواب عما هو من اختصاص العلماء، ولهذا الأمر اعتنى أمير المؤمنين صاحب الجلالة محمد السادس نصره الله بالشأن الديني عناية عظيمة، تجسدت في إنشاء المؤسسات الدينية التي وإن تعددت تخصصاتها فإن هدفها واحد، وهو صون الدين ورعايته ممثلا في الثوابت التي أجمع المغاربة على اختيارها، وهي ثوابت تنبني على أصول شرعية وقواعد صحيحة مرعية.

¹ المقدمة، لابن خلدون، ص. 156.

² الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، ص 395.



وفي هذا السياق يقول أمير المؤمنين نصره الله في خطابه خلال ترؤسه افتتاح الدورة الأولى لأعمال المجلس العلمي الأعلى بالقصر الملكي بفاس بتاريخ 8 يوليوز 2005م:

«وتفعيلا لتوجيهاتنا السامية بشأن تحديد مرجعية الفتوى التي هي منوطة بإمارة المؤمنين، أحدثنا هيئة علمية داخل المجلس العلمي الأعلى لاقتراح الفتاوى على جلالتنا، وفيما يتعلق بالنوازل التي تتطلب الحكم الشرعي المناسب لها، قطعاً لداير الفتنة والبلبلّة في الشؤون الدينية، وإننا لنتنظر منكم أن تجعلوا من هيئة الفتوى آلية لتفعيل الاجتهاد الديني الذي تميز به المغرب على مر العصور في اعتماده على أصول المذهب المالكي، ولا سيما قاعدة المصالح المرسلة، وقيامه على المزاوجة الخلافة بين الأنظار الفقهية والخبرة الميدانية، وبذلك نقوم بتحصين الفتوى التي هي أحد مقومات الشأن الديني بجعلها عملاً مؤسسيا واجتهادا جماعيا لا مجال فيه لأدعاء المعرفة بالدين ولتطاول السفهاء والمشعوذين ولا للمزاعم الافتراضية الفردية».

المقصد الثاني: رعاية شأن الأمة بحفظ مصالحها، ويتمثل ذلك في إنشاء المؤسسات السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية، وتحديد تخصصاتها العملية التي تؤول في أحوالها إلى حفظ البلاد وتحقيق مصالح العباد على مستوى أمنهم واستقرارهم ومعاشهم.

والحمد لله رب العالمين.



عيد العرش المجيد في ظل حكم أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله: التجليات والتطلعات

ذة. خديجة بوسبع

باحثة في الدراسات الإسلامية- بني ملال

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد؛

يمثل عيد العرش المجيد الذي يوافق 30 يوليوز من كل سنة مناسبة وطنية لاعتلاء صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله عرش أسلافه المنعمين، ولتجديد الولاء والبيعة له، ولإبراز قوة الالتحام بين العرش والشعب، وللتأكيد على مدى تعلق المغاربة بحامي حمى الملة والدين.

ويعد عيد العرش المجيد -أيضا- مناسبة للاحتفال بالإنجازات الكبرى التي تمت تحت القيادة الحكيمة لجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، والتي شملت مختلف نواحي الحياة؛ الدينية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها...

ورغم الإصلاحات والإنجازات التي جعلت المغرب يحتل مكانة مهمة على الصعيد الدولي، إلا أنه ما زال يتطلع لتحقيق مزيد من التقدم والرفق.



ولأهمية عيد العرش لدى المغاربة ارتأيت الكتابة في هذا الموضوع الموسوم بـ "عيد العرش المجيد في ظل حكم أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله: التجليات والتطلعات"، من خلال الآتي:

1- تجليات عيد العرش المجيد في عهد أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله

أ- تدبير الشأن الديني في ظل إمارة المؤمنين

منذ اعتلاء صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله عرش أسلافه المنعمين، وجلالته يسعى إلى بناء وإصلاح هذا الوطن العزيز؛ فقد تعددت الإنجازات والإصلاحات التي شهدتها المملكة المغربية في جميع الميادين؛ ومن بينها تدبير الشأن الديني الذي تميز "بنشاط فعال هام؛ تمثل بالأساس في إعادة هيكلة الحقل الديني وتقويته، وذلك استناداً إلى استراتيجية محددة البرامج والمشاريع، قادتها إدارة جديدة حيوية من حيث بنياتها وهياكلها ومواردها البشرية. وشملت العناية الملموسة المركزة، ثلاثة محاور كبرى، هي أماكن العبادة، وتأطير الممارسة الدينية، وتعزيز التعليم والتكوين"¹.

ونظراً لأهمية المسجد في الدين الإسلامي، فإن أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله، أولاه عناية فائقة إصلاحاً وترميماً لما كان موجوداً، وبناءاً للجديد ليسير النمو الديموغرافي للسكان. بل إنه أعزه الله، قد عمل بسياسة القرب في بناء المساجد حتى يتمكن كل مسلم من الصلاة بالقرب من مسكنه أو عمله، "وقد كان هذا التوجه وراء القرار الملكي القاضي بمضاعفة الجهود لبناء المساجد ومصليات أخرى في مختلف الأحياء السكنية، دون إهمال المباني القديمة وخصوصاً المساجد التاريخية. وعملاً بالقرار الملكي قامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بفتح ورش واسع يهم إجراء

¹ - من كتاب مساجد المغرب، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، سنة 2011م، عمل علمي يقدم رؤية شاملة عن مساجد المغرب عبر العصور، تم إعداده استناداً إلى بحث تاريخي أركيولوجي حول المساجد، وقام بتأليفه مجموعة من الجامعيين، وأشرف على تنسيقه الأستاذ عبد العزيز التوري/ انظر: الهندسة المعمارية الدينية في عهد أمير المؤمنين جلاله الملك محمد السادس، الانتشار والتطور، المساجد، (موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية).



جاء لأماكن الصلاة الموجودة حالياً، وتدعيمه بدراسة مستقلة، الهدف منها التعرف أكثر ما يمكن على الخصاص الحاصل في ميدان بناء المساجد قصد تداركه وتلبية الحاجات"¹.

بالإضافة إلى غايات أخرى لإصلاح الحقل الديني كتثبيت الأسس المذهبية للمغرب، وترسيخ الهوية الأصيلة للمملكة. وقد جعل أمير المؤمنين حفظه الله - منذ السنوات الأولى لتوليهِ العرش - هذا الإصلاح حقلاً أساسياً، بهدف ضمان تدبير حكيم للشأن الديني، يأخذ بعين الاعتبار تطور المجتمع المغربي مع الوفاء لأسس الهوية الروحية الفريدة للبلاد، حيث وضعت استراتيجية متعددة الأبعاد لتجديد الحقل الديني عبر إعادة تنظيم المجلس العلمي الأعلى وتأهيل الأئمة.

وقد شمل هذا الإصلاح ميادين متعددة تكاثر الممارسة الدينية، وتعزيز التعليم والتكوين، وإحداث هيئات علمية مختلفة...²

وقد حظيت السياسة الملكية الحكيمة في تدبير الشأن الديني باهتمام البلدان الإفريقية، التي سعت إلى الاستفادة من هذه التجربة المتميزة بالوسطية والاعتدال، والانفتاح على الآخر، ومحاربة الفكر المتطرف، وباستيعاب مختلف الفئات تحت مبدأ المواطنة، والتعايش والأمن والاستقرار.

ب- مظاهر الرعاية الاجتماعية في عهد أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله

❖ الاهتمام بالتعليم

نظراً لأهمية الرأسمال البشري، فقد حاز الجانب الاجتماعي على مساحة كبيرة في الخطابات الملكية السامية؛ وعلى رأس هذا الجانب التعليم الذي يأتي بعد الوحدة الترابية، باعتباره الأساس لبناء المجتمعات

¹ مساجد القرب في عهد أمير المؤمنين جلالته الملك محمد السادس، المساجد، الأربعاء 23 يناير 2013م، (موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية).

² - للتوسع في هذا الجانب ينظر البحث الموسوم بـ "جهود أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله في خدمة مصادر الوحي: منصة محمد السادس للحديث الشريف نموذجاً"، ذ. خديجة بوسبع، موقع الثوابت الدينية المغربية الأفريقية، المملكة المغربية، 2023/02/08م.



وتطورها، ويبدو هذا واضحاً في خطاب صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، حيث قال: "تشغل قضية التعليم حيزاً كبيراً من اهتماماتنا الآنية والمستقبلية لما تكتسبه من أهمية قصوى، ولما لها من أثر في تكوين الأجيال، وإعدادها لخوض غمار الحياة والمساهمة في بناء الوطن، بكفاءة واقتدار، وبروح التفاني والإخلاص، والتطلع إلى القرن الحادي والعشرين بممكنات العصر العلمية، ومستجداته التقنية، وما تفتحه من آفاق عريضة للاندماج في العالمية".¹

وما فتئ أمير المؤمنين، أعز الله أمره، يولي الأولوية لقطاع التعليم، لذا نجده في مناسبات كثيرة يشيد بالأدوار التي يقدمها، يقول حفظه الله: "ينبغي أن نعمل على ترسيخ دور المؤسسة التربوية كرافعة أساسية للتحديث والتقدم، وتعميق المواطنة والممارسة الديمقراطية، والارتقاء بمؤشراتنا التنموية، مع جعل شبابنا أكثر تشبعاً بروح المبادرة والمسؤولية والانفتاح والاعتدال والتسامح. كما يتعين على مؤسساتنا التربوية، أن تمنح الأجيال الصاعدة أدوات الانفتاح والتباري على الصعيدين الجهوي والدولي، وأن تزودهم، في الوقت ذاته، بالمبادئ والقيم المثلى الكفيلة بجعلهم معترزين بهويتهم وأصالتهم، ومسهمين في الارتقاء بأوطانهم والاهتمام بقضاياها العادلة وانشغالاتها الحقيقية".²

ولتحقيق هذه الأهداف، فإن جلالة الملك نصره الله يسعى لإزالة مختلف العراقيل بمساعدة الفئات المعوزة من الشعب بمنح مليون محفظة سنوياً لمليون طفل محتاج³، وملاءمة التعليم لسوق الشغل⁴.

¹ - مقتطف من خطاب العرش الذي وجهه أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله إلى الأمة المغربية بمناسبة اعتلاء جلالته عرش أسلافه الميامين، 30 يوليوز 1999م.

² - نص رسالة جلالة الملك إلى المشاركين في المنتدى العربي الخامس للتربية والتعليم، ص 4-5.

³ - مقتطف من خطاب جلالة الملك حفظه الله بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب 2008م.

⁴ - مقتطف من نص الخطاب السامي الذي وجهه جلالة الملك محمد السادس نصره الله إلى الأمة بمناسبة عيد العرش المجيد، البوابة الوطنية للجماعات الترابية، تطوان يوم 2010/07/31م.



❖ أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وحقوق المرأة المغربية

تحتل المرأة بأهمية متميزة من قبل أمير المؤمنين نصره الله، فهي عنصر مهم في تنمية المجتمع وتقدمه. وتبدو هذه المكانة واضحة في خطابات صاحب الجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، الذي أولى عناية كبيرة للنهوض بشؤون المرأة، وفي هذا السياق يقول نصره الله: "فإنني قد أبرزت إشكالاتها الجوهرية، غداة تحلي الأمانة العظمى، لإمارة المؤمنين، متسائلاً في خطاب عشرين غشت لسنة 1999م: "كيف يمكن الرقي بالمجتمع، والنساء اللواتي يشكلن نصفه، تهدر حقوقهن، ويتعرضن للحيث والعنف والتمييز في غير مراعاة لما خولهن ديننا الحنيف، من تكريم وإنصاف"¹ وقال أيضاً: "إن بناء مغرب التقدم والكرامة، الذي نريده، لن يتم إلا بمشاركة جميع المغاربة، رجالاً ونساء، في عملية التنمية. لذا نشدد مرة أخرى، على ضرورة المشاركة الكاملة للمرأة المغربية في كل المجالات.

وقد حرصنا منذ اعتلائنا العرش على النهوض بوضعية المرأة، وفسح آفاق الارتقاء أمامها، وإعطائها المكانة التي تستحقها. ومن أهم الإصلاحات التي قمنا بها، إصدار مدونة الأسرة، واعتماد دستور 2011م، الذي يكرس المساواة بين المرأة والرجل، في الحقوق والواجبات، وينص على مبدأ المناصفة، كهدف تسعى الدولة إلى تحقيقه. فالأمر هنا، لا يتعلق بمنح المرأة امتيازات مجانية؛ وإنما بإعطائها حقوقها القانونية والشرعية. وفي مغرب اليوم، لا يمكن أن تحرم المرأة من حقوقها. وهنا، ندعو لتفعيل المؤسسات الدستورية، المعنية بحقوق الأسرة والمرأة، وتحيين الآليات والتشريعات الوطنية، للنهوض بوضعيتها... فالمدونة تقوم على التوازن؛ لأنها تعطي للمرأة حقوقها، وتعطي للرجل حقوقه، وتراعي مصلحة الأطفال. لذا نشدد على ضرورة التزام الجميع بالتطبيق الصحيح والكامل لمقتضياتها القانونية.

وبصفتي أمير المؤمنين، وكما قلت في خطاب تقديم المدونة أمام البرلمان، فإنني لن أحل ما حرم الله، ولن أحرم ما أحل الله، لاسيما في المسائل التي توطرها نصوص قرآنية قطعية. ومن هنا، نحرص أن يتم ذلك في إطار مقاصد الشريعة الإسلامية، وخصوصيات المجتمع المغربي، مع اعتماد الاعتدال

¹ - خطاب صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله بمناسبة افتتاح السنة التشريعية، الرباط 10/10 / 2003-2004م.



والاجتهاد المنفتح، والتشاور والحوار، وإشراك جميع المؤسسات والفعاليات المعنية. وعلى الجميع أن يفهم أن تمكين المرأة من حقوقها، لا يعني أنه سيكون على حساب الرجل؛ ولا يعني كذلك أنه سيكون على حساب المرأة. ذلك أن تقدم المغرب يبقى رهيناً بمكانة المرأة، وبمشاركتها الفاعلة، في مختلف مجالات التنمية.¹

وبناء على ما سبق، يرى أمير المؤمنين، أعز الله أمره، أن تقدم المجتمع المغربي لن يتحقق إلا بالمشاركة الفاعلة للمرأة والرجل في عملية التنمية.

❖ أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وعنايته بالشباب

نظراً للدور الذي يمكن أن يقوم به الشباب لتنمية المجتمع المغربي؛ فإن جلالة الملك نصره الله أعطى تعليماته السامية للعناية بهم، وتخصيصهم من كل المخاطر والانحرافات، وتبسيط مختلف المساطر لتحقيق مشاريعهم. وقد تجسدت العناية الملكية السامية بالشباب في الخطاب الموجه للأمة بمناسبة الذكرى الـ 65 لثورة الملك والشعب (20 غشت 2018م)، حيث أشار حفظه الله إلى "ضرورة وضع قضايا الشباب في صلب النموذج التنموي الجديد".

وحسب التقرير العام للجنة الخاصة بالنموذج التنموي، فتنمية المغرب تتركز على شباب متحرر، ومزدهر وكفء، يتحلى بروح المواطنة والمبادرة، قادر على استغلال مؤهلاته للمساهمة في تطوير بلاده؛ ذلك أن "أحد الرهانات الكبرى والأساسية للمغرب يتعلق بتزويد هؤلاء الشباب بالكفاءات التي يحتاجونها، ومنحهم فرص تحسين آفاقهم المستقبلية وضمان فضاءات لتمكينهم من التعبير والمشاركة وأخذ المبادرة، مع تعزيز روح المواطنة لديهم، وتشبثهم بثوابت الأمة وتعبئهم الإيجابية في مسلسل تطوير بلدهم".²

¹ مقتطف من خطاب صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله الموجه إلى الأمة بمناسبة عيد العرش المجيد، السبت 30 يوليوز، 2022م.

² ذكرى عيد الشباب: التزام ملكي راسخ لفائدة الشباب، المملكة المغربية، www.maroc.ma



والذي يجب التنويه به في هذا المقام، هو أن الاهتمام الملكي بالشباب ليس قاصراً على ميدان دون آخر، بل إن صاحب الجلالة نصره الله دائم التشجيع والمساندة لهم، بحيث يحفزهم على العطاء والابتكار، وييسر لهم سبل النجاح وتحقيق الذات؛ بغية الإسهام في تنمية المغرب وتطويره، ذلك أن الشباب المبدع يشكل وجهاً مشرقاً لمستقبل البلاد.

ج- تجليات الرعاية المولوية السامية في الميدان الاقتصادي

لقد كان للتوجيهات المولوية السامية لصاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله، الفضل الكبير في تجاوز مختلف الأزمات التي تواجهها المملكة المغربية في الميدان الاقتصادي، وفي هذا الصدد أشار نصره الله إلى أنه بفضل "تضافر جهود الدولة والقطاعين العام والخاص، تمكن الاقتصاد الوطني من الصمود، في وجه الأزمات والتقلبات، وحقق نتائج إيجابية، في مختلف القطاعات الإنتاجية..."، ثم قال: "وإدراكاً منا لتأثير هذه الأوضاع، على ظروف عيش فئات كثيرة من المواطنين، قمنا بإطلاق برنامج وطني للتخفيف من آثار الجفاف على الفلاحين، وعلى ساكنة العالم القروي. كما وجهنا الحكومة لتخصيص اعتمادات مهمة، لدعم ثمن بعض المواد الأساسية، وضمان توفيرها بالأسواق. وهذا ليس بكثير في حق المغاربة"¹.

ومن أجل النهوض بالاقتصاد، فقد تعددت المشاريع الاقتصادية الكبرى التي أشرف عليها صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، سواء تلك المشاريع المتعلقة بالبنى التحتية (الطرق، الموانئ، المطارات، القطار الفائق السرعة...)، أو تلك البرامج الخاصة بالنهوض بقطاعات استراتيجية كالزراعة والصناعة والطاقة البديلة"².

¹ - مقتطف من خطاب صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله الموجه إلى الأمة بمناسبة عيد العرش المجيد، السبت 30 يوليوز، 2022م.

² - 22 عاماً من الإنجازات بالمغرب.. إصلاحات كبرى أحدثت تحولات هيكلية، العين الإخبارية، 30 يوليو 2021م. مؤرشف من الأصل في 20-11-2021م.



ومما تجدر الإشارة إليه، هو أن التوجيهات المولوية السامية ساهمت أيضا في جلب الاستثمارات الأجنبية حتى تكون دافعة للاقتصاد المغربي، قال صاحب الجلالة نصره الله: "ولا بد أن نعمل على الاستفادة من الفرص والآفاق، التي تفتحها هذه التحولات، لا سيما في مجال جلب الاستثمارات، وتخفيض الصادرات، والنهوض بالمنتوج الوطني. وهنا ندعو الحكومة والأوساط السياسية والاقتصادية، للعمل على تسهيل جلب الاستثمارات الأجنبية، التي تختار بلادنا في هذه الظروف العالمية، وإزالة العراقيل أمامها".¹

2- تطلعات المغرب في حكم ظل أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله

قال صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله، في أول خطاب للعرش: "إننا نطمح إلى أن يسير المغرب في عهدنا قدماً على طريق التطور والحدثة، وينغمر في خضم الألفية الثالثة مسلحاً بنظرة نتطلع لآفاق المستقبل في تعايش مع الغير، وتفاهم مع الآخر، محافظاً على خصوصيته وهويته دون انكماش على الذات، في كنف أصالة متجددة، وفي ظل معاصرة ملتزمة بقيمتنا المقدسة"².

انطلاقاً من هذا الخطاب المولوي السامي نستخلص الخطوط العريضة لبعض تطلعات وطموحات صاحب الجلالة نصره الله المستقبلية والشعب المغربي، منها:

أ- طموح الالتحاق بالدول المتقدمة

قال جلالته الملك محمد السادس، نصره الله، بمناسبة عيد العرش المجيد: "ويظل طموحنا الأسمى، هو أن يلتحق المغرب بركب الدول المتقدمة".³

¹ - مقتطف من خطاب صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله الموجه إلى الأمة بمناسبة عيد العرش المجيد، السبت 30 يوليوز 2022م.

² - مقتطف من خطاب العرش الذي وجهه أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله إلى الأمة المغربية بمناسبة اعتلاء جلالته عرش أسلافه الميامين، الجمعة 16 ربيع الثاني 1420 / 30 يوليوز 1999م.

³ - مقتطف من نص الخطاب الملكي السامي الذي وجهه جلالته الملك إلى الأمة بمناسبة عيد العرش المجيد، المملكة المغربية،

www.maroc.ma، 2019/07/29م



وإذا كانت الدول المتقدمة تعرف بأنها مجموعة الدول التي حققت تقدماً في المجال الاقتصادي والإنتاج الصناعي، بحيث تكون لها القدرة على التصنيع والاختراع بشكل فعال، فإن المغرب قد حقق نهضة كبيرة في ميادين متعددة تشهد على الجودة والكفاءة العالية، والقدرة على التصنيع والابتكار والتصدير؛ إذ تمكن المغاربة من ابتكار نموذج سيارة لأول مصنع مغربي، ونموذج أولي لمركبة تعمل بالهيدروجين؛ وهما سيارتان تحملان علامة "صنع في المغرب"، وهما مبادرتان تنسجمان مع الرؤية الملكية السامية الهادفة إلى التحاق المغرب بالدول المتقدمة؛ حيث انتقل من تركيب السيارات واستيرادها إلى بلد يصنع السيارات ويصدرها لباقي الدول، كما تمكن من صنع حافلات حديثة ومحافظة على البيئة، وبناء محطات طرقية جديدة، ومدن متطورة، ومستشفيات عالية الجودة...

إنجازات تشهد لتطور المغرب بإمكاناته وكفاءاته وصناعاته المحلية؛ مما جعل العالم ينبهر بما وصل إليه من التقدم التكنولوجي والصناعي، الذي شاهده في ظل قيادة صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله.

وقد نبه جلالاته على ضرورة الحفاظ على مكتسباتنا والحرص على تطويرها، حيث قال نصره الله في الخطاب السامي بمناسبة الذكرى الحادية والستين لثورة الملك والشعب: "إن المكاسب والمنجزات التي تم تحقيقها، لا ينبغي أن تكون دافعاً للارتياح الذاتي، بل يجب أن تشكل حافزاً قوياً على مضاعفة الجهود والتعبئة الدائمة. فالاقتصاد المغربي إما أن يكون صاعداً، بفضل مؤهلاته، وتضافر جهود مكوناته، وإما أنه سيخلف موعده مع التاريخ. لقد بلغ نموذجنا التنموي مرحلة من النضج، تجعله مؤهلاً للدخول النهائي والمستحق ضمن الدول الصاعدة. إلا أن السنوات القادمة ستكون حاسمة لتحسين المكاسب، وتقويم الاختلالات، وتحفيز النمو والاستثمار"¹.

¹ ملتقى دولي حول موضوع: "النموذج التنموي المغربي للدخول النهائي ضمن الدول الصاعدة"، وزارة الاقتصاد والمالية، 2010/05/24م، www.finances.gov.ma



ومن أجل تحقيق هذا المبتغى أشار جلالته حفظه الله إلى مجموعة من الانتظارات وذلك بقوله: "مضاعفة الجهود للارتقاء بالاقتصاد الوطني إلى عتبة أعلى من التحديث والانفتاح والتنافسية، والنمو القوي والمستدام يظل من أهم الرهانات التنموية التي يتعين كسبها، للارتقاء بالمغرب إلى مصاف الدول المتقدمة. وهو ما يقتضي اعتماد حكمة تنموية متناسقة، كفيلة بالتفعيل الأمثل للمخططات القطاعية، ومواصلة الأوراش الهيكلية؛ وذلك في إطار الحفاظ على التوازنات الكبرى... كما أن كسب هذه التحديات وغيرها من الرهانات الكبرى لمغرب اليوم والغد، يتطلب تضافر جهود كل المؤسسات والقوى الحية للأمة. فبلادنا ستظل في حاجة إلى طاقات جميع أبنائها، داخل الوطن وخارجه، للمساهمة البناءة في توطيد مغرب الوحدة والديمقراطية والكرامة والتقدم والتضامن. وفي ذلك فليتنافس المتنافسون"¹.

ب- علاقة المغرب مع الآخر

قال صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله: "وإذا كان المغرب ينتمي إلى العالم العربي الإسلامي، فإن موقعه الجغرافي على رأس القارة الإفريقية، مطالاً في شماله على أوروبا، وفي غربه على أمريكا، يحتم علينا متابعة سياسة والدنا المقدس، المتسمة بالفتح والحوار، بتقوية روابط التعاون مع أشقائنا الأفارقة، وتمتين أواصر التبادل مع أصدقائنا الأوروبيين والأمريكيين بما يعود على منطقتنا والعالم كله بالنفع والخير في إطار أخذ وعطاء مستمرين، وفي نطاق التقدير والاحترام، والسعي إلى أن يعم الأمن والسلام."²

نستخلص من هذا المقتطف أهمية الموقع الجغرافي للمغرب وبعده العربي الإسلامي في تنويع حلفائه ونسج علاقات طيبة على الصعيدين الدولي والقاري؛ فعلى صعيد قارة إفريقيا، هناك مشتركات متعددة لتوثيق الروابط وخدمة المصالح المتبادلة؛ كالانتماء إلى نفس القارة والتاريخ والدين والحضارة.

¹ مقتطف من نص الخطاب الذي ألقاه جلالة الملك أمام أعضاء مجلسي البرلمان في افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية الخامسة من الولاية التشريعية الثامنة، الجمعة 14 أكتوبر 2011م، www.parlement.ma
² خطاب العرش الذي وجهه أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله إلى الأمة المغربية بمناسبة اعتلاء جلالته عرش أسلافه الميامين، مجلة دعوة الحق، العدد 353.



أما على مستوى العلاقة المغربية مع الدول الغربية؛ فقد تحكمت فيها عوامل عدة، منها التاريخ الذي يشهد أن المغرب كان أول دولة اعترفت باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية، وفي الغالب كانت المملكة المغربية من أبرز الحلفاء الاستراتيجيين في شمال إفريقيا للولايات المتحدة الأمريكية في تبني رؤيتها للأحداث والمواقف الدولية، متعاونة معها في توجهاتها ضد الإرهاب والتطرف، وقد أثمرت العلاقة بين البلدين اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بسيادة المغرب على الصحراء.¹

وبالنسبة للعلاقات المغربية الأوروبية، فيعد المغرب بمثابة جسر تواصل بين إفريقيا وأوروبا، و"العلاقة بين المغرب والاتحاد الأوروبي ليست وليدة اليوم، فالاعتبارات التاريخية والجغرافية والثقافية والسياسية كانت بمثابة الأسس لبناء دعائم تعاون قوي ومتنوع تم تعزيزه على مر السنين".²

وعلى العموم، ففي عهد أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، أعز الله أمره، انضم المغرب من جديد إلى الاتحاد الإفريقي، ووطّد علاقاته مع دول مجلس التعاون الخليجي، وحسّن علاقاته مع أوروبا، ورسخ موقعه كحليف دولي في مكافحة الإرهاب والهجرة غير الشرعية³. وبفضل هذه الرؤية الملكية المؤطرة لعلاقة المملكة الشريفة والرامية إلى التعاون والتعايش مع الآخر، استطاع المغرب أن يكسب ثقة واعتراف أغلب البلدان بسيادته على صحرائه، وقد صدق صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله حين قال إن "المغرب سيظل في صحرائه والصحراء في مغربها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها"⁴.

¹ العلاقات بين المغرب والولايات المتحدة الأمريكية: الواقع والآفاق، أحمد بابا أهل عبيد الله، مركز دراسات الوحدة العربية، دراسات، 15 سبتمبر 2022م.

² العلاقات بين المغرب والاتحاد الأوروبي مؤطرة بتصميم استراتيجي (خبير سياسي)، الشرقاوي الروداني، وكالة المغرب العربي للأنباء، الجمعة 3 مارس 2023م، www.mapexpress.ma

³ ينظر: التقدّم والفرص الضائعة: المغرب يدخل عقده الثالث تحت حكم الملك محمد السادس، ياسمينه أبو الزهور، مركز بروكنجز الدوحة قطر، موجز السياسة/ يوليو 2020م، ص:1.

⁴ جلالة الملك: المغرب سيظل في صحرائه والصحراء في مغربها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وكالة المغرب العربي للأنباء، الخميس 6 نوفمبر 2014م، www.mapexpress.ma



الخاتمة

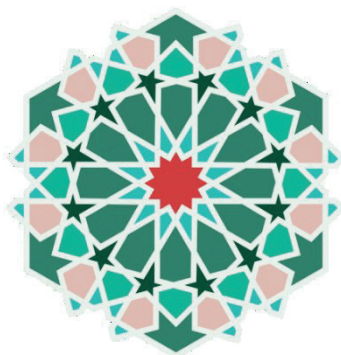
في ختام هذا المقال نخلص إلى الآتي:

- أن عيد العرش المجيد مناسبة وطنية لتقويم الإنجازات السابقة، ولوضع الخطوط العريضة للارتقاء بالمغرب إلى مصاف الدول المتقدمة.
 - أن ذكرى عيد العرش المجيد فرصة لتربية الأجيال على حب الملك والوطن، وعلى شحذ الهمم على الحفاظ على أمن واستقرار البلاد.
 - أن من تجليات عيد العرش المجيد البيعة الشرعية وما تقتضيه من السمع والطاعة لولي الأمر، فهي عقد شرعي يجمع شمل المغاربة ويقوي وحدتهم ومحبتهم لأمير المؤمنين حفظه الله.
 - أن إمارة المؤمنين تضمن الحفاظ على الثوابت المغربية، وترسخ الأمن الروحي والمادي للمواطنين.
 - أن هذه الذكرى المباركة فرصة لاستحضار عظيم المنجزات في ظل إمارة المؤمنين؛ سواء تلك التي همت الإصلاح الديني، أو تلك التي عنت بأوضاع المرأة والتعليم والشباب والرياضة وبناء المشاريع وتنمية الاقتصاد المغربي...
- حفظ الله مولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله، حامي حمى الملة والدين، وجعله ذخراً وملاذاً لكل المغاربة والمسلمين والناس أجمعين، آمين.



مقالات ذكرى ثورة الملك والشعب







ثورة الملك والشعب رهان المغرب الجديد

ذ. عبد الخالق أحمدون

رئيس المجلس العلمي المحلي بطنجة

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

لقد شكلت ثورة الملك والشعب حدثا تاريخيا مجيدا، وهي بمثابة عقدٍ جمع بين الملك وبين شعبه، قوامه العهد والوفاء للملكية، وغايته تحقيق الحرية والاستقلال. كما ترجمت هذه الثورة الخالدة في ذاكرة المغاربة أروع صور الوطنية الصادقة وأعلى التضحيات في سبيل الوطن، ومنعظا حاسما في ملحمة الكفاح المغربي من أجل الحرية والاستقلال.

وفي نظري، ينبغي أن ننظر إلى هذه الذكرى من زاويتين متكاملتين متلازمتين لا تفصلان:

الزاوية الأولى: الذكرى في عمقها التاريخي وجذورها النضالية.

الزاوية الثانية: الذكرى في امتدادها الزماني وتطلعاتها المستقبلية وفعلها التجديدي التنموي.

وفي هاتين الزاويتين ستظل ثورة الملك والشعب حاضرة في مسيرة التنمية التي يسير المغرب في طريقها بخطى وطيذة تحت القيادة الرشيدة لمولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله، الذي يستنير في معركة التنمية بنضال جده جلالته الملك محمد الخامس رمز التحرير ووالده جلالته الملك الحسن الثاني رمز البناء والتشيد.



وتبقى هذه الذكرى العظيمة، والملحمة الخالدة، شعلة مضيئة، وعنوان الوفاء والإخلاص؛ ومن هنا وجدنا صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله، يسير على سنن جده وأبيه في استحضار دلالات هذه الذكرى كلما حلت مناسبتها الجليلة، ليعيد للأمة صورة من تاريخها المجيد وبطولتها الخالدة. قال جلالته، حفظه الله، في خطابه السامي بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب وعيد الشباب: «وعلى الرغم من أنه مر على أحداث هذه الثورة نحو نصف قرن، فإن وقائعها ما تزال متمثلة في أذهان المغاربة المطبوعين على الوفاء والإخلاص، ومرتسمة في قلوبهم، يستحضرونها كل عام، وسيظلون مستذكرين لها مهما امتدت السنوات والأعوام، ومن خلالها يسترجعون صحائف رائعة من التاريخ المجيد الذي كتبه أبناء هذا الوطن بدمائهم الزكية الطاهرة بأحرف نورانية باهرة»¹.

الزاوية الأولى: الذكرى في عمقها التاريخي وجذورها النضالية، حيث يكشف لنا مشهدها عن شباب كله حماس ووطنية وتعلق بالعرش، فالشباب المغربي كان طليعة تلك الفرحة ووجهها المشرق المعبر وطاقتها المتفجرة، وشباب تلك الأيام كان شباب ثورة ووطنية وحماس، شابا كان وقود الثورة الوطنية وخريج مدرسة الحركة الوطنية، شباب الكفاح والوعي والإرادة. شبابا استعد كل فرد من أفرادها للتضحية بمصالحه الشخصية في سبيل المصلحة الاجتماعية، وبمشتبائاته الملحة لأجل صيانة الفضيلة، والمحافظة على الأخلاق الكريمة، يتغلب على العواطف الهاجئة بالعقل، وعلى الضعف البشري بالواجب، وعلى الهواجس الشيطانية بالإيمان...

أشبال هذا المغرب الأقصى الألى * وهبوا حياتهم ليوم نضال

حتى استردوا مجدهم ومليگهم * للعرش عرش الأسد والأبطال

ونحن في هذا العصر أحوج ما نكون إلى أرواح يقظة، وقلوب حية، وعقل نظيف، وشعور ملتهب، وطموح نبيل، وفوق ذلك مفتقرون إلى رجولة كاملة تؤمن بالله وتشعر بالمسؤولية، وتتحاف العاقبة،

¹ الخطاب السامي لصاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب وعيد الشباب، بتاريخ: 20 غشت 2000م.



ليحدوها الإيمان والشعور، وخوف الله لأن تقوم بالواجب لأنه واجب، إذ الحياة إذا نضب منها الإيمان، وتزعزعت فيها العقيدة فقدت قيمتها وتدهورت مزاياها.

وتصور لنا مشاهد هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ المغرب العمليات الفدائية، والانتفاضات والمظاهرات في جميع أنحاء المغرب شمالا ووسطا، شرقا وجنوبا، في الجبال والسهول والهضاب والصحاري، والمغاربة يهتفون بصوت واحد: "ابن يوسف إلى عرشه، الاستعمار إلى قبره". دون إغفال دور الفتاة والمرأة المغربية الحرة التي ناضلت بجانب أبيها وزوجها، وأخيها الرجل في سبيل الحرية والاستقلال، وفاءً للروابط المتينة بينهم وبين ملكهم، إذ خرج الشعب المغربي بكل فئاته في مختلف أرجاء البلاد في انتفاضة عارمة وبكل شجاعة وحزم من أجل التصدي لخطط الاستعمار، ليفجر غضبه ويؤكد رفضه المطلق لإبعاد الملك الشرعي عن عرشه ووطنه، وليضرب بذلك مثلاً رائعا للوفاء والإخلاص.

قوم على هامة الجوزاء قد صنعوا * مفاخر الدهر لا للزهو والفتن
وإنما ليعيدوا العلا صورا * كالضوء يهدي إلى العلياء والسَّن

ولم يكن للإدارة الاستعمارية إلا الرضوخ للأمر الواقع والدخول في مفاوضات مباشرة مع السلطان المغفور له مولانا محمد الخامس، طيب الله ثراه، بداية من فاتح نونبر 1955م، توج برجوع سليل الدولة العلوية الشريفة إلى أرض الوطن حاملا معه بشرى الحرية والاستقلال.

لقد كان المغفور له مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه ملكا ليس كالمملوك، وزعيم شعب عز نظيره في العالم، وجاءت توضيحاته دليلا ساطعا على أن الملكية في المغرب ليست مؤسسة سياسية أو نظاما للحكم فحسب، ولكنها عقيدة يؤمن بها الشعب، وجزء لا يتجزأ من تراثه الحضاري ووجوده المادي والمعنوي، وهذا، يختلف المقاييس، أرسخ قاعدة وأقوى صلابة وأبعد أثرا في حياة الشعب.

صدق الذي سماه ثورة عاهل * ضحى، وشعب كان خير مثال
إن ابن يوسف آية الحق التي * أحييت عهد السعد والإقبال



إن ابن يوسف طلعة طويت بها * لما تجلّت صفحة الأهل

هذه الذكرى الخالدة أطاحت بالاستعمار، وقوضت أركانه، وزعزعت دعائمه، وأتى الله بنيانه من القواعد، فحققت للأجيال المقبلة نعمة الحرية والكرامة والمساواة، فاضطلع الملك والشعب بمسؤولية الاستقلال وأعبائه بفضل جهاد الرائد العظيم الذي حمل المصباح والقائد الماهر الذي رفع العلم جلالة المغفور له مولانا محمد الخامس، أكرم الله مثواه، ويرد بالرحمة ثراه، وأجزل له المثوبة والأجر.

وفي يوم عشرين غشت من عام 1953م توشجت أواصر المحبة المتينة، وتوطدت وشائج الحب والوفاء بين ملك ملهم، وعاهل محنك موفق، وبين شعب واع ألقى مقاليد أموره بيد العرش، وتفانى حبا في الجالس عليه، فجاهدا في الله حق جهاده، وكتب لهما النصر المؤزر الذي أعاد إلى البلاد حريتها، واستقلالها الناجز، وكرامتها المغصوبة، وحررها من أغلال الظلم والعدوان، وأثقال البغي والطغيان.

وبذلك دخل يوم 20 غشت تاريخ المغرب والعروبة والإسلام، لما يرمز إليه من وفاء وتضحية وتفان في الدفاع عن مقدسات شعب تعلق بالحرية وشغف قلبه بها ولاء وانتماء ووفاء وتضحية.

وقبل هذا وذاك، كان يوم 20 غشت المدرسة الوطنية التي تخرج منها قائد المغرب ورائد نهضته ومحرر صحرائه وموحد صفوفه، جلالة الملك مولانا الحسن الثاني، طيب الله ثراه. الذي تجددت الذكرى في عهده، فكانت في كل مناسبة تحل فيها طيلة عهده قدس الله روحه من 1961م إلى 1999م، إلا وتحمل معاني جديدة مضافة إلى المعاني والمضامين التي جاءت بها منذ عودة والده مولانا محمد الخامس رحمه الله، تلاحت في عهده معاني بناء الأمة والدولة، وتجديد الحياة فيها، مهندسا بذلك بناء المغرب ودولته العصرية الحديثة. فكان معنى ثورة الملك والشعب هو إكمال وحدة التراب الوطني، وبناء مؤسسات دولته بناء ينصهر فيه مفهوم "الدولة المغربية الحديثة"، فكانت ثورة الملك والشعب ثورة انبعاث وتجديد وسداد وإرشاد.

وما يعيننا نحن جيل الاستقلال من هذه المشاهد المشرقة في تاريخ المغرب إلا الدروس والعبر والمعاني والدلالات والمبادئ والأفكار التي كان يحملها رواد ثورة الملك والشعب، لتستمر هذه الثورة



وهاجة، وليبقى الوطن عاليا وشامخا كما يريدُه جميع المغاربة الأحرار والكرماء، ولتستثمر هذه المبادئ للسير قدما إلى الأمام تحت القيادة الرشيدة لأُمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله.

لقد واجه المغرب المستقل التحدي وتغلب عليه، وبرهن أبنائه أنهم قادرون ليس فقط على «ملء الفراغ» الذي تركه الاستعمار، بل على تشييد صرح دولة حديثة برجالها وأطرها وقوانينها وأجهزتها، وكان جيل شباب الاستقلال هو الذي يحمل العبء الأكبر في تلك الفترة الحاسمة، وكان الحماسُ عدته، والأملُ سلاحه، والثقةُ سبيله. وهو التحدي الذي رفعته وترفعه أجيال الشباب منذ تلك السنة إلى الآن أمام كل الصعوبات، معلنةً أنها ستبقى وفية للعهد: عهد الملوك والآباء والأجداد.

إن الأمم الحية التي تكمن في كيانها روح الخلود والصمود في وجه ما يعترضها من متاعب وعقبات وعثرات، لا يمكن للحوادث والأحداث مهما كانت آثارها بالغة أن تنال مما هو كامن في ذاتها وأعماقها من آفة التحدي وعنصر الحياة.

فالذكرى عظيمة كما نرى: بل إن عظمتها لتجذر في تاريخ مغربنا الحديث وتكبر حتى تكون نتويجا تاريخنا لنضال مواطنينا منذ بداية القرن العشرين من أجل الاستقلال الوطني.

وإن واجب الوفاء لملوكنا الأبرار ولشهداءنا الأبطال الذين ضحوا بكل شيء لكي ينعم المغاربة اليوم بالحرية والكرامة والاستقلال، يفرض علينا نحن الجيل الحالي أن نحمي تلك المبادئ التي حملها الأسلاف وناضلوا من أجلها ليحقق بلدهم التقدم المنشود. لقد ضحوا بأرواحهم لكي يصل المغرب إلى ما وصل إليه الآن من استقلال واستقرار وأمن. ولا يجب أن نخون العهد ونتخلى عن الأمانة ونتنكر للقسم الذي أداه الوطنيون الشرفاء والأحرار، وهو خدمة العرش والشعب.

إن الوفاء لملوكنا ولشهداءنا ولشعبنا يقتضي منا نحن مغاربة اليوم أن نعمل على خدمة بلدنا بالوطنية الصادقة اللازمة وبالمواطنة الحقة، وأن نحترم مقدساتنا ومؤسساتنا بكل نظمها وقوانينها وأن نتحل بالسلوك المدني الرفيع.



إن الالتحام بين الوطن والمواطن يثمر "الوطنية" (أو الحبَّ الوطني) الذي يجعل المواطنَ وطنياً مناضلاً ومقاوماً يحب مقدساته ويتمسك بها، ويناضل من أجل تألقها في العالمين، ويدافع عن بلاده ويفدي مواطنيه بكل ما عز وغلا.

إن الناحية التي تستثيرها ذكرى ثورة الملك والشعب المجيدة في هذا القطر المغربي العزيز، هي ذكرى القيادة المتينة الصالحة، التي صمدت في وجه التاريخ البشري صمود الأبطال، يوم تنادت الأمم الاستعمارية بشعار تمزيق وحدته، لكن القادة الأجداد، وأرباب الشهامة جابهوا المواقف وتحذوا المناورات وهم عزل من السلاح الملائم للعصر، كل سندهم قلوب لا تعرف الهلع، وهمة لم تذق الجزع.

إن مفاخر الدولة العلوية تتجلى في المعالم الحضارية على اختلاف أشكالها، وتتجلى أيضاً فيما سجله ملوكها العظام من مآثر ومكرمات، كما أنها تتجلى أصلاً وأصالة في صفة العصامية التي كان يتصف بها أولئك الملوك، وهي عصامية تمتد عبر القرون والأجيال، منذ عهد المولى علي الشريف إلى عهد مولانا محمد الخامس وعهد جلالة الملك مولانا الحسن الثاني، طيب الله ثراهما، إلى عهد جلالة الملك الهمام محمد السادس، حفظه الله، إنها عصامية الخلق والإبداع والتشبث بمبادئ الحرية والكرامة والاستقلال والوحدة، والتطلع إلى الأمام بروح التجديد والتغيير إلى الأحسن.

يزكي هذه العصامية ويقوي أركانها ويشد من عضدها الاستمرار والنظام وروح التآخي والوثام بين القائد وشعبه، وتبادل عواطف التعلق والمحبة بين الراعي ورعيته واتفاق الأهداف واتحاد التطلعات والرؤى.

ولم يكن بوسع بلادنا أن تسير هذه المسيرة الموفقة لو لم يهداها الله رشدها ويقيض لها قادة جعلوا من إصلاح أحوالها وتوطيد صفوف أبنائها وتجديد أمورها الغاية السامية من ملكهم والمثل الأعلى في حكمهم. وما كانت بلادنا لتمتع بهذه الخطوة لو لم تنعم باستقرار نظامها السياسي والانقياد لسلطان ملوك الدولة العلوية التي انبثقت من دعوة إصلاحية وقامت على أسس التجديد والبناء، واستمرت إلى وقتنا هذا تسعى لتحسين أحوال البلاد وتنظيم شؤونها الاجتماعية والاقتصادية، وتقود الأمة المغربية من معركة حاسمة إلى معركة فاصلة رغبة في تحرير الوطن، وتوحيد ترابه وصهر أفراده وأطيافه في بوتقة واحدة قوية



متماسكة، سعيًا في الانطلاق نحو الازدهار والرقى والخروج من التخلف والضعف، ومساعدة الأمة المغربية على التكيف مع ألوان المدنية الحديثة وأساليب الحكم في العالم المعاصر. وقد حمل لواء هذا الجهاد الأكبر بعد جلالة الملك الراحل مولانا الحسن الثاني، طيب الله ثراه، ولده البار حضرة صاحب الجلالة والمهابة ملكنا الهمام محمد السادس حفظه الله، الذي يعتبر بحق واسطة عقد الملوك العلويين والجوهرية النفيسة في هذا السلك الثمين، المتمثل في هؤلاء الملوك والقادة الذين انحدروا من العترة العلوية والسلالة المحمدية الزكية.

وقد دخل المغرب في ظل ملكنا الهمام، حفظه الله، في عهد جديد مشرق يتميز بالجهود المتواصلة لإتمام توحيد البلاد وكسب رهان العصرية والتحديث والتجديد، والعمل على تحريرها من روااسب الاستعمار الاقتصادية والثقافية، ومقاومة الجمود الفكري، وإرساء دعائم الملك على نمط عصري يجمع بين مقتضيات التطور ومتطلبات العصر الحديث من جهة، وتقاليد المغرب العريقة المجيدة وعاداته العتيقة والعتيقة من جهة أخرى .

وحرى بالأمة أن تقف قليلا لتراجع صفحات أمجادها وتذكر ماضيها، وتضبط حاضرها، لتتقدم إلى المستقبل بماضيها وحاضرها، ومن هنا نطل على الزاوية التالية.

الزاوية الثانية: الذكرى في امتدادها الزماني وتطلعاتها المستقبلية وفعالها التجديدي التنموي، تُلهم الأجيالَ تلو الأجيالَ لصنع لحظات الإنجاز والإعجاز، حيث يكشف المشهد عن شباب الكفاءات والمواهب الخلاقة والمبادرات والمشاريع المتميزة والطاقات الابتكارية والقدرات المبدعة.

فإلى جانب ما توحى به هذه الذكرى ضمن حدث عظيم في تاريخ الأمة المغربية يحرك سواكنها، ويبعث فيها الحياة من جديد في كل صيف من سنوات تاريخنا المعاصر، حيث تُكرّس الجهود للحصاد بكل معانيه: ماذا أعطت حقولنا؟ وماذا أعطت سواعد وعقول رجالنا لبناء هذا المجتمع ككل؟ وماذا تحقق من تقدم لدولة هذا الوطن المجيد؟ فهي ذكرى إذن للحساب، واستحضار الأجداد والتخطيط للمستقبل، من أجل غد أحسن بكل تصميم وإصرار، وأمانة وإجبار، واعتزاز واستنفار، لكل عناصر



وأعضاء هذا المجتمع المغربي الأصيل، في ظل القيادة الرشيدة والتوجيه السديد لمولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله.

ذلك أن المرحلة الجديدة، التي انطلقت باعتماد نموذج تنموي جديد، ستعرف جيلا جديدا من المشاريع والخبرات والكفاءات، وستكون السبيل لمستقبل زاهر يركز بالأساس على جعل الإنسان محورا للدولة والمجتمع، وفق رؤية شمولية، تتيح بلورة مشاريع وسياسات عمومية تساعد على إحداث قفزة نوعية بالسرعة القصوى من أجل مغرب جديد، يتطلع إليه الملك والشعب، وخاصة الأجيال القادمة ذات النظرة المستقبلية القادرة على التغيير والعطاء وتحقيق غد أفضل، بكل حزم وإرادة وثقة.

فإذا كانت ثورة الملك والشعب ما زالت حاضرة في ذاكرة الأجيال منذ غشت من العام 1953م، مما يحتم علينا جميعا على الدوام استحضار أرواح جميع المقاومين، بما بذلوا من تضحيات كبيرة في تحرير الوطن، فإننا اليوم في حاجة إلى ثورة جديدة للملك والشعب، تقتضي انخراط جميع المغاربة، أفرادا وجماعات، وكل أطر الدولة ومفكرها وفعاليات المجتمع المدني، في إعطاء نفس جديد، لعملية التنمية ببلادنا، من خلال النموذج التنموي الجديد، مما يتطلب التعبئة الجماعية، وجعل مصالح الوطن والمواطنين تسمو فوق أي اعتبار أو مصلحة شخصية، وإجراء قطيعة نهائية مع التصرفات والمظاهر السلبية، وإشاعة قيم العمل والمسؤولية والاستحقاق وتكافؤ الفرص، مع ضرورة انخراط المواطن المغربي، باعتباره من أهم الفاعلين في إنجاح مرحلة الإقلاع.

ومن البديهي أن يتحلى المواطن الوطني المناضل المقاوم بالذكاء والفطنة ومرونة التفكير والاستقامة النضالية. وكل ذلك من مظاهر الجدية التي أعلنها أمير المؤمنين، حفظه الله، في خطاب العرش دعامة قوية للرفق والنهضة والتقدم وبناء الروح الوطنية الصادقة. ففي كل مكان في بلادنا عمران، ونماء، وتوقُّ عارمٌ لنهضة شاملة.



وهناك دائماً صعوباتٌ في البناء، إعادةُ ترميم حضارةٍ بسائر مرافقها ترميماً شاملاً ليس أمراً سهلاً، ولا يجب أن تؤثر الصعوبات، كيفما كانت، على بصائرنا وعيوننا فتحجب عنها الحقائق وتمنعها من رؤية منجزاتنا بمنظار التفاؤل والإنصاف والتقدير السليم لأوضاعنا.

ومن يمين الطالع أن تتزامن هذه الذكرى مع مناسبة غالية أخرى، ذكرى عيد الشباب، وتعتبر هذه المناسبة فرصةً لإبراز الجهود التي يبذلها جلالَةُ الملك لتعزيز انخراط الأجيال الشابة في الدينامية التي يشهدها المجتمع، حيث يولي المغرب تحت القيادة الرشيدة لصاحب الجلالة حفظه الله، أهميةً خاصةً لتعليم الشباب، ويوفر لهم فرصاً متعددة ومتجددة للتعلم، تضمن لهم التمتع بحقوقهم في الحصول على التأهيل المناسب، الكفيل بضمان اندماجهم الاقتصادي، وتحصيلهم المعرفي وارتقاءهم الاجتماعي.

وقد تجسدت العناية الملكية بالشباب خلال إعداد النموذج التنموي الجديد، حيث أكد صاحب الجلالة في الخطاب الموجه للأمة، بمناسبة الذكرى الـ 65 لثورة الملك والشعب (20 غشت 2018م)، على "ضرورة وضع قضايا الشباب في صلب النموذج التنموي الجديد".

فالشباب من الأمة كالربيع من العمر، فهو زهرتها اليانعة وثمره غرسها الذي نتعده بالسقي خلال سنين، وذخرها القوي تعده لمستقبلها، وعدتها التي تدفع بها في صدر الخطوب، وهو جمالها وقوتها وهو آمالها المرتجاة وغدها المرتقب، إن صلح صلحت به، وإن طلح شقيت به.

هذه المناسبة تمنح للجميع فرصةً للتأمل والتذكر، وإعادة قراءة الأحداث، واستبطن ما تنطوي عليه من عبر ودلالات ودروس؛ ذلك أن عيد الشباب عيد ميلاد جلالة الملك، يقتزن بتاريخ الوطن والأمة، ويبرز كمحطة رئيسية في مسيرة المغرب الحديث. هو الموعد المضروب بين شباب المغرب وإرادته وطموحه، شباب دائم يتجدد ويتدفق، فالشباب هو الإنتاج، هو العطاء، فما دام الإنسان يكد ويجتهد، ويعطي بحزم وعزم فهو شاب، فلا يقاس الشباب هنا بالعمر، بل يقاس بالطموح وتجديد الحياة.



لذلك فإن الوقوف أمام هذا الحدث، ومحاولة استقراء ماضيه وحاضره ومستقبله يكتسي قيمته الأدبية والفكرية والتاريخية كجهد يسهم في توعية الأجيال المتشوقة إلى معرفة تاريخها لتتسلح به في بناء مستقبلها.

فالثورة الجديدة، التي نريد، تحتاج إلى نساء ورجال وشباب متشبثين بروح المواطنة الصادقة والمسؤولية، لنخوض مرحلة جديدة للإصلاح والبناء، من أجل تحقيق التقدم والتنمية المستدامة، كل ذلك في ظل وحدة وطنية ضامنة للتلاحم والتماسك بين كل مكونات المجتمع المغربي، ورافعة للتقدم والتنمية والازدهار.

فعيد الشباب إيجابي دائماً في فخاه ومغزاه، هو بحق عيد الانطلاقات الجديدة والمشروعات الوطنية، في السهول والجبال، وفي الحواضر والبادي، وفي كل شبر من تراب هذا الوطن الحبيب. وهكذا يتقوى رصيد الإمكانيات، وتوسع آفاق الحياة الكريمة أمام الأجيال الصاعدة.

فنحن جند نخوض بدون هوادة معركة المصير، والتاريخ يرقبنا ويسجل علينا مآثرنا، وكل فرد منا يجب أن يعزز هذا الجيش، ويقوي وحداته المنسجمة، في روح من النظام والانضباط، والمشاركة في بناء الاستقلال، على أساس من التضحية، والتكوين المستمر، تحت شعار: الله - الوطن - الملك .

والشباب جنود هذا الوطن، حريصون على الحفاظ على السمعة الطيبة، والأخلاق الحسنة بما يستلزمه ذلك من صلابة في الحق، وشجاعة في الشدة والرخاء، واستجابة لتوجيهات قائدنا الملهم، جلالة الملك المعظم محمد السادس نصره الله.

فإذا كنا في بلد تحرر من ربقة الاستغلال والاستغلال، وتحلل من أدران ماضٍ ثقيل بغض، وتخلص من رواسب كادت تقضي على شخصيته ومثله ومقوماته، فإن مسؤولياته اليوم أكبر مسؤولية تواجه طاقاته الحية، فعليه - كشباب حي - أن يرفع مشعل الانطلاق ليظل هادئاً ومনিراً، حاملاً رسالة الوعي واليقظة، كي يكفل للوطن - وجميع أجزائه - السعادة الكاملة كوطن له سيادته العريقة، ومجده الأثيل منذ



كان، وليس بعيدا عن الأذهان أنه نهض لأول نشأته على عاتق الشباب، فلا غرابة أن تنهض مسيرته اليوم في اكتمال وقوة وفي أشد ما يكون النهوض، وثقة منا في هذا الشباب وإيماننا بحيويته المشتعلة أنه سوف يقوم بأعباء الرسالة كاملة، وفي سائر مناحيها الواسعة الجوانب، اجتماعيا وأخلاقيا وسياسيا واقتصاديا لحمل ذلكم العبء الثقيل عبء التنمية .

ففي ظل هذا اليوم وفي خضم إشعاعه تبرز قوى الفتيان الكامنة في النفوس متطلعة في حماس لتتخطى سيرة ماذا عليها في الحياة من مسؤوليات، وماذا ينتظرها من أعمال ثقيلة في إطار السير بالبلاد قدما نحو حضارة إنسانية راقية.

فالشباب يعد دعامة الأمة، وثروة البلاد، وعدة النهضة والصورة البارزة في الدولة، ولقد صدق الأستاذ الزعيم علال الفاسي رحمه الله عليه إذ قال:

كل صعب على الشباب يهون * هكذا هممة الرجال تكون

نعم، ليست هممة الشباب الحية التي عليها بنت الأمم والدول أمجادها وحضاراتها بنت اليوم، إنها بنت قرون وقرون بعيدة المدى.

والحقيقة أن الوطن كله ورش فسيح للملايين من شبابنا، في الجوانب التربوية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والفنية والتكنولوجية والإدارية. وغايتنا أن تظل هي العمل المفيد من أجل إرضاء الحاجة الجماعية.

وإذا كان شباب أوربا يتعاونون في سبيل تنمية بلادهم الاجتماعية والاقتصادية، ويجابهون المصاعب بعزائم قوية تهون أمامها المثبطات، فإن شبابنا المغربي قد أدرك بدوره، غداة الاستقلال، أن الواجب عليه إشهار حرب لا هوادة فيها ضد التخلف، لمسايرة الركب الحضاري للأمم المتقدمة، في روح من السلام والتعاون والوثام.



فالمعمل الذي هو واجب مقدس، تكليف لا تشریف، ينبغي لنا القيام به بكل أمانة وإخلاص، مبتعدين عن الارتجال والفوضى، لضمان الفائدة المتوخاة، حتى يكون هذا الجيش العتيد من شبابنا جديرا بحماية حمى الوطن، وتنمية مكاسب الاستقلال .

إن صرح هذه النهضة التي نحياها في مغربنا العزيز، حسنة باهرة من حسنات شباب هذه الأمة، الذي هو معقد آمالها، وقبلة أنظارها، وكعبة رجائها، فهو الجوهر الحي لحاضرها النشيط، ومستقبلها الطامح بالآيات والمعجزات الباهرات.

فيد الله مع الجماعة، هذا شعار رائع في حركة التنمية المباركة للمجتمع المغربي، الذي يسمع في أعماقه صوت الضمير يناديه إلى الأمام، ودائما إلى الأمام، تحت قيادة ملكنا الهمام مولانا أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله.

لهذا يجب أن نكرس جهودنا لبناء وطننا، لقد ضحى شهاؤنا الأبرار ومقاومونا ومناضلونا الأبطال من أجلنا، ويجب أن نضحى من أجل أجيالنا الصاعدة لنترك لهم مغربا غنيا متقدما مزدهرا، للحفاظ على استقلالنا وسيادتنا ووحدتنا ومنجزاتنا تحت القيادة الباسلة والسياسة الحكيمة لمولانا الإمام، حفظه الله، مسؤولية تحملها جميعا، وتحملها كل مواطن ومواطنة، إنها وفاء البيعة والعهد، وأمانة شهادتنا وشهادتنا في أعناقنا، ويقتضي منا الواجب الوفاء بالعهد وصيانة الأمانة حق الصيانة. كل شيء ممكن بوحدة الصف، وبالعزم الصادق، وبالإخلاص في أداء الواجب، والجدية في تحمل المسؤولية.

خلاصة:

إن العرش كان ولا يزال سنداً للشعب، توحدت به الميول والنزعات، فكان عنوان توحيد الكلمة، والقطب الذي التفت حوله الأمة، ورمز كفاحها وسر نجاحها، وقد كانت الميول الوطنية التي اختارت أن تجعل للعرش عيداً توحد به كفاح الشعب مع العرش بتوطيد دعائمه ونفوذه لمصلحة الشعب موفقة غاية التوفيق، فلم تضع هذه الثقة الاجتماعية سدى بل صادفت محل القيادة والزعامة والبطولة والوفاء والإمامة؛ ذلك المحل الذي هيأته الأقدار الإلهية لقيادة هذه الأمة، وإنقاذها من ذل الاستعمار



والاستعباد، هو العرش العلوي المجيد، الذي حقق بسعيه مع الشعب الأمل، وأخذ يبني صرح المغرب المستقل بالقول والعمل.

والحقيقة أن كفاح العرش مع الشعب كان نتيجة ارتفاع المستوى الروحي الذي عمل العلماء على تمكينه في هذه الأمة منذ قرون، ذلك المستوى الذي يعتمد قبل كل شيء الإيمان والإخلاص في إيثار المصلحة العليا على مصالح الأفراد، وتلك هي الميزة التي ساد بها الإسلام وما زالت سر قوته إلى اليوم.

إن ثورة الملك والشعب برموزها ودروسها ومعانيها وقيمها أمدت المغرب بإشعاع مستمر وأعطت للحركة الوطنية وللجهاد الوطني المتواصل تلك الشحنات المتعاقبة التي بثت في دماء المغاربة جميعا روح العزم وقوة الإرادة والفعالية والجدية.

ونحن نستطيع أن نمضي على هذا القياس فنقول: إن اللبنة الأولى في مغرب اليوم ونهضة الحاضر ومسيرة هذا الجيل وضعت أول ما وضعت يوم 20 غشت عام 1953م، مما يثبت تسلسل المعارك وترابط المواقف ويؤكد تلاحم العرش بالشعب.

وسيظل المغرب بقيادة ملكه الهمام نصره الله القلعة المنيعه، والمعين الذي لا ينضب، والحصن القوي العتيد، فكلما ظن أنه ضعفت صلابته، أو قصر باعه أو فلت شوكته، إلا وانتفض مجاهدا، يذكر بماضيه التليد، وباستمرار نظامه المجيد، وباستقرار وضعه الفريد.

ويستمد المغرب دوما من عبقرية ملوكه، وشهامة أبنائه، وسواعد رجاله، تلك المعطيات الخلاقه، والعناصر المفيدة المثيرة التي توقف المتراخي عند حده، وتعيده إلى رشده، مقنعة إياه أن المغرب عرين الأبطال، وأنه يعرف حق الجار، ولا يريد استغلاله بديلا، ولا وحدته وسيادته على أراضيه مساومة، ولا يرضيه أن يكون مهانا، ولا يمكنه أن يعيش إلا محترما جليلا مهابا.



إن معاني ثورة الملك والشعب، تمثلت رمزا في ضمير كل مواطن واستوت شعارا يتبناه أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله اليوم، ويعمل جاهدا مجاهدا ليجعل منه غدا بمشيئة الله مستقبلا زاهرا مشرقا، بما حققه بجهاده المقدس ونضاله اليومي المبارك من إنجازات عظيمة...

وإن الاعتزاز بهذه الذكرى، ليدعو كذلك وقبل كل شيء إلى العمل الصالح، والمجهود الهادف، حتى نكون بأجدادنا معترزين، وعلى درب عبقريتهم سائرين، ولخلافتهم مستحقين، نُشيدُ ونبني، ونحرث ونسقي، ونعلم ونربي، ونوزع الرفاهية المثلى، في انطلاقة مباركة نحو التكامل المادي والخلقي، لنجعل من أمتنا تلك الأمة الوسط التي تجنح إلى السلم، بإرادة المومن القوي، عندما يكون السلم عادلا، ولا تخشى المجابهة، كلما كانت المجابهة ضرورية لصيانة حقوقها، أو الذود عن كيانها، أو الحفاظ على مكتسباتها، أو حماية قيمها وتقاليدها ومعتقداتها.

فعلى بركة الله يسير المغرب مهتديا مقتفيا أثر ثورة الملك والشعب جاعلا منها، بقيادة عاهله الملهم نصره الله ثورة دائمة الإشعاع والفاعلية والتأثير في حياة الوطن والمواطنين.

وشبابنا اليوم وغدا وعلى الدوام مطالب بتدبير دلالات ومعاني هذه الذكرى العظيمة ليعلم أن الحرية التي ينعم بها الآن قد جلبت بدماء الشهداء، هذه التضحية أمانة في أعناق المغاربة.

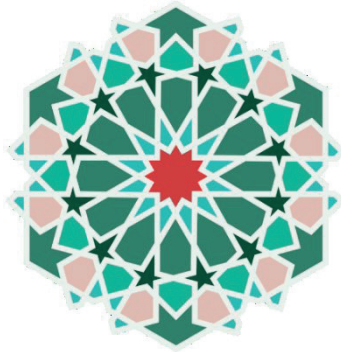
والأمل وطيد في ذكرى هذا العيد السعيد أن يجد من الشباب متسعا في الأفق يبعث منه وعيا ويقظة لتجديد نشاطه، وتهييء نفسه مرة أخرى للعمل في جد على التنمية بكل ما تهدف إليه من وسائل ومقاصد.

ولذلك فلا عجب إذا اغتبطت المغاربة بيوم ولادته حفظه الله، وهتفوا بطول حياته، ورضوا جميعا بإمامته، فهو أعزه الله بالقياس إليهم القلب النابض والأمل الباسم والرجاء الكامل. حقق الله أمله وأطال عمره حتى يشاهد بنفسه نتائج ما غرسه.



وَأَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَهَيِّئَ لَجَلَالَتِهِ وَبِوَاسِطَتِهِ كُلَّ خَيْرٍ وَبَشْرَى، وَأَنْ يَحِيطَهُ بِحِفْظِهِ وَرِعَايَتِهِ، وَيَمُدَّ فِي عَمْرِهِ، وَيُدِيمَ مَلِكُهُ وَسُلْطَانَهُ، وَيَحْرُسَ عِزَّهُ وَمَكَانَهُ، وَيَجْعَلَ عَهْدَهُ الزَّاهِرَ الْمَيْمُونَ دَائِمَ الْإِشْرَاقِ وَالتَّجْدِيدِ، وَيَمْتَعَ شَعْبَهُ فِي ظِلِّ مَلِكِهِ الْمَجِيدِ بِالْهَنَاءِ وَالْعَيْشِ الرَّغِيدِ، وَلِيُدِيمَ اللَّهُ عَلَى جَلَالَتِهِ نِعْمَةَ السَّدَادِ وَالتَّوْفِيقِ، حَتَّى يَظَلَّ مَلِكُهُ حَارِسًا أَمِينًا لِمَقُومَاتِ شَعْبِهِ. وَأَنْ يُقَرَّ عَيْنُهُ بِوَارِثِ الْمَجْدِ الْمَصُونِ وَلِيِّ عَهْدِهِ الْمَحْبُوبِ صَاحِبِ السَّمَوِ الْمَلِكِيِّ، الْأَمِيرِ الْجَلِيلِ مَوْلَايَ الْحَسَنِ، وَيَشُدَّ عَضْدَهُ بِشَقِيقِهِ صَاحِبِ السَّمَوِ الْمَلِكِيِّ الْأَمِيرِ الْجَلِيلِ مَوْلَايَ رَشِيدٍ، وَيَحْفَظَهُ فِي كَافَةِ أَسْرَتِهِ الْمَلِكِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، وَأَنْ يَغْدِقَ شَأْيِبَ رَحْمَتِهِ وَرِضْوَانِهِ عَلَى الْمَلِكِينَ الْمَجَاهِدِينَ، مَوْلَانَا الْحَسَنَ الثَّانِي وَمَوْلَانَا مُحَمَّدَ الْخَامِسَ، وَأَنْ يَكْرُمَ مَثْوَاهُمَا، وَيَطِيبَ ثَرَاهُمَا، وَأَنْ يَشْمَلَ بِرِضَاهِ شُهَدَاءَنَا الَّذِينَ اسْتَحَبُّوا الْآخِرَةَ الْبَاقِيَةَ عَلَى الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ، فَقَدَمُوا لِلْوَطَنِ أَرْوَاحَهُمْ فِدَاءً، لَا يَرْجُونَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ شُكُورًا وَلَا جَزَاءً، وَأَنْ يَكْرُمَهُمُ اللَّهُ فِي دَارِ الْخُلْدِ مِنْ عَمِيمِ أَفْضَالِهِ مَا يُوَفِّرُ لَهُمُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى عَلَى ذَلِكَ.

آمِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.





مشاهد ومواقف من حياة المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه وعائلته الملكية الشريفة في المنفى (1953-1955م)

ذ. محمد الأندلسي

باحث في التاريخ- تطوان

تقديم:

أثار حدث نفي السلطان سيدي محمد بن يوسف من قبل سلطات الحماية الفرنسية بالمغرب، وإبعاده إلى خارج الوطن يوم 20 غشت 1953م، اهتمام الباحثين والدارسين المغاربة والأجانب على حد سواء، فانكبوا على وضع هذا الحدث الذي شكل منعطفًا تاريخيًا حاسمًا في نضال المغرب من أجل الاستقلال والحرية، في سياقه العام، وإبراز الظروف والمُلابسات التي أحاطت به، ورصد العوامل والأسباب التي مهدت له. كما انصب اهتمامهم -أيضا- على دراسة الآثار والتداعيات الناجمة عنه في المغرب وخارجه، وبشكل خاص مسألة الكفاح المسلح وما ميزها من نشاط كثيف للمقاومة السريّة والعمليات الفدائية التي عمّت كل مناطق المغرب حواضرها وبواديها، وتركزت بشكل خاص في المدن الكبرى كالدار البيضاء والقنيطرة. والآثار الخارجية المرتبطة بمواقف الدول والمنظمات السياسية الإقليمية والدولية، كالأمم المتحدة (الكتلة الآسيوية- الإفريقية في الجمعية العامة) وجامعة الدول العربية، وموقف شريكة فرنسا في حماية المغرب إسبانيا. وهي كلها مواقف عبّرت عن استنكارها لهذا الفعل الشنيع، والخرق السافر لكل القوانين بما في ذلك معاهدة الحماية التي فرضتها فرنسا على المغرب سنة 1912م.



في ضوء هذه المعطيات، ارتأينا أن نسلط الضوء على جانب آخر من الحدث، لم يستوف حقه من الدراسة والتحليل -حسب علمنا- وهو حياة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه وعائلته الملكية الشريفة في المنفى، ومعاناته اليومية، ومحنة تنقله بين مناف متعددة ومختلفة، ومواقفه السياسية التي عبر عنها من خلال تصريحاته للصحافة الفرنسية والعربية، ومن خلال خطبه. فقد لاحظنا أن هذا الجانب بقي في منطقة الظل ولم تسلط عليه الأضواء الكاشفة لمعرفة حقيقة تجربة المنفى التي عاشها السلطان محمد بن يوسف وعائلته الملكية الشريفة. وبالرغم من توفر بعض المصادر التاريخية الفرنسية والمغربية التي أولت هذا الموضوع نوعا من الاهتمام¹، إلا أنه ما زال هناك الكثير من الخبايا في حاجة إلى البحث فيها والكشف عنها. ولحسن الحظ أن الجرائد والصحف الصادرة وقتئذ -الفرنسية منها والعربية- تابعت عن كثب تطورات ومجريات نفي السلطان محمد الخامس، وتبعت -بشكل متواصل- كل جديد يتعلق بحياة السلطان في المنفى. لذلك أثرنا الاعتماد عليها في معالجة هذا الموضوع، مع التركيز على جريدة "الأمة" لسان حزب الإصلاح الوطني، التي قال عنها جلالة المغفور له الملك محمد الخامس طيب الله ثراه: "إن جريدة الأمة كانت بحق وبكل افتخار سلوتي الوحيدة في منفاي. وكانت هي الصحيفة العربية الوحيدة التي استطاعت أن تحترق الستار الحديدي، وتقطع هذا البعد الشاسع. وكنت أتطلع إلى وصولها بفارغ الصبر؛ لأنني كنت أنظر إليها كأنها مرآة مصقولة تنعكس على صفحاتها حقيقة ما يجري في وطننا العزيز"². إنه لتشريف عظيم من ملك عظيم لجريدة وطنية اضطلعت بدورها في الذود عن القضية المغربية والدفاع عن

¹ - نشير هنا إلى كتاب مراسل جريدة باري بريس (Paris-press, L'Intransigeant) ماكس جلاذ، الموسوم بـ:

Max Jalade : Mohammed Ben Youssef, tel que je l'ai vu. Antsirabé, Paris, Rabat, Encyclopédie D'outre-mer, Parie, 1956.

وكتاب التحدي، لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه.

² - من تصريح الملك محمد الخامس للبعوث الخاص لجريدة الأمة الأستاذ عبد الله الخطيب. انظر: جريدة الأمة، عدد 688، السنة الخامسة، الاثنين 6 ربيع الثاني 1375هـ/ 21 نوفمبر 1955م، ص.1.



قائد الأمة وملكها الشرعي، كما أكد ذلك جلالته بنفسه في قوله: "كما أنني أعتبر هذه الجريدة الوطنية، أنها أول صحيفة مغربية حملت لواء الدفاع عن شخصنا وسيادة وطننا في هذه الظروف العصيبة التي اجتازها مغربنا المجاهد، حيث ظلت في ميدان الصراع إلى اللحظة الأخيرة"¹.

لقد انصب عملنا - في هذه الدراسة - على تتبع تفاصيل وجزئيات تجربة المنفى وتعامل السلطان محمد بن يوسف معها، والمواقف التي اتخذها، والمبادئ التي ثبت عليها، منذ لحظة إبعاده ونفيه، إلى يوم عودته الميمونة والمظفرة إلى وطنه الحبيب، ولقائه بشعبه المخلص الوفي.

1- مشهد نفي السلطان محمد بن يوسف وعائلته الملكية الشريفة، وإبعاده خارج الوطن

وصفت المصادر التاريخية الأجنبية والمغربية - بشكل مفصل ودقيق - مشهد تطويق القصر الملكي بالرباط من طرف الدبابات والمدرعات والجنود الفرنسيين، واقتحامهم البوابة الرئيسية للقصر، واعتقالهم الحرس الملكي وتجريدهم من سلاحهم، وذلك في وقت الظهيرة من يوم 20 غشت 1953م؛ حيث وصل المقيم العام الفرنسي الجنرال غيوم (Guillaume) إلى القصر الملكي عند الساعة الواحدة والنصف بعد الزوال، يصحبه كل من الجنرال دوفال (Duval) القائد الأعلى للقوات الفرنسية بالمغرب، والمسيو دوتيل (Dutheil) مدير الأمن، وموظفين آخرين، فطلب مقابلة السلطان الذي كان يفرغ للتو من تناول غذائه، ولم يكن لديه الوقت الكافي لتغيير ثيابه، فاكتفى بارتداء "جلابة" فوق ثياب نومه، فتوجه المقيم العام غيوم إلى الملك قائلا: "إن الحكومة الفرنسية لدواعي الأمن، تطلب منكم التنازل عن العرش، فإذا قبلتم ذلك عن طيب خاطر، استطعتم أنتم وأسرتم أن تقيموا في فرنسا أحرارا معززين مكرمين"². فرد عليه

¹ - من تصريح الملك محمد الخامس للبعوث الخاص لجريدة الأمة الأستاذ عبد الله الخطيب. انظر: جريدة الأمة، عدد 688، السنة الخامسة، الاثنين 6 ربيع الثاني 1375هـ/ 21 نوفمبر 1955م، ص. 1.

² - الحسن الثاني (ملك المغرب): التحدي، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الرابعة، 2000م، ص. 83-84.



الملك بصوت هادئ قائلا: "ما من شيء في أعمالي وأقوالي يبرر أن أتخلى عن أمانة أضطلع بأعبائها بصفة مشروعة. وإذا كانت الحكومة الفرنسية تعتبر أن الدفاع عن الحرية والشعب بمثابة جريمة يعاقب عليها، فإني أعتبرها فضيلة يفاخر بها وتورث صاحبها المجد"¹. وبدا أن الجنرال الفرنسي يوشك أن يفقد السيطرة على نفسه، فقال بصوت أكثر ارتفاعا: "إذا لم تتنازلوا حالا عن العرش بالرضى، فإني مكلف بإبعادكم عن البلاد صيانة للأمن"². فأجاب الملك بكلمات متمهلة قائلا: "إني ملك المغرب الشرعي، ولن أخون أبدا الأمانة التي أئتمني عليها شعبي الوفي المخلص، إن فرنسا قوية فلتفعل ما تشاء"³. فلما رأى الجنرال جيوم ثبات السلطان على موقفه كالجبل الراشح، أصدر أمره للجنود والضباط -الذين كانوا معه- بأخذ الملك محمد بن يوسف ونجليه الأميرين مولاي الحسن ومولاي عبد الله -شاهرين مسدساتهم ورشاشاتهم في وجوههم وخلف أظهرهم- واقتيادهم إلى السيارات العسكرية، في اتجاه المطار العسكري بالسويس، القريب من القصر الملكي، حيث أدخل كل واحد منهم إلى حجرة يحرسها الجنود⁴. ولما اقتربت الطائرة التي ستقلهم إلى المنفى، طُلبَ منهم الصعود على متنها، فاحتج الأمير مولاي الحسن بكون السلطان مريضا ولا يستطيع السفر بالطائرة، وطالب باستدعاء الطبيب الخاص به، فحضر الدكتور ديوبوا روكبير (Dr. Dubois Roquebert) في الحين وأكد كلام الأمير مولاي الحسن، إلا أن المنفذين لم يعيروا ذلك اهتماما،

¹ - الحسن الثاني (ملك المغرب): التحدي، ص. 84.

² - نفسه.

³ - نفسه.

- أورد هذا الحوار، الذي دار بين جلالة الملك محمد الخامس والمقيم العام الفرنسي الجنرال جيوم -مع بعض الاختلاف- روم لاندو في كتابه "محمد الخامس منذ اعتلائه عرش المغرب إلى يوم وفاته"، تعريب ليل أبو زيد، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة 1، 1979م، ص. 95-96 / محمد العلبي: محمد الخامس وتاريخ استقلال المغرب، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقرق، الرباط، الطبعة الثالثة، 2011م، ص. 83.

⁴ - روم لاندو: محمد الخامس، ص. 96 / الحسن الثاني، التحدي، ص. 85 / العلبي، محمد الخامس، ص. 83.



"ودفعوا بنا نحو الطائرة التي أقلعت باتجاه مجهول"¹. وقد صرح الجنرال كيوم للصحافة في اليوم الموالي لحادثة نفي السلطان، قائلاً: "الوضعية التي تابعت تطورها خلال الأسابيع الماضية، كشفت عن خلافات عميقة، فرقت بين العاهل الحاكم والشعب المغربي. وكان من المفروض أن يؤدي هذا الخلاف إلى أزمة، تم حلها للتو بإبعاد سيدي محمد بن يوسف واعتلاء العرش سيدي محمد ولد مولاي عرفة"².

من خلال هذه التفاصيل التي سجلتها المصادر التاريخية، يمكن استخلاص جملة من الاستنتاجات والتأويلات التي تكشف عن النوايا الحقيقية للسلطات الفرنسية تجاه ملك البلاد الشرعي؛ فتطويق القصر الملكي بالقوات العسكرية، واقتحامه بشكل يوحى بتنفيذ عملية عسكرية خطيرة، واصطحاب قوة من الضباط والجنود شاهرين أسلحتهم في وجه أناس مدنيين عُزل، واستخدام لهجة جافة في مخاطبة ملك المغرب الشرعي، كل هذه التصرفات توحى بأن هدف فرنسا كان هو الضغط على السلطان بكل الوسائل المتاحة لإرغامه على التنازل عن العرش، حتى يتسنى لها مواجهة الرأي العام في المغرب كما في فرنسا بأن السلطان تخلى عن العرش برضاه وبحض إرادته. إلا أن ثبات السلطان ونجليه الأميرين، أربك حسابات المقيم العام الجنرال كيوم الذي زاد في جرعة قسوته في معاملة الملك وابنيه، فأمر باعتقالهم ومعاملتهم كما يعامل أسرى الحرب.

وقد شكلت مسألة التنازل عن العرش مطلباً أساسياً أصرت عليه الحكومة الفرنسية من خلال تكرار المحاولات، وإيفاد البعثات الرسمية وشبه الرسمية إلى السلطان في منفاه بمدغشقر من أجل إقناعه بالأمر، إلا أن موقف جلالته ظل ثابتاً وراسخاً رسوخ الجبال، إيماناً منه بجسامة الأمانة الملقاة على عاتقه،

¹ - الحسن الثاني، التحدي، ص. 85.

- كانت الطائرة التي أقلت الملك ونجليه من الرباط إلى جزيرة كورسيكا من نوع داكوتا (دي. سي. 3) معدة أصلاً لتدريب المظليين، خالية من كل وسائل الراحة، حتى إنها لا تتوفر على مقاعد للركاب، إلى جانب كونها عتيقة لا تتجاوز سرعتها 200 كلم/ساعة.

² - Le Figaro, N° 2783, Vendredi 21 Aout 1953.



التي تستوجب منه الوقوف سدا منيعا في وجه المخططات الفرنسية للمساس بحقوق الشعب المغربي ومصلحه. ففي شهر أكتوبر 1954م، أوفد وزير الشؤون التونسية- المغربية المسيو كريستيان فوشي (Fouchet Christian) الطبيب الخاص بجلالة الملك الدكتور دوبوا إلى مدغشقر في محاولة يائسة لإقناع السلطان بالتنازل عن العرش، فكان جواب السلطان قاطعا وواضحا لا يقبل التأويل، حيث قال: "إنني أستمّد سلطتي من الشعب المغربي الذي عبّر عن ثقته بي، وقد رفضت التنازل عن العرش تحت ضغط الحركة الانقلابية، فمن الأخرى أن أرفض التنازل اليوم، حيث إن البرهان أصبح قاطعا بأنني كنت ضحية للأكاذيب والقذف. وفي الوقت نفسه فأنا أعلن أنني على استعداد لدراسة كل حل خلا التنازل عن العرش للتوصل إلى تهدئة الحالة، ولتحقيق تسوية مشرفة ضمن الاحترام الكامل لحقوق المغرب المشروعة"¹.

2- من المنفى القريب إلى المنفى البعيد

2-1- منفى كورسيكا؛ من قرية زونزا (Zonza) إلى قرية ليل روس (L'île Rosse)

توجهت الطائرة العسكرية التي كانت تحمل على متنها -بالإضافة إلى السلطان محمد بن يوسف ونجليه الأميرين مولاي الحسن ومولاي عبد الله- الكولونيل كاربوني (Carbonier) مراقب المصالح المدنية بالإقامة العامة الفرنسية بالرباط، واثنى عشر شرطيا حريبا مدججين بالسلاح، إلى مدينة أجاكسيو (Ajaccio) عاصمة جزيرة كورسيكا، حيث حطت بمطار كامبو ديل أورو (Campo del Oro) على الساعة العاشرة وسبع دقائق ليلا، فوجدوا في استقبالهم عمدة مدينة أجاكسيو المسيو مارسيل سافرو (Marcel Savreux) وعددا من الشخصيات المدنية والعسكرية². وقد قدّم الحاكم "سافرو" شهادة مؤثرة

¹ - جريدة الأمة، العدد 361، السنة الرابعة، الأربعاء 29 صفر 1374هـ/ 27 أكتوبر 1954م.

² - Le Figaro, N° 2783, Vendredi 21 Aout 1953.

- الحسن الثاني، التحدي، ص. 88.



بخصوص الحالة التي كان عليها السلطان ونجله عند وصولهم إلى مطار الجزيرة، وكيف تم إخباره -عبر الهاتف- من قبل وزير الداخلية الفرنسي مارتينود ديبلات (Martinaud-Déplat) حوالي الساعة الخامسة مساءً، بأنه يجب عليه أن يستقبل ويؤوي "الشخصية الأعلى في المغرب"، دون أن يسميها أو يحدد هل يتعلق الأمر بالسلطان أو بالمقيم العام، ودون أن يشير إلى ساعة وصولها. وعند هبوط الطائرة بالمطار صعد "سافرو" إليها، وسيطر بصعوبة على انفعاله وغضبه واستيائه، عندما تفاجأ بأن الرجال الثلاثة الذين يجلسون القرفصاء على أرض الطائرة ويرتجفون من البرد، هم سيدي محمد وابناه الاثنان¹. وقد أشاد جلاله الملك الحسن الثاني بخصال هذا الرجل وتصرفه اللائق معهم ومعاملته الحسنة لهم².

نُقلَ السلطان وعائلته الملكية الشريفة -في غضون ثلاثة أسابيع من وصولهم إلى أجاكسيو- إلى قرية زونزا جنوبي شرق جزيرة كورسيكا، فنزلوا في فندق موفلون الذهبي (Hôtel du Mouflon d'Or)، وقد فرضت السلطات الفرنسية ستارا حديديا على القرية والفندق، لمنع اتصال العائلة الملكية بالمحيط الخارجي، حيث الرقابة متواصلة ليل نهار "يتولاها زهاء مائة دركي وأفراد من الحرس الجمهوري الفرنسي"³. وبالرغم من ذلك الطوق الأمني المحكم، فقد استطاع أحد الصحفيين الأجانب من اختراقه، ونقل بعض التفاصيل المتعلقة بحياة الأسرة الملكية في هذه القرية الكورسيكية، فذكر أن الفندق -الذي نزل السلطان فيه- تم إخلاؤه من كل رواده باستثناء عمدة القرية المسيو فرسيني، بل حتى هذا الأخير "خضع لأوامر البوليس، فنقل من غرفته بالدور الأول إلى حجرة صغيرة في البدروم"⁴، كما اختير مدير الفندق من غير سكان القرية زيادة في الحرس والحيطه. أما الطعام فكان يجلب من فندق الكونتنتال بأجاكسيو

¹ - Charles- André Julien : Le Maroc face aux impérialismes (1425- 1956), Éditions du Jaguar, Paris, 2011, p 309.

² - الحسن الثاني، التحدي، ص. 88.

³ - نفسه، ص. 89.

⁴ - جريدة الأمة، عدد 105، السنة الثانية، الاثنين 21 ربيع الثاني 1373هـ/ 28 دجنبر 1953م، ص. 2.



كل يوم بالسيارة، علاوة على الطائرة التي تصل إلى العاصمة مرة كل يومين تحمل الطعام، وحده الخبز هو الذي كان يتم اقتناؤه من القرية. وقد لاحظ الصحفي أن حياة الأسرة المالكة في "زونزا" يكتنفها الغموض بسبب عدم مغادرتهم الفندق مطلقاً، وروت له إحدى بائعات الفاكهة بالقرية "أن الأميرات لا يقابلن اليوم أحداً لا في الحديقة ولا على سلم الفندق، وهن عندما يخرجن من الفندق يكن تحت عيون البوليس، ولذلك لا يستطعن أن يتحدثن مع أحد، وهكذا يفضلن البقاء في الفندق"¹. ومن أجل إيصال صورة الحراسة المشددة، المفروضة على العائلة الملكية، يروي الصحفي، على لسان إحدى السيدات من القرية، حادثاً وقع لإحدى الأميرات؛ "لقد حدث أن أطلت بعضهن من نافذة الفندق، فأخذ لهن أحد المارة صورة فوتوغرافية، وهنا تدخل رجال البوليس المدنيون في حديقة الفندق، وراحوا يوجهون إليهن كلاماً لم أتبينه، ومن يومها والنافذة مغلقة حتى إنه لا يبدو وراءها نور"².

إن مثل هذه المعاملة القاسية والمضايقات اليومية من طرف الحراس والمراقبين الفرنسيين، دفعت بالعائلة الملكية إلى الإضراب عن الخروج من الفندق، فحركت السلطات الفرنسية الحملات الإعلامية الرامية إلى تشويه صورة العاهل وأهله، فأخذت تحيك المؤامرات ضده، وتختلق الإشاعات الكاذبة في حقه، ومن ذلك -حسب رواية الصحفي الأجنبي- قصة سوء التفاهم بين السلطان وابنه الأكبر ولي العهد مولاي الحسن، وأن السلطان طلب من السلطة الفرنسية طرده من زونزا واعتقاله في زنزانة خاصة، وأنه ألقى عليه مسؤولية نفيه، وأنه هو الذي باشر كل الأعمال وكل السلطة والنفوذ في الرباط، وقاوم توقيع السلطان على مراسيم الفرنسيين، وأنه إنسان ذو طبيعة شرسة، وأنه لا يخضع لأي أمر تصدره إليه الإدارة أو حتى أوامره هو³. كما اتهمت السلطات الفرنسية -زورا وبهتانا- السلطان بكونه عميلاً للنازية،

¹ - جريدة الأمة، عدد 105، السنة الثانية، الاثنين 21 ربيع الثاني 1373هـ/ 28 دجنبر 1953م، ص. 2.

² - نفسه.

³ - نفسه.



فنشرت جريدة فرانس سوار (France Soir) - في أكتوبر 1953م - صوراً لما اعتبرته وثائق من شأنها إدانة السلطان بالتعامل مع ألمانيا النازية¹. إلا أن مثل هذه الإشاعات السخيفة لم تكن لتجد آذاناً صاغية وعقولا تصدقها حتى بين الشخصيات الفرنسية البارزة؛ ففي 30 يونيو، طُلبَ من الجنرال دوغول أن يدلي برأيه في الموضوع أثناء ندوة صحفية، فقال: "دعوني أرفع كتفي استهزاء، فالسلطان قد رفض كل الالتماسات الموجهة إليه [...] إنه رفيق التحرير"². والأمر سيان بالنسبة لأهالي زونزا، الذين كانوا يتعاطفون مع السلطان وعائلته، ويمجدونهم في أحاديثهم، بل ويتغنون بالسلطان ويسخرون من السلطة الفرنسية، فقد انتشرت بينهم أغنية لها دلالات عميقة تقول: "جاء الرجل ذو العباءة البيضاء والطربوش الأبيض الذي كالحليب، لنضع التابوت .. للمرأة العجوز التي تريد .. أن تعربد حتى تزفر آخر نسمات الحياة"³. وفهم الفرنسيون من هو الرجل ذو العباءة البيضاء، ومن هي المرأة العجوز التي تعربد وتسكرو وتستعمر.

أثارت هذه الشعبية الكبيرة التي أصبح السلطان محمد بن يوسف يحظى بها بين أهالي قرية زونزا، قلق السلطات الفرنسية ومخاوفها، فقررت نقل العائلة الملكية إلى قرية "ليل روس" في الشمال من جزيرة كورسيكا، وهي قرية تعداد سكانها 200 نسمة. فاختاروا له فندقاً من الدرجة الأولى هو فندق "نابليون بونابرت"، يبعد عن البحر نحو 50 متراً، وبينه وبين محطة السكة الحديدية نحو 200 متر. والحقيقة أن السلطات الفرنسية لا تريد أن تترك السلطان في كورسيكا، فهي قرية من مركز المواصلات الإيطالية

¹ - جامع بيضا: سيدي محمد بن يوسف السلطان الوطني 1927-1961م، ضمن عدد خاص "محمد الخامس وتاريخ المغرب

المعاصر"، مجلة المناهل، السنة 28، عدد مزدوج 77-78، محرم 1427هـ/ فبراير 2006م، ص. 54.

² - المرجع نفسه.

³ - جريدة الأمة، عدد 105، السنة الثانية، الاثنين 21 ربيع الثاني 1373هـ/ 28 دجنبر 1953م، ص. 2.



والفرنسية ومن المغرب أيضا. "كما أنهم يخشون أن تفلت بعض الحقائق من فم السلطان، وهم حريصون على أن تبقى هذه الحقائق في طي الكتمان وأن تموت مع السلطان"¹.

ومن منفى كورسيكا، وجه السلطان محمد بن يوسف نداء إلى شعبه الوفي بمناسبة ذكرى تربعه على العرش، وهذه الوثيقة مؤرخة في 12 دجنبر 1953م، استنكر فيها السلطان تأمر السلطات الفرنسية مع "العصاة المتمردين" لنفيه، بعد رفضه التنازل عن العرش، مؤكدا على ثباته ومُصابرته على تحمل الصعاب ومواجهة الشدائد والتضحية بكل شيء في سبيل عزة البلاد وكرامتها وحريتها، مُناشدا شعبه الوفي بمواصلة الكفاح ومُضاعفة المجهود من أجل تحقيق الكرامة والحرية، "فإن ذلك وحده يخفف عنا آلام البعد عن الوطن، ووحشة الغربة في هذه الجزيرة المنعزلة، التي تحول بيننا وبين مُشاركتك شرف الجهاد في سبيل تحرير البلاد"².

2-2- الرحلة إلى منفى مدغشقر

لم يكن ليهدأ بال السلطات الفرنسية والسلطان محمد بن يوسف يوجد على بضعة مئات من الكيلومترات من سواحل وطنه الحبيب، فبعد خمسة أشهر قضاها في منفى كورسيكا، قررت السلطات الفرنسية نقله وعائلته الملكية إلى مكان أبعد، بذريعة أن قربه من المغرب يزكي الحماس في نفوس رعاياه، ووجوده في كورسيكا معرض دائما لإفلاته من يد فرنسا³. وزاد القلق الفرنسي -بشكل كبير- بعدما تبلور الموقف

¹ - جريدة الأمة، عدد 105، السنة الثانية، الاثنين 21 ربيع الثاني 1373هـ/ 28 دجنبر 1953م، ص. 2.

² - Nouredine Lahrim: Le Mouvement National de 1953 à 1954, Documents Historique de la Résistance et de la Libération, Centre des documents historiques de la résistance et de la libération, Cahier N° 6, p 186.

³ - جريدة الأمة، العدد 130، الثلاثاء 21 جمادى الأولى 1373هـ/ 26 يناير 1954م.



الإسباني من قضية المغرب، وإعلان إسبانيا عن تأييدها للملك الشرعي¹، فأصبح "احتمال اختطافه أكثر من ذي قبل، وليس من المناسب ترك هذا العلق النفيس معرضا للضياع، فليُعدَّ إلى المحيط الهندي أو الهادي عسى أن تحصل بذلك فرنسا على مُبتغاها"². وقالت السلطات الفرنسية بأجاكسيو إنها اضطرت إلى نقل جلالة الملك سيدي محمد بن يوسف من منفاه هذا إلى مكان مجهول، أمام ازدياد التوتر والقلق في المغرب. وأضافت بأنها وضعت حدا لمنفاه في كورسيكا بالنظر إلى مظاهرات التأييد لسلطته، التي حدثت في المنطقة الإسبانية، وتفاديا لتحريره على يد "طلائع للإنقاذ" ترسلهم الجامعة العربية³. وأطلقت فرنسا العنان لصحافتها لترويج الشائعات التي تبرر بها نقلها للسلطان إلى منفى أبعد، فادّعت أن السبب وراء اتخاذ هذا القرار هو أن الحركة الوطنية المغربية قد عرضت على الطيار الألماني الذي اختطف موسوليني من أيدي الحلفاء أثناء الحرب العالمية الأخيرة 500 مليون من الفرنكات مقابل اختطافه لجلالة محمد بن يوسف والتوجه به إلى القاهرة⁴.

وقد اختلفت آراء صناع القرار الفرنسيين في باريس والرباط حول الوجهة التي ينبغي نقل السلطان وعائلته إليها، فكانت جزيرة تاهيتي في المحيط الهادئ -التي تبعد عن الوطن بسبعة عشر ألفا من الكيلومترات- هي المرشحة في البداية، ثم عدلت السلطات الفرنسية عنها بعد ذلك، وفضلت جزيرة مدغشقر في المحيط الهندي. ويفسر عدول السلطات الفرنسية عن خيار جزيرة تاهيتي، باحتجاجات السكان -بعد وصول نبأ قدوم السلطان وحاشيته إلى الجزيرة- الذين يخافون أن تنقلب الإقامة الإجبارية للعائلة الملكية إلى سبب يمس بتيار السياح الذي يقوم عليه اقتصاد جزيرة تاهيتي، كما يطرح مأوى سيدي محمد بن يوسف وحاشيته

¹ - بخصوص الموقف الإسباني من نفي السلطان محمد الخامس، ينظر مقالنا الموسوم بـ "موقف إسبانيا من الاعتداء على العرش يوم 20 غشت 1953م"، مجلة دعوة الحق، السنة 62، العدد 429، ذو الحجة 1440هـ/ غشت 2019م، ص. 25- 43.

² - جريدة الأمة، العدد 130.

³ - نفسه.

⁴ - نفسه.



مشكلة؛ لأنه لا توجد بالجزيرة ممتلكات خاصة تناسب ذلك¹. والمساحة المسكونة من الجزيرة صغيرة، ووسط الجزيرة سلسلة جبلية. أما السكان -وعددهم ثلاثون ألفا- فموزعون على الشاطئ الذي يبلغ طوله مائة وإحدى وتسعين كيلومترا، ومهما يكن المكان المعين للإقامة، فسيصبح من العسير فرض العزلة على سيدي محمد كما فرضت عليه في كورسيكا². وتجدر الإشارة إلى أن السلطان سبق أن طلب من الحكومة الفرنسية نقله إلى إحدى مدن فرنسا حرصا على مستقبل أبنائه العلوي دون أن يحصل على رد³.

وهكذا اتخذت السلطات الفرنسية قرارها يوم 20 يناير 1954م، ضد جلالة الملك محمد الخامس، بنقله من جزيرة "ليل روس" بجزيرة كورسيكا إلى "أنتسيرايا" بجزيرة مدغشقر، في رحلة طويلة وشاقة، وصفتها -بشكل موجز- مجلة باري ماتش (Paris Match) في العدد 264. ففي صبيحة يوم الاثنين 25 يناير خرج السلطان والأميران مولاي الحسن ومولاي عبد الله -تحت حراسة شديدة من البوليس المسلح والحرس الجمهوري- يرتدون الزي الأوربي، أما النساء فخرجن في حُلّتهن المغربية وهن متحجبات⁴. وقد أشرف على عملية الإبعاد هذه، الكونت كلوزيل (Clauzel)، بعد تعيين لانييل (Laniel) له رئيسا لتشريفات العاهل المنفي. "وفي الساعة السابعة من صباح الاثنين، غادر الملك فندق نابليون بونابرت، بعد مضي خمسة شهور وخمسة أيام على إقامته بالجزيرة [كورسيكا]. وكانت تتقدم الركب الملكي سيارتان، أولاهما لرجال الشرطة والأخرى للحرس الجمهوري. وفي الساعة السابعة والنصف كانت الطائرة في انتظاره بميناء باستيا الجوي، وهي من نوع سكايماستر أهداها ترومان للجنرال دو كول. ورأى جلالة الملك أن حالته الصحية قد لا تحتمل السفر الطويل بالطائرة، ففحصه طبيب كان في كوريا يدعى ديم قائلا: "لا مانع من السفر، فقال الملك في نفسه: "لا حول ولا قوة إلا بالله"، ثم ركب هو وحاشيته مع اثنين من مفتشي

¹ - جريدة الأمة، العدد 137، الأربعاء 29 جمادى الأولى 1373هـ/ 3 فبراير 1954م.

² - نفسه.

³ - جريدة الأمة، العدد 154، الثلاثاء 19 جمادى الثانية 1373هـ/ 23 فبراير 1954م.

⁴ - جريدة الأمة، العدد 130، الثلاثاء 21 جمادى الأولى 1373هـ/ 26 يناير 1954م.



الشرطة. هبطت الطائرة في جنوب الجزائر ولبثت فترة، شرب خلالها الملك قدحا من الشاي والتقط ولي العهد بعض الصور لوالده، بينما انشغل مولاي عبد الله بفحص آلات الطائرات. لوحظ أثناء السفر أن جلالة لا يتكلم ولا يقرأ ولا ينام نوما مريحا، وإنما يدير مفتاح الراديو ليلتقط أخبار الوطن المصاب بالسرطان الفرنسي، ولا يدلي برغائه إلا لولي عهده مولاي الحسن¹.

وبعد الوصول إلى برازافيل بإفريقيا الاستوائية يوم 26 يناير، قضت العائلة الملكية ليلتها في قرية على ضفاف نهر الكونغو تحت حراسة فرقة من جيش المظليين الفرنسيين، على أن تأخذ فترة من الراحة قبل أن تكمل الشطر الثاني من الرحلة في اتجاه مدغشقر. وقد تمكن أحد الصحفيين -وهو مراسل لجريدة الديلي إكسبريس الإنجليزية- أن يتخطى الحصار المضروب على جلالة الملك محمد بن يوسف في برازافيل، ويحصل منه على تصريح يعتبر الوحيد من نوعه²، تضمن ثلاثة أسئلة مباشرة؛ فبخصوص سؤاله عن سبب نقل جلالة من كورسيكا إلى منفى بعيد، أجاب الملك قائلا: "إن الإفرنسيين قد تخوفوا من قيام الوطنيين المغاربة من اختطافي، فقرروا نقلي إلى مكان مضمون"، وعن اعتقاله في العودة إلى عرش المغرب، قال جلالة الملك: "أنا واثق بأنني سأعود إلى وطني، وسأترجع من جديد على عرش المغرب، الذي اعتبر نفسي أحق الناس به". أما عن رأيه في كفاح الشعب المغربي، أجاب جلالة الملك: "أعتقد أن الشعب المغربي سيواصل كفاحه حتى يرغم فرنسا على احترام إرادته".

هذا وقد احتجت أحزاب الحركة الوطنية المغربية -بشدة- على هذا الإجراء التعسفي الذي اتخذته السلطات الفرنسية في حق السلطان وعائلته الملكية، والقاضي بإبعاده إلى منفى ناء وبعيد، وحملوها مسؤولية أي خطر يهدد سلامة الملك، حيث ورد في بيان حزب الإصلاح الوطني: "وعليه، فحزب الإصلاح الوطني يعلن للعالمين استنكاره لجميع تصرفات الحكومة الفرنسية في المغرب ضد جلالة الملك

¹ - جريدة الأمة، العدد 130، الثلاثاء 21 جمادى الأولى 1373هـ/ 26 يناير 1954م.

² - ورد هذا التصريح في جريدة الأمة، العدد 135، الاثنين 27 جمادى الأولى 1373هـ/ 1 فبراير 1954م.



وشعبه الوفي. ويدعو الشعب المغربي إلى الاستمرار في إقامة البراهين القاطعة على وفائه الدائم لبيعته الشرعية وولائه الكامل للملكة الأوحده حفظه الله. ويعتبر الحكومة الإفريقية مسؤولة عن كل ما يصيب شخص العاهل العظيم وعائلته الكريمة"¹. كما عقد الأستاذ علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال ندوة صحفية في القاهرة، أعلن خلالها احتجاج حزبه على الإبعاد الجديد الذي أنزلته الحكومة الفرنسية بجلالة السلطان، جاء فيها: "إن حزب الاستقلال يجعل الحكومة الفرنسية المسؤولة المباشرة عن كل خطر قد يهدد شخص جلالة أو أفراد عائلته المأجدة"². مضيفا: "إن الحزب ينتظر أن تعرف فرنسا إصلاح غلطها بأن تعيد العرش للسلطان محمد الخامس، وتعترف للمغاربة بحقوقهم في الوحدة والحرية والاستقلال"³.

وفي صبيحة يوم الخميس 28 يناير نقل جلالة الملك وعائلته الشريفة من مطار "مايا مايا" ببرازافيل على متن طائرة عسكرية في اتجاه طناناريف (Tananarive) عاصمة جزيرة مدغشقر التي وصلها -بعد عشر ساعات من الطيران- صباح يوم الجمعة 29 يناير، صحبة زوجته وأبنائه وبعض الحشم⁴. وكان مطار "أريفونيانا" مُحاطا بالقوات الفرنسية والسينغالية، وقد كان في انتظار جلالة المستشار الدبلوماسي لحاكم الجزيرة العام المسيو شافهاوزر، الذي التزم بفرض حراسة -منذ ذلك الحين- على سيدي محمد بن يوسف وصحبه.

ثم طار العاهل ثانية إلى مدينة صغيرة تقع بالجلال الجنوبية من الجزيرة الكبرى، وقد عين النادي العسكري مكانا لإقامته قبل القيام بالرحلة الأخيرة من هذا السفر الطويل الذي أجبرته عليه السلطات

¹ - جريدة الأمة، العدد 132، الخميس 23 جمادى الأولى 1373هـ/ 28 يناير 1954م.

² - نفسه.

³ - نفسه.

⁴ - جريدة الأمة، العدد 133، الجمعة 24 جمادى الأولى 1373هـ/ 29 يناير 1954م؛ العدد 135، الاثنين 27 جمادى الأولى 1373هـ/ 1 فبراير 1954م.



الفرنسية¹. ثم نقل بعد ذلك السلطان من النادي العسكري إلى إقامة أنسب وهو فندق تيرمينوس، حيث أذاعت الأنباء الفرنسية، أن الإقامة الجديدة للملك تقع وسط حديقة غناء مليئة بالزهور والأشجار الجميلة². ولعل الدعاية الفرنسية تحاول بهذا أن تخفف ألم المواطنين الذين لم يطبقوا صبرا على نفي ملكهم وبطلهم العظيم، ويعتبرون ذلك عملا عدائيا لا يخففه أي ترفيه يعامل به العاهل العظيم. ومن العاصمة طناناريف نقل السلطان وعائلته الملكية إلى قرية أنتسيرايب التي تقع جنوبي العاصمة على بعد 170 كيلومترا، وارتفاعها 1700 متر، ويسمونها "فيشي مدغشقر".

3- مشاهد من حياة السلطان محمد الخامس في منفى مدغشقر (أنتسيرايب وطاناريف)

لما وصل نبأ قدوم الأسرة الملكية المغربية إلى علم سكان المدينة، "تجمع الأهالي لتحية الملك والإعجاب ببطولته"³. وفي أنتسيرايب نزلت العائلة الملكية بفندق تيرم (Thermes)⁴، وسرعان ما اكتسب السلطان سيدي محمد بن يوسف شعبية واسعة، واحتراما وتقديرا كبيرين من طرف أهالي البلدة الملغاشية، إذ أصبح معروفا لديهم بجلبابه ومعاملته الحسنة ومجاملته للجميع⁵. فهو بالنسبة لهم -بغض النظر عن كونه ملكا- رب أسرة مسؤول وغير مبذر، يستوفي جميع التزاماته وتعهدهاته⁶. لقد استثمر السلطان مقامه في المنفى للتفرغ للعبادة والصلاة والوعظ والإرشاد، فكثيرا ما كان يؤم المصلين في الصلاة، ويلقي -باللغة الفرنسية- دروسا دينية عليهم بعد صلاة الجمعة، يخصصها لتفسير بعض الآيات من الذكر الحكيم⁷. وفي

¹ - جريدة الأمة، العدد 134، السبت 25 جمادى الأولى 1373هـ/ 30 يناير 1954م.

² - جريدة الأمة، العدد 170، السبت 7 رجب 1373هـ/ 12 مارس 1954م.

³ - جريدة الأمة، العدد 154، الثلاثاء 19 جمادى الثانية 1373هـ/ 23 فبراير 1954م.

⁴ - الحسن الثاني، التحدي، ص. 90.

⁵ - محمد العلي: محمد الخامس وتاريخ استقلال المغرب، ص. 87.

⁶ - نفسه.

⁷ - نفسه، ص. 88.



كل يوم جمعة كان جلالة الملك يصل إلى مسجد القرية في جلبابه الرمادي وطربوشه الأبيض لأداء الفريضة، وبعد انتهاء الصلاة والدعوات يخرج إلى صحن الجامع فيقف طويلاً يوزع الصدقات على الفقراء¹. ومن أعمال البر والإحسان التي جبل عليها ملوك الدولة العلوية، ورضع لبنها جلالة الملك محمد بن يوسف، تبرعه بمليون ونصف مليون فرنك لتوسيع المسجد الذي يقيم فيه صلاة الجمعة مع بقية سكان القرية. وقد عانى السلطان محمد بن يوسف طيلة مقامه بمنفى مدغشقر من مرض العيون، فكان يتردد باستمرار على طبيب العيون في العاصمة طناناريف، فيكون الأمر فرصة لأفراد العائلة الملكية للخروج من أنتسيراوي وأخذ فترة استراحة قصيرة. وقد رصدت جريدة "الأخبار" المصرية يوماً من حياة محمد الخامس في هذه العاصمة الملغاشية²، حيث لاحظ مراسل الصحيفة أن جلالة الملك يدفع فاتورة فندق كومرس لمدة أربعة أيام بما قدره نصف مليون فرنك فرنسي، وقد أشار إلى هذه المسألة الملك الراحل الحسن الثاني طيب الله ثراه، عندما قال: "كنا سجناء ولكن على نفقتنا، لقد كان على الملك أن يدفع نفقات سجننا وأجور موظفي الفندق ومستخدميه ورواتب حراسنا [٠٠٠] وكانت الحكومة الفرنسية تقتطع من أثمان ممتلكات والذي الشخصية التي أخضعها لنظام الحراسة"³. وشوهد الملك وهو يقرأ الجرائد الفرنسية الأربعة المسموح له بتصفحها، وهي: الكومبا، الفيجارو، لوموند، الإكسبريس، وقد علق المراسل المصري على هذا المشهد قائلاً: "وعلى الرغم من الرقابة المفروضة على يريد السلطان وعلى الرغم من مرض عينيه، استطاع أن يقرأ ما بين السطور وأن يدرك أن عاصفة جاحمة تتجمع في الأفق"⁴. أما الأمراء والأميرات فكانوا يستغلون فترة الإجازة القصيرة للترويح عن النفس وتجديد الطاقة لمواجهة مشقة العزلة في منفى أنتسيراوي، فكانوا

¹ - جريدة الأمة، عدد 629، السنة الخامسة، السبت 22 محرم 1375هـ / 10 شتبر 1955م.

² - نفسه.

³ - الحسن الثاني، التحدي، ص. 89.

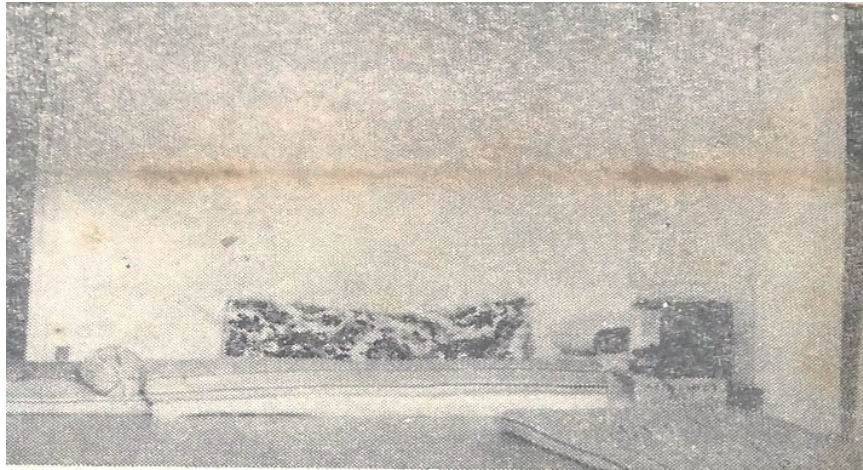
⁴ - جريدة الأمة، عدد 629.



يذهبون إلى دار السينما لمشاهدة ما تعرضه من أفلام، حتى الأميرة الصغيرة التي ولدت في المنفى جاءت لها لعب أمر السلطان بشراؤها لها؛ دُبة كبيرة وخيل تجري على عجالات.

ومن الأمور التي ذكرها مراسل الصحيفة المصرية، مسألة سفر الأمير مولاي عبد الله بمفرده إلى باريس من أجل اجتياز امتحان البكالوريا وموقف السلطان من ذلك، حيث وجه خطابا صريحا إلى رئيس الحكومة الفرنسية قال فيه: "لن أدع الأمير وحده حتى يصبح ضحية سريعة لعوامل الفتنة والإغراء التي يتعرض لها الشباب في مثل سنه في بلادكم"¹. فاضطرت الحكومة الفرنسية إلى إرسال ممتحن له، قطع مسافة عشرين ألف كيلومترا بين باريس ومدغشقر حتى يبقى الأمير الشاب بعيدا عن مناورات السلطات الفرنسية.

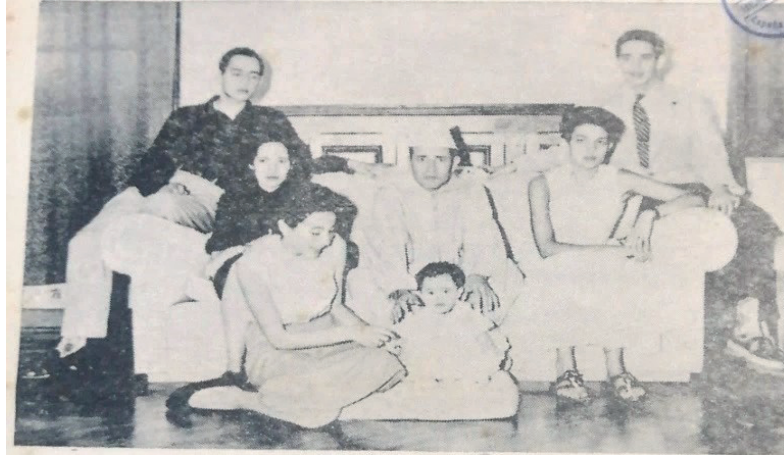
وفي الصورة، تظهر قاعة الأكل أو المطعم الذي كان يجلس فيه السلطان مع أبنائه وزوجته، وهو خال من كل مظاهر البذخ والترف، بل لا يتوفر إلا على موائد ووسائد بسيطة وصحون معدنية رديئة.



¹ - جريدة الأمة، عدد 629.



وفي هذه الصورة، يظهر جلالة الملك محمد بن يوسف يجلس بين أبنائه الكرام أصحاب السمو الملكي في قاعة البيت المخصص لإقامتهم، وهم من اليسار إلى اليمين: صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير مولاي الحسن، فصاحبة السمو زعيمة النهضة النسوية الأميرة للا عائشة، ثم جلالة الملك محمد الخامس، فالأميرة للا مليكة، فسمو الأمير مولاي عبد الله، وقد جلست أمامهم الأميرة للا نزهة تداعب الأميرة وليدة المنفى للا أمينة.



ومن الأحداث العائلية السعيدة التي عاشها جلالة الملك محمد بن يوسف وأسرته الشريفة في منفي أنسيرا، حدث ولادة الأميرة للا أمينة يوم 14 أبريل 1954م، فأقامت الأسرة الملكية حفلة بسيطة بهذه المناسبة السعيدة¹. وعلقت جريدة الأمة على الصورة بـ: "عطف الأبوة وابتسامة الثقة، جلالة الملك محمد الخامس والأميرة للا أمينة حديثي الولادة"².

¹ - محمد العلبي: محمد الخامس، ص. 88.

² - جريدة الأمة: 526، السنة الخامسة، الثلاثاء 17 رمضان 1374هـ/ 10 ماي 1955م.



تواردت على محمد بن يوسف البعثات الفرنسية الرسمية وشبه الرسمية من أجل التفاوض معه بشأن مجموعة من القضايا الجوهرية المتمثلة في حل مشكلة العرش، ومسألة نقله إلى فرنسا، وحالة التوتر الخطير الذي بات المغرب يعيش على وقعه بعد نفي الملك الشرعي، وعجز السلطات الفرنسية عن احتوائه وإنحاده. ففي هذا السياق استقبل السلطان أولى هذه البعثات الفرنسية في شهر مارس 1954م، التي تكونت من المسيو "ألبرت لامارل" (Lamarle Albert Jules) المفتش العام للمراكز الدبلوماسية والقنصلية بوزارة الخارجية الفرنسية، والمسيو "روي" (Rouyre) المكلف بإدارة أموال جلالتة، ومعهما السيد محمد المعمري وزير التشريفات لجلالتة¹. ويبدو أن فحوى المفاوضات التي جرت بين السلطان والمبعوثين الفرنسيين لم يكن حول مسألة إدارة أموال السلطان كما نشرت الصحافة الفرنسية في بداية الأمر، وإنما كان الأمر يتعلق بثلاثة نقط رئيسة، حسب المصادر الرسمية الفرنسية، هي:

أولاً: رغبة جلالة الملك في أن ينقل إلى الأراضي الفرنسية.

ثانياً: التزامه - هو وأولاده - بعدم القيام بأي حركة سياسية يخشى منها على إقلاق الأمن في المغرب أو فرنسا، وتكذيبه لكل ما قيل إنه صدر منه في هذا الصدد.

¹ - جريدة الأمة، العدد 177، الاثنين 16 رجب 1373هـ / 22 مارس 1954م.



ثالثا: شهادته بأنه عومل باحترام في دائرة ما تسمح به حالة المنافي التي انتقل فيها¹.

ومما يؤكد هذا المضمون، الرسالتان المتبادلتان بين السلطان محمد بن يوسف والمبعوث الفرنسي "لامارل"، المؤرختان في 4 أبريل 1954م؛ فقد جاء في رسالة السلطان ما يأتي: "حضرة السيد الوزير، تبعا للمفاوضات التي أجريناها معكم بصفتكم الوزير المفوض عن الحكومة الفرنسية، فإننا نتعهد -وكذلك أبنائنا- باعتزال كل نشاط سياسي، خصوصا ما كان من شأنه إقلاق النظام في المغرب أو فرنسا أو في أقطار الاتحاد الفرنسي. ونحن نود على الخصوص التحديد بأن كل كلمة أو مكتوب ينسبنا إلينا ويكونان في تناقض مع هذا الالتزام فإنهما سيكونان هدفا للتكذيب من جانبنا"². ويضيف جلالته قائلا: "ومع كل ذلك، فنحن نأمل أن تسمح الظروف للحكومة الجمهورية بتلبية رغبتنا التي أعربنا عنها من قبل، وهي الإقامة في فرنسا". فكان جواب المبعوث الفرنسي في اليوم نفسه، وقد جاء فيه: "إنني أتشرف بإخباركم باستلام رسالتكم التي وجهتها جلالتم إلي في تاريخه، بصفتي وزيرا مفوضا عن الحكومة الفرنسية، وأنا الآن محيط علما -باسم الحكومة الفرنسية- بالالتزامات التي وقعتها جلالتم. هذا وإن الحكومة الفرنسية قد علمت بدورها برغبة جلالتم"³.

وفي شهر أكتوبر 1954م، أرسلت الحكومة الفرنسية مبعوثا آخر إلى السلطان في منفاه بمدغشقر، ولكن هذه المرة بشكل غير رسمي، ويتعلق الأمر بالطبيب الخاص بجلالته الدكتور "ديبوا روكبير"، أوفده المسيو "كريستيان فوشيه" وزير الشؤون التونسية والمغربية. والدكتور "روكبير" معروف بصداقته الشخصية لصاحب الجلالة، كما أنه يتمتع بثقته التامة، وبالا احترام الكامل في الأوساط السياسية الفرنسية والمغربية

¹ - جريدة الأمة، العدد 206، السبت 20 شعبان 1373هـ / 24 أبريل 1954م.

² - جريدة الأمة، العدد 208، الثلاثاء 23 شعبان 1373هـ / 27 أبريل 1954.

³ - نفسه.



على حد سواء¹. وتحاول الحكومة الفرنسية -عن طريق صداقة الطبيب المذكور- إقناع صاحب الجلالة بما اتخذته من إجراءات بشأن إقامته في فرنسا. وقد حمل الدكتور ديبوا روكبير مشروعا تضمن عرض حكومة منديس فرانس (Mendès-France Pierre) إلى جلالة الملك، الذي تكون من أربع نقاط هي:

- أولا: يمكن لصاحب الجلالة أن يقدم إلى باريس بقصد الاستقرار في بعض ضواحي العاصمة، ولكن تحت الحراسة.

- ثانيا: يطلب من جلالته أن يوجه نداء إلى الشعب المغربي، يطلب منه فيه أن يركن إلى السكينة والهدوء ريثما تحل المشكلة حلا نهائيا.

- ثالثا: تنصيب وصي أو تكوين مجلس وصاية من أربعة أشخاص يستشار جلالته في اختيار نصف أعضائه، والنصف الآخرين باتفاق بين الحكومة الفرنسية وذوي الحثيات في المغرب.

- رابعا: أثناء قيام الوصي أو المجلس بمأمورية الوصاية، تجري استشارات على شكل ديمقراطي للبث في القضية الملكية بصورة نهائية، كما أن جلالته سيستشار في اختيار شخص تتوفر فيه الشروط المؤهلة للقيام بمهمة الوصاية فيما إذا فضل أن يكون الوصي شخصا لا مجلسا².

يبدو من خلال هذا العرض أن الحكومة الفرنسية أصبحت مقتنعة -أكثر من أي وقت مضى- بأن حل قضية المغرب - يكمن في عودة السلطان محمد الخامس إلى عرشه، لكنها تخشى -إن هي مضت قدما في هذا الحل- أن تفقد نفوذها في المغرب من خلال أذناها الخونة، الذين أخذوا يهددون بالتخلي عن مساعدة فرنسا. وترى الأوساط الوطنية المغربية، أن تؤيد هذا الإجراء، على شرط أن يكون خطوة

¹ - جريدة الأمة، العدد 354، الثلاثاء 21 صفر 1374هـ / 19 أكتوبر 1954.

² - جريدة الأمة، العدد 355، الأربعاء 22 صفر 1374هـ / 20 أكتوبر 1954م.



أولى لعودة جلالة الملك، كما أنها غير مقتنعة بمشروع "الاستشارات الديمقراطية"؛ لأنها لا ترى في النظام البوليسي الموجود ما يمكن أن يضمن سلامتها وصحتها¹.

وقد عاد الدكتور ديووا روكبير إلى باريس يوم 27 أكتوبر يحمل رد جلالة الملك إلى الحكومة الفرنسية، الذي تضمن رفضا قاطعا للتنازل عن العرش، بل وحتى إثارة هذا الموضوع، مؤكدا في الوقت نفسه عن استعداده "لدراسة كل حل خلا التنازل عن العرش للتوصل إلى تهدئة الحالة، ولتحقيق تسوية مشرفة ضمن الاحترام الكامل لحقوق المغرب المشروعة"². وبعد أن حاولت الحكومة الفرنسية ممارسة الضغط على جلالة الملك واعتماد منطق المساومة؛ إما التنازل عن العرش أو رفض استقدمه إلى فرنسا، صرح جلالة الملك قائلا: "كان صوتي مسموعا بالمغرب فحسب، حينما كنت جالسا على عرشي بالرباط، أما بعد أن أراق الشعب المغربي دمه في سبيلي، فإن صوتي قد أصبح مدويا في جميع أنحاء العالم. وأنا لا أقبل التنازل عن العرش ولا التحادث في موضوعه"³.

بعد فشل بعثتي لامارل وروكبير في تحقيق مساعيهما، كررت فرنسا المحاولة تلو الأخرى لإقناع السلطان ببرنامجهما المقترح لحل مشكلة العرش، فأوفدت في شهر ماي 1954م المحامين جورج إيزارد (Izard Georges) -محامي جلالة الملك- وفيل إلى مدغشقر، دون أن تعلن رسميا عن المهمة التي سيقومان بها، إلا أن الصحافة الفرنسية أكدت "أن هذه الرحلة ليست لها صلة بالشؤون الخاصة بجلالته، بل إن الحكومة الفرنسية أرسلت المحامين في مهمة متعلقة بالمفاوضات الجارية لتسوية قضية العرش"⁴. لم تكن نتيجة هذه البعثة مختلفة عن سابقتها؛ حيث ظل السلطان متشبثا بموقفه الرافض للتنازل عن العرش،

¹ - جريدة الأمة، العدد 355، الأربعاء 22 صفر 1374هـ / 20 أكتوبر 1954م.

² - جريدة الأمة، العدد 361، الأربعاء 29 صفر 1374هـ / 27 أكتوبر 1954م.

³ - جريدة الأمة، العدد 429، الثلاثاء 23 جمادى الأولى 1374هـ / 18 يناير 1955م.

⁴ - جريدة الأمة، العدد 533، الأربعاء 25 رمضان 1374هـ / 18 مايو 1955م.



محافظا على سيادة المغرب، وملتزما ببيعة الشعب. فلم يبق أمام الحكومة الفرنسية سوى اللجوء إلى أسلوب التهديد والضغط لتحقيق أهدافها؛ وهذا ما تجلّى في بعثة الجنرال جورج كاترو (Catroux Georges) وزميله هنري إيريسو التي حلت بمدغشقر في شهر شتنبر 1954م، فقد أشارت صحيفة فرانس سوار إلى تهديد المتفاوضين لجلالة الملك بإراقة دم المغاربة الأبرياء في حالة عدم التوصل إلى اتفاق معه قبل 12 شتنبر¹. وقد أصر صاحب السمو الأمير مولاي الحسن على حضور تلك المحادثات مع والده والقيام بالترجمة له -علما أنه يتقن اللغة الفرنسية- فقد كان السلطان يُصرُّ على مخاطبة المتفاوضين الفرنسيين باللغة العربية. وجرّت تلك المحادثات الشاقة والعسيرة في فندق تيرم بآنتسيرايا، حيث فرضت القوات الفرنسية طوقا أمنيا شديدا على الفندق من أجل محاصرة السلطان والضغط عليه لقبول برنامج الحكومة الفرنسية، الذي تضمن -من خلال الرسائل المتبادلتين بين السلطان والجنرال كاترو- النقاط الآتية: "تقرير مبدأ السيادة المغربية، التي تجعل من المغرب دولة حديثة حرة ذات سيادة ترتبط مع فرنسا بروابط دائمة في نطاق التكافل المقبول عن خيار وحرية؛ وأن صفة الدوام التي لا تقبل الانفصام فيما يخص العلاقات بين البلدين، تجعل أيضا من الضروري المحافظة على الحقوق والمصالح العليا التي تتمتع بها فرنسا في الميادين الاستراتيجية والسياسية والدبلوماسية والاقتصادية والثقافية؛ كما يضمن للفرنسيين القاطنين بالمغرب ما لهم من مصالح على ما قاموا به وما سيقومون به من مجهودات لصالح المغرب"². وبغية تنزيل هذه "السياسة الشاملة"، ووضعها موضع التنفيذ، سطرت الحكومة الفرنسية الإجراءات الأولية الكفيلة بتحقيق ذلك³؛

¹ - جريدة الأمة، العدد 627، الخميس 20 محرم 1375هـ / 8 سبتمبر 1955م.

² - من الرسالة الجوابية لجلالة الملك محمد بن يوسف على رسالة الجنرال كاترو، يوم 9 شتنبر 1954م. انظر: جريدة الأمة، عدد 677، السنة الخامسة، الأحد 21 ربيع الأول 1375هـ / 7 نونبر 1955م.

³ - من رسالة الجنرال كاترو إلى جلالة الملك محمد بن يوسف، مؤرخة في 8 شتنبر 1954م. انظر: جريدة الأمة، عدد 677.



- تكوين مجلس للعرش بصفة مؤقتة، وذلك بقصد تهدئة الحالة في الوقت الحاضر، تكون له سلطات ومهام التاج.

- تأليف حكومة مغربية للتفاوض والتدبير، تكون ممثلة لمختلف نزعات الرأي العام.

وبالتزامن مع هذه المحادثات، أوفدت الحكومة الفرنسية العديد من البعثات المغربية الرسمية والحزبية، لإقناع جلالة الملك بقبول الخطة الفرنسية لتسوية مشكلة العرش، وإعادة العلاقات المغربية الفرنسية، منها: وفد حزب الشورى، المكون من الأستاذين عبد القادر بن جلون وعبد الهادي بوطالب، ووفد حزب الاستقلال، والوفد المغربي، المتكون من صاحب السمو الأمير مولاي الحسن بن إدريس صهر جلالته، والسيد أحمد البكاي باشا صفرو، والسيد الفاطمي بن سليمان باشا فاس السابق، فقال جلالة الملك مخاطباً وفدي حزب الاستقلال وحزب الشورى: "إنني سأعمل ما يريده شعبي" فأجابوه قائلين: "إن الشعب يطلب عودتكم"¹.

وقد كان جلالة الملك -عند بداية المفاوضات- رافضاً لفكرة مجلس الوصاية، معارضاً لها، ويواجه الذين يريدون إقناعه، بأن إقامة مجلس الوصاية يعني فراغ العرش، وهو أمر لا يملك جلالته أن يوافق عليه، وإلا كان معناه القبول الضمني للتنازل عن الملك².

ولكن بعد الضمانات التي قدمها المبعوث الفرنسي الجنرال كاتروا، وافق جلالة الملك على البرنامج الفرنسي، حيث جاء في رسالته إلى المبعوث الفرنسي ما يأتي: "ورداً على الرغبات التي أبدتها حكومة الجمهورية في أن نُؤيّد عملها، فإننا نقبل أن نُسنَد هذه السياسة أمام الرأي العام المغربي، ونمنح موافقتنا لهذه الخطة الكفيلة بأن تحسن العلاقات الفرنسية -المغربية، وبأن ترضي الأمناني المشروعة لشعبنا، وبأن

¹ - جريدة الأمة، عدد 634، السنة الخامسة، الجمعة 28 محرم 1375هـ / 16 شتنبر 1955م.

² - جريدة الأمة، عدد 629، السنة الخامسة، السبت 22 محرم 1375هـ / 10 شتنبر 1955م.



تضمن لفرنسا وللفرنسيين القاطنين بالمغرب حقوقهم ومصالحهم¹. كما وافق جلالتة -بعد وضع شروطه- على الإجراءات الأولية التي اتخذتها الحكومة الفرنسية لتفعيل تلك الخطوة، حيث جاء في الرسالة نفسها: "ونحن نوافق على الإجراءات الأولية التي نتكون من إنشاء مجلس مؤقت لحفظة العرش، دون أن يكون في ذلك أي مساس بحقوقنا، مع تكوين حكومة مغربية ممثلة، يطلب منها تسيير شؤون الدولة والقيام بالتفاوض مع فرنسا، لوضع أسس وآفاق جديدة تجعل من المغرب دولة حديثة وحر ذات سيادة، ترتبط مع فرنسا بروابط دائمة من التكافل المقبول بحرية في الميادين الاستراتيجية والدبلوماسية والسياسية والاقتصادية والثقافية"².

4- الرحلة من أنتسيرايني إلى الديار الفرنسية

بعد التوصل إلى اتفاق مع جلالة الملك محمد بن يوسف بشأن الخطوط العريضة لمفاوضات الاستقلال بين المغرب وفرنسا، قررت الحكومة الفرنسية نقل العائلة الملكية الشريفة من منفى مدغشقر إلى فرنسا من أجل استكمال المباحثات التي توجت بعودة جلالة الملك وعائلته الشريفة إلى الوطن يوم 16 نونبر 1955م. فكيف مرت الرحلة إلى الديار الفرنسية؟

أقلعت الطائرة "دي.سي.6" التابعة لشركة تال (Tal) من مدغشقر على الساعة السابعة والدقيقة الثانية والخمسين -حسب التوقيت المحلي- من صباح يوم الأحد (30 أكتوبر 1955م)، وهي تُقل خمسة وثلاثين شخصا. وعلى الساعة الثالثة بالضبط حسب التوقيت المحلي كذلك، وصلت الطائرة إلى مطار "مايا" بالقرب من برازا فيل عاصمة إفريقيا الاستوائية الفرنسية آنذاك، فاستقبل جلالتة من طرف حاكمها "سيديل". استغلت العائلة الملكية فترة التوقف القصيرة هذه، لزيارة الأحياء الأهلية والأوربية، كما زاروا

¹ - جريدة الأمة، عدد 677، السنة الخامسة، الأحد 21 ربيع الأول 1375هـ / 7 نونبر 1955م.

² - نفسه.



كنيسة سانت آن الكونغو والبيت الذي أقام به الجنرال دوغول أثناء الحرب الأخيرة. ثم أقلعت الطائرة من مطار "مايا" في اتجاه مطار نيس الفرنسي، إلا أنها توقفت بمطار "فورلاني" بإفريقيا الاستوائية الفرنسية على الساعة التاسعة والدقيقة العاشرة من عشية الأحد، للتزود بالوقود، فوجد العاهل في استقباله الحاكم الفرنسي كولومباني. ثم واصلت الطائرة رحلتها إلى الديار الفرنسية على الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة، متوجهة إلى فرنسا، فوصلت إلى مطار نيس على الساعة السابعة والدقيقة الأربعين بتوقيت فرنسا من صباح يوم الاثنين 31 أكتوبر 1955م¹.

في مطار نيس استقبل جلالة الملك محمد الخامس بالهتافات بحياته؛ "يعيش جلالة الملك"، "يحيا ملك المغرب"، "يحيا الاستقلال"، وكانت هذه الهتافات تتعالى من أفواه مختلف الوفود المغربية التي كانت توجد مع الصحفيين في قاعة الأكل بمطعم المطار، وأول من حظي باستقبال جلالته أعضاء الأسرة العلوية. وقد أدلى جلالة الملك - في مطار نيس - بتصريح باللغة العربية لمراسلي وكالة فرانس برس، قال فيه: "إنني متأثر جدا بالاستقبال الحار الذي قوبلت به عند وصولي إلى فرنسا، وإنني أشعر بلذة كبرى عند وصولي إلى هذه البلاد حيث سأنتظر فيها رجوعي القريب إلى المغرب"². وفي اليوم نفسه، انتقل جلالة الملك والعائلة الملكية عبر طائرتين إلى العاصمة الفرنسية باريس، فوجد في استقباله أعضاء مجلس حفظة العرش الأربعة؛ البكاي بن مبارك والمقري والصبيحي ووعسو، وهنري إيريسو مدير مكتب أنطوان بيني وزير الخارجية. بالإضافة إلى وزير التشريفات الفقيه المعمرى، والسيد الفاطمي بن سليمان المرشح لرئاسة الحكومة المغربية. وفي مساء اليوم تحادث الملك مع وزير الخارجية الفرنسي أنطوان بيني، ثم قصد إقامته بقصر هنري الرابع في ضاحية سان جرمان³.

¹ - جريدة الأمة، عدد 672، السنة الخامسة، الثلاثاء 15 ربيع الأول 1375هـ / 1 نونبر 1955م.

² - نفسه.

³ - جريدة الأمة، عدد 673، السنة الخامسة، الأربعاء 16 ربيع الأول 1375هـ / 2 نونبر 1955م.



كما أدلى جلالة الملك - في العاصمة الفرنسية باريس - بتصريح جاء فيه: "ولما كانت مطامح الشعب وآماله هي المطامح والآمال التي امتلأ بها قلبنا، فقد كان سرورنا عظيما في هذا اليوم، إذ رأينا هذا الشعب يُجمعُ كلمته على تحقيق حرياته الديمقراطية ومحافظته على كامل سيادته واستقلاله مع رابطة بفرنسا يقبلها بمطلق حريته، كما يقبل الشعب المغربي ضمانه ما لفرنسا من المصالح والمحافظة على صداقتها تلبية لما أعلنته الحكومة الفرنسية في أول أكتوبر الأخير، وإن أول واجب يطالبنا به شعبنا المغربي هو أن نوجه إليه هذا النداء ليعمل على توحيد صفوفه ويدخل في وفاق إلى هذا العهد الجديد الذي يعد تحولا عظيما في تاريخ المغرب"¹.

وقد تمكن الصحفي "ماكس جلاد" - مراسل صحيفة باري فرانس أنترنيجان - من إجراء حوار صحفي مع جلالة الملك في باريس²، تطرق فيه لمستقبل العلاقات المغربية - الفرنسية، التي قال بشأنها العاهل: "لقد وضع الإطار العام للعلاقات الفرنسية المغربية، وتم الاتفاق على المبادئ، أما طرق التطبيق فقد تركنا أمرها بيد الحكومتين المعنيتين بالمسألة ليتم الاتفاق بشأنها وأثناء المفاوضات التي ستبدأ بينهما، ولا يمكن لغير الحكومتين المغربية والفرنسية أن تقرر وتناقش ذلك بمنطق الحرية". وبخصوص مسألة تشكيل الحكومة المغربية، أوضح جلالة الملك موقفه بشأنها قائلا: "يجب أن تكون لنا حكومة ممثلة للشعب، تتمتع بتأييد المغرب بأجمعه". وعن علاقته بالجامعة العربية بعد عودته إلى العرش، قال جلالته: "إننا نفترض أن نفس العلاقات المتينة التي تربط بين أمم الإسلام، تجعل هذه الأقطار تبتهج بما سجل من تخفيف في حدة التوتر. إن روابط الدين والعواطف متينة بين جميع الأمم الإسلامية. وإننا شخصيا على يقين من أن الأقطار العربية سيسرها أن ترى المغرب ينال استقلاله". وعن حالة التوتر في المغرب وسبل إعادة الهدوء، قال جلالته: "أعتقد أن عودتي ستحدث رجة نفسية من طبيعتها أن تستعيد الهدوء، إلا أن الأمر الذي

¹ - جريدة الأمة، عدد 673، السنة الخامسة، الأربعاء 16 ربيع الأول 1375هـ / 2 نونبر 1955م.

² - الحوار نشرته - مترجما - جريدة الأمة، عدد 681، السنة الخامسة، الجمعة 25 ربيع الأول 1375هـ / 11 نونبر 1955م.



سيضمن لنا هدوء أتم هو الجو الذي ستدور فيه المفاوضات المقبلة. وإنني لا أعتبر عودتي إلا وسيلة لا غاية، والصراحة والإخلاص في المفاوضات هما وحدهما العاملان اللذان سيؤديان إلى التهدئة الحاسمة للوساوس والتخوفات، وإلى إزالة سوء الظن. إن عقلية الشعب المغربي قد تطورت تطورا جوهريا عميقا خلال السنتين الأخيرتين، وهذا أمر يجب أن يحسب حسابه. وإنني أؤمل أن نصل إلى إيجاد حالة نفسية تسمح للبلدين أن يريا صداقتهما تفتتح".

وقبيل عودته المنتظرة إلى الوطن العزيز، وجه جلالة الملك محمد الخامس نداء إلى شعبه الوفي المخلص¹، عبر فيه عما يخالجه من مشاعر الفرح والسرور بدنو موعد اللقاء بعد آلام الغربة والفراق، عود يحمل معه عهدا جديدا؛ "نتعاون على بناء صرحه وفق مطامحك التي ما فتئنا ندود عنها ونسعى في تحقيقها. ففي هذا العهد الجديد [...] نأمل أن ترفرف راية التسامح والوفاق عالية، وترفل البلاد في ثوب الحرية والاستقلال، وبذلك يزداد الفرد اطمئنانا على نفسه ومصالحه وحرية كيفما كانت عقيدته وجنسيته". كما عبر عن ابتهاجه بمظاهر الفرح والاحتفالات التي يقيمها الشعب على شرف استقبال ملكه المحبوب بطل التحرير، مناشدا له بالالتزام بالنظام والتحلي بالرزانة والهدوء حتى تمر هذه الاحتفالات في جو من الفرح والتسامح؛ "وقد سرنا ما أبدىتموه من مظاهر الفرح والابتهاج بنبا عودتنا، فسيتم سرورنا إن أتم حافظم يوم عودتنا على النظام، وسلكتم سبيل الرزانة والهدوء، كي لا تشوب مظاهر الأفراح شائبة، وينتهي الأمر على أحسن ما يرام".

5- الرحلة من باريس إلى الرباط عاصمة المغرب

بعد اللقاءات العديدة والمباحثات المكثفة مع عدد من الشخصيات السياسية الرسمية الفرنسية، حدد يوم 16 نونبر 1955م، لعودة جلالة الملك محمد الخامس إلى أرض الوطن، بعد حوالي 817 يوما

¹ - جريدة الأمة، عدد 684، السنة الخامسة، الثلاثاء 29 ربيع الأول 1375هـ/ 15 نوفمبر 1955م.



قضاها في المنافي المختلفة التي أجبر على التنقل بينها. وقبيل سفره الأخير إلى عاصمة مُلكه الرباط، أدلى جلالته بتصريح لوسائل الإعلام الفرنسية، تلاه نيابة عنه صاحب السمو الملكي الأمير مولاي الحسن، قال فيه: "قبل أن أغادر أرض فرنسا عائداً إلى المغرب، يسرني أن أقول: إن إقامتنا في فرنسا قد مكنت من العمل من أجل المغرب ولصالح شعبنا، لقد قننا باتصالات مع مختلف الشخصيات الفرنسية، وعرضنا عليها رأينا في موضوع العلاقات بين فرنسا والمغرب، وقد تبين لنا أن الأمل قوي في حل القضية المغربية، إن هذا يؤكد لنا ما نبتغيه من حسن التفاهم بين الأمتين. وأخيراً فإننا نشكر الحكومة والشعب الفرنسيين على حسن مقابلتهم لنا بتلك الصفة الودية التلقائية"¹.

واشتمل برنامج وصول جلالة الملك محمد الخامس إلى العاصمة الرباط²، على إجراءات بروتوكولية وتنظيمية دقيقة؛ فعلى الساعة السابعة والدقيقة العاشرة من صباح يوم 16 نونبر، غادر جلالته فندق هنري الرابع الذي كان مقيماً فيه، قاصداً مطار فيلا كوبلي، حيث استقل طائرة كبرى تابعة لشركة (Tal) للنقل الدولي، متوجهاً إلى مطار سلا الذي حطَّ به الرحال على الساعة الحادية عشرة والدقيقة السابعة والعشرين. ووجد في استقباله أعضاء مجلس حفلة العرش، والسيد الفاطمي بن سليمان المعين لتكوين الحكومة، والمقيم العام الفرنسي أندريه دي بوا مع كبار موظفي الإدارة الفرنسية، والوفد الحكومي القادم من تطوان، ووفود الأحزاب الوطنية على اختلافها، وباشا الرباط، وعدد كبير من الشخصيات. وحينما نزل من الطائرة، سلم عليه أعضاء مجلس حفلة العرش والسيد بن سليمان والمقيم العام الفرنسي، وعندئذ صدحت الموسيقى بالنشيدَين الوطنيين المغربي والفرنسي، واستعرض جلالته كوكبة من الحرس الملكي وبعض فصائل الجيش التي أدت التحية لجلالته. وفي تلك الأثناء انسحب المقيم العام الفرنسي، وبدأ

¹ - جريدة الأمة، عدد 685، السنة الخامسة، الأربعاء 1 ربيع الثاني 1375هـ/ 16 نوفمبر 1955م.

² - جريدة الأمة، عدد 686، السنة الخامسة، الخميس 2 ربيع الثاني 1375هـ/ 17 نونبر 1955م.



الموكب الملكي سيره مخترقا الطرق التي حددت بمعرفة السيدين البكاي وابن سليمان. وعندما وصل جلالته إلى قوس النصر عند نهاية جسر أبي رقرق، تقدم إليه باشا الرباط بالتمر والحليب على حسب الأصول المرعية. وسارت فصيلة من الحرس في مقدمة الموكب، بتوسطها سيارات تحمل أبواقا خاصة لإعطاء التعليمات للجماهير المحتشدة على طول الطريق، ثم تليها السيارة الملكية يركبها جلالته، ويصحبه فيها صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير مولاي الحسن وصنوه الأمير مولاي عبد الله، وبعدهما سيارة تحمل صاحبات السمو الأميرات للا عائشة وللا نزهة وللا مليكة، وتبع السيارتين بقية الوفود، وفي مقدمتها سيارة حفظة العرش والسيد بن سليمان ووفد المنطقة الخليفية. وحينما وصل الموكب الملكي إلى الباب الكبرى للمشور السعيد، أطلقت المدافع إيذانا بالوصول، ودخل جلالته دخول المنتصر الظافر إلى القصر الذي أخرجه منه المستعمرون منفيًا.

ومباشرة بعد ذلك، وجه جلالته الملك خطابا إلى شعبه الوفي، جاء فيه: "حمدا لله أن جمع شملنا وأذهب حزننا ولم يضيع جهودنا. أيها الشعب الوفي، مهما تمسكنم بالعروة الوثقى ما كان شيء ليضركم كيفما كانت شدته، إذ لا شدة تدوم في هذه الحياة الدنيا. أيها الشعب العزيز، وعدت بالإخلاص ووفيت أحسن الوفاء، وكنت من الصابرين، فكان لك ما وعد الله به دائما، يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب. أيها الشعب العزيز، قد أخلصت الوفاء كما أخلصت، وأديت الواجب أحسن أداء كما أديت، وها أنا بينكم كما تعهدوننا، حب البلاد رائدنا، وخدمتها غايتنا، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾¹. أيها الناس، أرجوكم أن تنصرفوا في هدوء ونظام، صاحبكم السلامة"².

وبمناسبة الذكرى الثامنة والعشرين لترجع جلالته الملك محمد الخامس على عرش أسلافه المنعمين، وجه جلالته خطابا إلى الشعب المغربي الوفي: "إنكم على بصيرة من جهودنا المتوالية للنهوض بالبلاد إلى

¹ - سورة فاطر: الآية 34.

² - جريدة الأمة، عدد 686، السنة الخامسة، الخميس 2 ربيع الثاني 1375هـ/ 17 نونبر 1955م.



المستوى اللائق بماضيها المجيد وموقعها الهام خصوصا في العصر الجديد؛ فما زعزعتنا العراقيل، ولا صدتنا الحوائل، ولم نتردد في المجاهرة بالحق والدعوة إلى تغيير النظام القائم، ليتأتى إرضاء المطامح وتلبية الرغائب. ثم عاقتنا عوائق، ولاقينا خطوبا وأهوالا، ولكن أبى الله إلا أن تفرج الأزمة بعد الامتحان، وترتفع الموانع، وتعود المآذن بذكر الله وحده تملأ الآفاق، والمساجد بالمؤمنين غاصّة، والمنابر بالدعاء لنا ولك صادقة¹. ثم تطرق جلالته إلى موضوع المباحثات المكثفة التي أجراها مع المسؤولين الفرنسيين بشأن حل القضية المغربية وتشكيل الحكومة، مُعربا عن آماله وتفاؤله قائلا: "وتلك بشرى يطيب لنا أن نزفها إليك في هذا اليوم الميمون، بشرى انتهاء عهد الحجر والحماية وبزوغ فجر الاستقلال"².

خلاصة واستنتاجات:

لقد حاولنا -في هذه الدراسة المتواضعة- الكشف عن بعض الجوانب من حياة بطل التحرير ورائد الحركة الوطنية المغربية السلطان سيدي محمد بن يوسف طيب الله ثراه في المنفى، وإبراز بعض التفاصيل التي ظلت مُغيبّة في الدراسات التاريخية التي تناولت سيرة العاهل المغربي وجهاده في سبيل تحقيق الحرية والكرامة للشعب المغربي الوفي، مُعتمدين في ذلك على الجرائد والصحف، باعتبارها مادة مصدرية أساسية وجوهرية لدراسة تاريخ المغرب السياسي وتاريخ الحركة الوطنية المغربية وتطوراتها المختلفة. وكان اعتمادنا بشكل كبير على جريدة "الأمة" الناطقة بلسان حزب الإصلاح الوطني، تلك الجريدة المناضلة التي آلت على نفسها إلا أن تُتبع أخبار جلالة الملك محمد الخامس في منفاه، وتنقل إلينا -من خلال مقالاتها- صورة حياته وأسرته الملكية الشريفة في المنفى، ومُعاناتهم من الحصار والمراقبة الشديتين المفروضتين عليهم من قبل السلطات الفرنسية، فضلا عن العزلة التي فرضها الموقع الجغرافي للمنافي في جُزُرٍ وُقُرَى مُحَصَّنَةٍ، نائية وبعيدة عن كل مظاهر الحياة العصرية الحديثة. لقد فرضت السلطات الاستعمارية الفرنسية

¹ - جريدة الأمة، عدد 688، السنة الخامسة، الاثنين 6 ربيع الثاني 1375هـ/ 21 نونبر 1955م.

² - نفسه.



على السلطان، الذي كانت حالته الصحية لا تتحمل السفر الطويل، التنقل لمسافات طويلة تقدر بآلاف الكيلومترات في رحلات شاقة تنعدم فيها وسائل الراحة؛ فالطائرات التي خَصَّصَتْها السلطات الفرنسية لنقل السلطان وعائلته في تلك الرحلات، طائرات عسكرية غير مجهزة بوسائل نقل المسافرين المدنيين، وليس بها تكييف ... مما زاد في معاناتهم وجعل سفرهم قطعة من العذاب. كما أن الإقامة التي خُصِّصَتْ لنزولهم لم تكن تتوفر حتى على الحد الأدنى من الشروط الضرورية للعيش الكريم. وقد انفردت جريدة الأمة بنشر صور لغرف الفندق الذي كانت العائلة الملكية مقيمة به في قرية أنتسيرا في جزيرة مدغشقر.

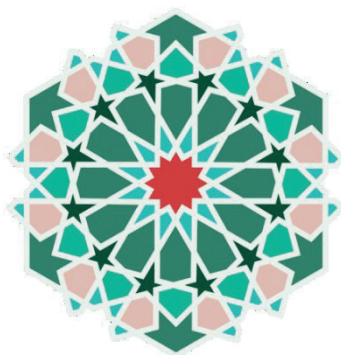
لم تكتف السلطات الفرنسية بهذه الإجراءات التي اتخذتها في حق الملك وأسرته الشريفة، بل أمنت في الإساءة إليه من خلال نشر الإشاعات والأكاذيب في محاولة لتشويه صورته أمام الرأي العام، إلا أن كل محاولاتها البائسة ذهبت سدى، بفضل أخلاق جلالة الملك وحسن معاملته للناس وتواضعه الكبير معهم، وكرمه وسخائه الذي جعله ينفق إنفاق من لا يخشى الفقر، فكان يحظى باحترام الناس وتقديرهم أينما حل وارتحل.

لم تُنسِ هذه الظروف والمُعانة والمُحن التي عاشها جلالة الملك محمد الخامس في منفاه، التفكير في الشعب المغربي وما يكابده من محن وأهوال في مواجهة الاستعمار الفرنسي وسياسته؛ فكان دائماً يلتقط أخباره عبر جهاز الراديو أو من خلال الصحف التي كان مسموحاً له بتصفحها وقراءتها. فبعد المسافات والعزلة المفروضة عليه لم تنجح في قطع حبل التواصل المتين بينه وبين شعبه الوفي. لقد عبر السلطان محمد الخامس من خلال المباحثات التي أجراها مع مبعوثي الحكومة الفرنسية عن ثبات وتثبيت كبيرين بثوابت الأمة المغربية، وفي مقدمتها البيعة الشرعية والسيادة وإرادة الأمة. فكان يفرض على المتفاوضين شروطه ووجهات نظره، رغم لجوئهم -في كثير من الأحيان- إلى المساومة وأسلوب التهديد والضغط. مما جعل الجنرال كاترو يُقرُّ بالدفاع المستميت للسلطان عن مصالح بلاده؛ "إن المهمة التي قننا بها تنطوي على مفارقة



عجيبة؛ إذ إننا طلبنا من الرجل الذي نزعناه عن عرشه ونفيناه من وطنه، أن يقدم لنا يد المعونة لنُزيل
الحالة الخطيرة التي ترتبت على عزله ونفيه. ولم يطلب سيدي محمد بن يوسف شيئاً لنفسه وإنما اهتم بمستقبل
بلاده"¹.

¹ - جريدة الأمة، عدد 630، السنة الخامسة، الأحد 24 محرم 1375هـ / 12 شتنبر 1955م.





ثورة الملك والشعب في تجدد مستمر بقيادة أمير المؤمنين حفظه الله

ذ. أحمد الأزمي

أستاذ التعليم العالي بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس

مقدمة:

من أجل بسط القول في موضوع هذا المقال المعد تخليداً لذكرى ثورة الملك والشعب المجيدة لسنة 2024م، المرتبطة بإمارة المؤمنين ورمزيتها بالمغرب، وما تحقّقه من وحدة والتحام بين الملك والشعب على توالي السنين والأعوام، علاوة على فتوحاتها وإبداعاتها المتعددة في مجالات التنمية الشاملة، من تعليم وصحة وشغل، بتكامل محكم، مع ضمان حقوق الإنسان المغربي من أجل عيش كريم في كنف السلم والاستقرار على المستويين الداخلي والخارجي، لذلك سنخصص محورين اثنين لإبراز تجليات ومضامين ما نعهده ثورة متجددة بقيادة إمارة المؤمنين في تفاعل والتحام مستمرين بين الملك والشعب.

يتناول المحور الأول منهما بعضاً من الإفادات الشرعية والتاريخية المؤسسة لإمارة المؤمنين، ويتطرق المحور الثاني لمظاهر وتجليات التجديد والابتكار لهذه الإمارة التي يجسدها صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله، من أجل خلق نهضة شاملة اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً.



I- إمارة المؤمنين في المغرب: المفهوم والأسس الشرعية والتاريخية

1- مفهوم إمارة المؤمنين ومشروعيتها وتاريخها بالمغرب

إمارة المؤمنين تعني أن رئيس الدولة يدير شؤون الدين وشؤون الدنيا، وهي النظام الأصلي في الإسلام على هدي النبوة، وأول من سمي من الناحية التاريخية بها هو خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه¹.

وتقوم مشروعية إمارة المؤمنين في المملكة المغربية على عقد مكتوب يسمى "البيعة". وأول بيعة (تعاهد) على واجبات الأمير والتزامات الأمة هي "البيعة التي أعطها المسلمون الأولون للرسول صلى الله عليه وسلم². في المغرب ومع بداية الأسرة الملكية الأولى في العهد الإسلامي بهذا البلد، يتولى الحكم الملك أو السلطان أو أمير المؤمنين على أساس "عقد البيعة". أما وثيقة البيعة فيكتبها العلماء ويوقعها أعلام الفئات المختلفة في الأمة والمجتمع، وهم الشرفاء والعلماء وشيوخ زوايا التصوف ورؤساء الجيش وأعيان التجار وأمناء أصحاب الحرف، وبهذا العدد الوفير يعطي الموقعون المشروعية للحاكم الجديد بصفته أميراً للمؤمنين، ويلتزمون له بالولاء في المنشط والمكره، ويلتزم أمير المؤمنين للأمة بما يسمى عند علماء الشريعة في الإسلام بالكليات الشرعية التي يتحمل أمير المؤمنين مسؤولية الدفاع عنها والقيام بها أحسن قيام، حماية للأمة وضماناً لسكينتها واستقرارها.

وتشمل هذه الالتزامات نفس القواعد الكبرى التي يضمنها الدستور في العصر الحديث، لذلك لم يجد المغرب تنافياً بين حياته السياسية بمقتضى البيعة وحياته بمقتضى الدستور المغربي الذي نقرأ في الفصلين 41 و42 منه بخصوص إمارة المؤمنين ما يلي:

¹- أبو عمرو يوسف بن عبد الله النفري القرطبي (ت 463 هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجليل، بيروت، ط 1، سنة 1992م، ج 3، ص: 1151.

²- من أجل تفاصيل أكثر في الموضوع، يمكن الرجوع إلى:

حسن عبد العزيز غوردو، إمارة المؤمنين، التاريخ السياسي والثقافة الدستورية، دورة كان التاريخية، عدد 14 دجنبر 2011م، ص 129 إلى 156.



الفصل 41: الملك أمير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين والضامن لحرية ممارسة الشؤون الدينية، ويرأس أمير المؤمنين المجلس العلمي الأعلى الذي يتولى دراسة القضايا التي يعرضها عليه. يعتبر هذا المجلس الجهة الوحيدة المؤهلة لإصدار الفتاوى التي تعتمد رسمياً في شأن المسائل المحالة عليه استناداً إلى مبادئ وأحكام الدين الإسلامي الحنيف ومقاصده السمحة.

الفصل 42: الملك (أمير المؤمنين) رئيس الدولة وممثلها الأسمى ورمز وحدة الأمة وضامن دوام الدولة واستمرارها والحكم الأسمى بين مؤسساتها.

تبعا لما سبق، نجد أنه عبر تاريخ المغرب وإلى وقتنا هذا تتجدد البيعة لأمير المؤمنين كل أسبوع من خلال دعاء الخطباء له في المساجد يوم الجمعة، ومن المعلوم أنه في كل عام وعلى توالي السنين، تجرى مراسيم تجديد البيعة للسلطان محمد السادس في اليوم المحدد لها وهو اليوم الثاني من عيد العرش، أي يوم 31 يوليوز الذي يتوافد فيه المنتخبون من جميع جهات المملكة لأداء هذا الواجب كما كان يؤديه أسلافهم من أعيان المجتمع قبلهم، وتجدر الإشارة هنا إلى أن عددا غير قليل من وثائق البيعة محفوظة في الأرشيف الملكي، نشرت مجموعة منها مؤخرا، يرجع تاريخ بعضها إلى ما قبل قيام الدولة العلوية الذي يؤرخ له بحوالي 1668م.

2- إمارة المؤمنين في المغرب تخليد للسنة النبوية الشريفة في الحكم

تؤكد الكثير من المصادر أن الأسرة العلوية تنحدر من السلالة النبوية الشريفة التي ينتهي نسبها إلى الرسول الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم¹، ولذلك فإن أمير المؤمنين محمد السادس أعز الله أمره ملك المغرب يعتبر سبط نبينا الكريم عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم، ويسوس البلاد ويحكمها وفقا لسنته المستمدة أحكامها وتعاليمها من القرآن الكريم، كتاب الله تبارك وتعالى.

ومن تجليات تمسك أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس بحفظه الله بسنة جده النبي محمد عليه الصلاة والسلام، الاقتداء في مشروعية حكمه للبلاد بمفهوم البيعة وأحكامها الشرعية

¹ - أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م، المجلد الثالث،



ومقاصدها. فإذا كانت بيعة الرضوان¹ التي شكلت تعاقدًا متينًا بين الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته في السنة السادسة للهجرة قد ساهمت في نجاح الدعوة الإسلامية وتأسيس حكم إسلامي بعد ذلك، فإن ملك المغرب يعتبر بيعة الشعب المغربي له أمانة في عنقه للحفاظ على وحدة البلاد واستقرارها وكرامتها، كما ينص على ذلك الدستور المغربي، ولا يمكن تفسير هذا الالتحام التاريخي بين الملك والشعب في السراء والضراء إلا بإيمان الأمة المغربية بإيماننا راسخًا بأن أميرهم يستمد مشروعية حكمه من كتاب الله وسنة رسوله، وهذا يعني أنه يخاف الله، ولذلك فإنهم لا يعصون له أمراً، مهما كانت الشدائد والمواقف التي تمتحن صدق المشاعر من كذبها بين الحاكم والمحكوم. وفي هذا الصدد، تخبرنا الشهادات التاريخية أن العواصف التي كانت تهدد وحدة المغرب واستقراره لم تزد العلاقة بين الشعب والعرش إلا متانة وتعلقاً، بحيث شكّلا ثورة متجددة بين الملك ورعيته، خيبت آمال كل المغرضين والمتربصين.

وفي موضوع البيعة التي نحن بصدد الحديث عنها، يقول مولانا الحسن الثاني طيب الله ثراه: "المغاربة يبايعون ملكهم منذ التاريخ القديم، منذ المولى إدريس على الكيفية الإسلامية المشروعة المعترف بها أيام النبي صلى الله عليه وسلم، يبايعون ملكهم بيعة الرضوان، ولكن مقابل تلك البيعة، فإن الملك كذلك يبايع في شكله المغاربة، وذلك حينما يتعهد بضمان حقوقهم، وأول حق عند المغاربة هو الاستقرار في مغربيتهم"².

ومما لا شك فيه، أن مقولة مولانا الملك الحسن الثاني رحمه الله: "إن أول حق (وأهمه) عند المغاربة هو الاستقرار في مغربيتهم" يقصد بها استمرار المغاربة في التثبث بالثوابت الدينية التي تمذهبوا بها، عبر تاريخهم الإسلامي، وعضوا عليها بالتواجد باعتبارها طوق نجاة، خصوصاً في ظل حكم الدولة العلوية الشريفة، وأبرز هذه الثوابت المشكلة لهويتهم الدينية³ المذهب المالكي، والعقيدة الأشعرية والتصوف

¹ - هي التي ورد فيها قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: 18).

² - خطاب المسيرة الخضراء، 6 نونبر 1981م.

³ - يمكن الرجوع في هذا الصدد إلى أعمال الندوة العلمية الدولية في موضوع: "المدرسة المالكية الفاسية، أصالة وامتداد"، المنعقدة بفاس يومي 20-21 مارس 2007م. منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، 1431هـ/2010م، سيما مداخلة الدكتور عباس الجباري رحمه الله تحت عنوان: "من أسباب انتشار المذهب المالكي بالمغرب"، ص: 47.



السني الجُنَيْدي، وهي ثوابت يؤطرها كتاب الله وسنة رسوله، وتسهر عليها وترعاها وتعمل بمقتضياتها إمارة المؤمنين باعتبارها عامل وحدة تجمع أهل عقيدة الإيمان، وتسمح لهم بالارتقاء إلى مراتب الإحسان. وبناء على ما سبق، فقد استمرت إمارة المؤمنين منذ نشأة دولة الأشراف العلويين، في القيام بواجب حفظ الدين والملة على الأصول التي أجمع عليها السلف الصالح، وبيان سبيل الهدى والخير، وتحقيق العدل، وتقديم النصيح، وإرشاد الناس للسير على المحجة البيضاء، وبذلت من أجل ذلك جهوداً معتبرة، تبليغا وتعلوما وإرشادا ونشرا للخير.

II- مظاهر التجديد والابتكار لدى إمارة المؤمنين

من أجل تفصيل القول في مضامين هذا المحور، لابد من تسليط الضوء على أمرين اثنين مترابطين ومتلازمين، الأمر الأول له صلة بالتوجيهات والتنبهات الملكية، للمنظومة المشرفة مباشرة على تدبير شؤون البلاد من حكومة وأحزاب سياسية ومنتخبين بلهجة صارمة، وروح مفعمة بالجدية والرغبة في استدراك ما فات من تهاون وتأخر في إنجاز التنمية الشاملة المنشودة، بإسعاد شعبه الذي يريد بصدق مواصلة الكفاح مع العرش في تلاحم واستبسال مستمرين، كما تعاهدا على ذلك منذ نفي محمد الخامس طيب الله ثراه يوم 20 غشت 1953م وهو النفي الذي دبرته الدولة المستعمرة والذي أشعل فتيل ثورة الملك والشعب. وتعتبر هذه التوجيهات والخطوات السياسية الملكية الجريئة، بما انطوت عليه من فاعلية وواقعية، وقرب من نبض الشعب، وتنبع حثيث للمشاريع والبرامج والاستحقاقات، ورغبة في الانفتاح على الحداثة مع التمسك في الوقت نفسه بقيم البلاد وثوابها، تعتبر كلها أموراً تجعل من إمارة المؤمنين المجسدة في ملك البلاد محمد السادس نصره الله القلب النابض الذي يحرك ثورة جديدة بمعية شعبه، شعارها التجديد والابتكار والتعبئة الشاملة من أجل خلق مغرب جديد يعيش شعبه في كنف العزة والكرامة.

أما الأمر الثاني المتفرع عن هذا المحور، فسنعمل من خلاله على إعطاء جرد لبعض المنجزات المترتبة عن قرارات وتوجيهات أمير المؤمنين السياسية والاقتصادية والاجتماعية.



1- بعض توجيهات أمير المؤمنين وقراراته من خلال خطبه السامية¹

منذ السنوات الأولى لتولي أمير المؤمنين حكم المغرب، نستشف من خطبه والعبارات الواردة فيها، الهم الذي يحمله جلالته من أجل خدمة بلده وإرضاء شعبه، بداية بالوحدة الترابية للبلاد، القضية الوطنية الأولى، ومرورا بقضايا البناء الاقتصادي الممهدة للتنمية الشاملة، وانتهاء بتنبيه المسؤولين الحكوميين والهيئات البرلمانية والحزبية، من أجل التحلي بالمزيد من اليقظة والحس بالمسؤولية الجسيمة الملقاة على عاتقهم، وهم يؤدون مهامهم.

ونقدم فيما يلي بعضا من هذه التوجيهات النيرة الواردة على سبيل المثال في خطاب العرش لسنة 2003م.

لقد استعرض جلالته في هذا الخطاب عددا غير قليل من القضايا التي تشغل باله بخصوص الوحدة الترابية للمملكة والقضايا الاجتماعية التي تتطلب مجهودات استثنائية لرفع التحديات التي تطرحها، مثل:

- الوحدة الترابية.
- أحياء الصفيح والبناء العشوائي.
- التعليم والعولمة.
- الحداثة.
- الإدارة الفعالة والقضاء العادل.
- التضامن العربي وقضية فلسطين.
- الاتحاد المغاربي.
- التحام العرش والشعب.

¹ - من الأعمال التي أولت عناية كبيرة لإمارة المؤمنين والمجهودات الجبارة التي يبذلها أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله في شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية يمكن ذكر:

- Mohamed Jelmad, le commandeur des croyants: Visions Renouvelées et Perspectives prometteuses, Imprimerie Attawfik, Publication : OULEMAG, 2023, 157 pages.



ومن بين هذه المواضيع المطروحة في الخطاب السامي لجلالته، سنركز على وجه الخصوص، على ما هو اجتماعي واقتصادي له صلة وطيدة بالأوضاع العامة الهشة التي تعيشها ساكنة البلاد ومسؤولية السلطات الحكومية والأحزاب والبرلمان في إنجاز المشاريع الملكية المسطرة أو في إفشالها، كما نفهم ذلك في ثنايا مضامين الخطاب الملكي ذات النبرات الصارمة، القريبة من الغضب أحيانا بسبب ما يقف عليه أمير المؤمنين حفظه الله من تقصير وإهمال في أداء الواجب، وفي هذا الصدد يقول جلالته: "... إن التزامي بالمصالح العليا للوطن والمواطنين وما يقتضيه من حرص على استمرار تحقيق مشاريع الإصلاح الكبرى، يجعلني أقول باسمك إنني لن أقبل تأخير إنجاز أي إصلاح وطني بدعوى انتظار إجراء انتخابات أو ترضية فئة أو هيئة خارجة عن الإجماع أو التوافق أو الأغلبية"¹.

وبنفس الصرامة، تحدث جلالته عن موضوع:

- محاربة السكن غير اللائق: بقوله في نفس الخطاب: "وإذا اقتصرنا على مجال محاربة السكن غير اللائق، ومع إدراكنا لمدى الصعوبات، وتقديرنا للمشاريع المحققة أو المبرمجة، فإننا كما ننتظر أن تكون حصيلة المنجزات في مستوى جسامه التحديات. لقد دق خطابنا لـ 20 غشت 2001م ناقوس الخطر، منبها على خطورة انتشار السكن الصفيحي والعشوائي لما له من أثر سلبي على كرامة المواطن، وما يشكله من تهديد لتماسك النسيج الاجتماعي، داعيا إلى اعتماد برنامج وطني تضامني مضبوط المسؤوليات. وبعد سنين وبدل أن أعين خلال زيارتي التفقدية لأقاليم المملكة القضاء التدريجي على السكن الصفيحي، ألاحظ بمرارة انتشاره في عدة مدن، بل إن أحياء صفيحية قد ظهرت وتضخمت لتصبح مدنا عشوائية قائمة بالذات. ومثل هذا البناء العشوائي لم ينزل من السماء ولم ينتشر في الأرض بين عشية وضحاها، بل إن الكل مسؤول عنه، وذلك انطلاقا من المواطن الذي يدفع اليوم رشوة لمسؤول قد يأتي غدا بالجرفاء ليهدم "براكته" أمامه، إلى مختلف السلطات العمومية والجماعات المحلية المتهاونة في محاربة انتشار مدن الصفيح، بدل التشجيع على توفير السكن اللائق"².

ويضيف جلالته متسائلا: "فهل يجوز والحالة هذه اعتبار ذلك قدرا محتوما؟".

¹ - خطاب العرش لسنة 2003م.

² - نفسه.



- موضوع التعليم والابتكار والحدثة: إدراكا منه لأهمية التعليم في تنشئة الفرد الصالح للمجتمع، يواصل جلالته قائلا: "وإذا كان تحرير كل المغاربة من الفقر... يتطلب جهودا لعدة أجيال، فإن بالإمكان تحريرهم في أمد منظور من الجهل والأمية الفكرية والانغلاق، وغيرها من الفقر المعنوي الذي هو أسوأ أحوال التخلف، ولن يتأتى ذلك إلا بالإصلاح النوعي لنظام التعليم وخصوصا البرامج والمناهج التي يتعين تنصيب اللجنة الدائمة الخاصة بها (٠٠) من خلال الانكباب على تجديد هذه البرامج والمناهج ابتداء من الدخول المدرسي لسنة 2003م..."، إلى أن يقول: "ونظرا لأهمية الجوانب التربوية والثقافية في النهضة الشاملة فإننا نؤكد على الدور الحيوي للجامعة والنخبة الفكرية الوطنية في ترسيخ الحدثة باعتبارها قيمة مضافة لرصيدنا الحضاري في تنشئة شبابنا على التشبع بالوطنية الملتزمة (٠٠)، ولأن بلدنا يعرف انتقالا شموليا يتطلب تعزيز قدرات الرصد والتدبير والتوقع، فقد قررنا إحداث معهد ملكي للدراسات الاستراتيجية، ينكب على هذه المهام الحيوية للتحكم والتفاعل مع التحولات العميقة الداخلية والخارجية"¹.
- موضوع التنمية الاقتصادية: التنمية الاقتصادية في منظور جلالته رهينة بإدارة فعالة وقضاء عادل، مع اقتصاد منتج للثروات الموفرة لفرص الشغل النافع، وهو أمر لن تقوم له قائمة في وجود ديمقراطية هشّة. ومن أجل الارتقاء إلى المستوى المطلوب، يرى جلالته: "أننا مطالبون ببذل المزيد من الجهود لإنجاز الإصلاحات اللازمة في هذا الشأن في إطار اعتماد مقاربة شمولية تنبؤا بالتنمية الاقتصادية مكان الصدارة فيها، من خلال مشاريع استراتيجية مثل المشروع الكبير لطنجة المتوسط، مع العمل على تحرير الاقتصاد وافتتاحه وتأهيله لكسب رهانات الشراكة ورفع تحديات الإنتاجية والتنافسية والتفاعل الإيجابي مع العولمة"².
- موضوع النموذج التنموي: ورد الحديث عن هذا الموضوع ضمن خطاب العرش لسنة 2019م، حيث يذكر جلالته أنه "من منطلق الوضوح والموضوعية، فإن ما يؤثر على هذه الحصيلة الإيجابية هو أن آثار هذا التقدم وهذه المنجزات لم تشمل بما يكفي، مع الأسف، جميع فئات المجتمع المغربي، ذلك أن بعض

¹ - خطاب العرش لسنة 2003م.

² - نفسه.



المواطنين قد لا يلمسون مباشرة تأثيرها في تحسن ظروف عيشهم وتلبية حاجياتهم اليومية، خاصة مجال الخدمات الاجتماعية الأساسية والحد من الفوارق وتعزيز الطبقة الوسطى¹.

وبعد أن عبر جلالاته عن شعوره بالحسرة والألم لوجود فئة من المغاربة، مهما كانت قليلة، تعيش في ظروف صعبة من الفقر أو الحاجة، انتقل لإعطاء رأيه في النموذج التنموي السائد، فأكد أنه "نموذج أبان خلال السنوات الأخيرة عن عدم قدرته على تلبية الحاجيات المتزايدة لفئة من المواطنين وعلى الحد من الفوارق الاجتماعية ومن التفاوتات المجالية، وهو ما دفعنا لمراجعته وتحسينه. وفي هذا الإطار قررت إحداث اللجنة الخاصة بالنموذج التنموي التي سنقوم في الدخول المقبل إن شاء الله، بتنصيبها"².

ومن بين القضايا الأخرى التي تطرق لها العاهل المغربي في خطبه يمكن ذكر:

- مدونة الأسرة وأهميتها.
- الانتخابات وأهمية المشاركة فيها.
- تسوية مسألة اللاجئين والدعوة لحسن معاملتهم.
- مواجهة التطرف مع تعزيز قيم الانفتاح والتسامح.
- مسألة الزلزال الذي ضرب البلاد وقيم التضامن التي عبر عنها المغاربة.
- تعزيز البعد الإقليمي للمملكة.
- تأهيل الواجهة الأطلسية للصحراء المغربية.
- القضية الفلسطينية.
- البعد المغاربي.

هذه وغيرها كلها مواضيع نالت وتناول من اهتمام أمير المؤمنين أعز الله أمره بشكل عام، لكن القضايا التي لا يقبل التهاون فيها هي المرتبطة بالشأن المجتمعي مباشرة في سائر ربوع البلاد، والتي ما فتئ يوجه بشأنها، ويذكر ويحذر بكل ما أوتي من قوة، على غرار ما سطرناه في الفقرات السابقة، لأنه يعتبر

¹ - خطاب العرش لسنة 2003م.

² - نفسه.



ذلك من أوجب واجباته الدينية والدستورية، ومن شدة حرصه على رؤية المشاريع المسطرة برعايته توثي أكلها ويقطف المغاربة ثمارها، نجده يلح ويؤكد بلهجة صارمة ومحدرة على ما يبدو، عندما يقول: "... وقد اكتفيت لحد الآن بتوجيه السلطات العمومية والمنتخبة، كل في نطاق اختصاصه لينهضوا بمهامهم كاملة عن قرب؛ لأنه لا يمكن لملك البلاد أن يقوم بعمل الوزير أو العامل أو رئيس جماعة محلية، ولأنني حريص على ممارسة كل سلطة لصلاحياتها بروح المسؤولية والفعالية، ونهوضا بالأمانة العظمى فإنني لن أسمح بالتهاون في القيام بالشأن العام، بحيث سأحرص على تفعيل كل أشكال المراقبة الصارمة والمحاسبة الحازمة؛ لأنه إذا كان كل منا راعيا ومسؤولا عن رعيته، فإن خديمك الأول راع لهذه الأمة وموتمن على شؤونها العامة"¹.

2- جرد لأهم المنجزات والمشاريع الشاهدة على عبقرية أمير المؤمنين حفظه الله

مما لا شك فيه أن التأطير والمواكبة الملكية لكل الأوراش الحكومية بكل انتظام ودقة، منذ السنوات الأولى لاعتلائه عرش أجداده الكرام، كما سبقت الإشارة إلى ذلك أعطت أكلها، وصار الكل يتحدث عنها في داخل البلاد وخارجها، في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، علاوة على المجالات والصحف المتخصصة، الورقية منها والإلكترونية، وهو ما نتج عنه تصاعد في الاستثمارات الأجنبية والوطنية داخل المغرب. وبما أن المجال لا يسمح بالتفصيل في كل المشاريع والإنجازات المحققة، فإننا نكتفي هنا بإعطاء جرد عام عن ذلك.

إذا كان من السابق لأوانه الخوض فيما سيتمخض عنه النموذج التنموي الجديد، فإنه لا يمكن لنا إلا تثنيد الدينامية الإصلاحية والتنموية التي انخرط فيها المغرب منذ بداية العهد الجديد، والتنويه بالنفس التنموي الطويل والعميق لأمر المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله الذي برزت معالمه الأولى بإطلاق "المبادرة الوطنية للتنمية البشرية" سنة 2005م، مروراً بعدد من المحطات الكبرى من قبيل:²

¹- خطاب العرش لسنة 2003م.

²- اعتمدت في هذه المعطيات على العمل القيم الذي أنجزه الباحث عزيز لعويبي تحت عنوان: "محمد السادس مهندس التنمية والدبلوماسية"، المنشور بجمريدة السفير، الموقع الإلكتروني: هسبريس، بتاريخ 26 ماي 2021م.



- بناء ميناء طنجة المتوسط.
- مشروع بناء الناظور غرب المتوسط.
- مشروع الحسيمة منارة المتوسط.
- إعطاء الانطلاقة لمشروع "القطار الفائق السرعة".
- توسيع دائرة شبكة الطرق السيارة والطرق الوطنية.
- إعطاء انطلاقة واحدة من أكبر المشاريع الطرقية في إفريقيا والعالم العربي، ويتعلق الأمر بـ "الطريق الرابط بين تنزيت والداخلة" الذي يعد بوابة المغرب وأوروبا نحو الأسواق الإفريقية الواعدة.
- المشاريع المرتبطة بالإقلاع الصناعي التي جعلت من المغرب منصة عالمية لعدد من الصناعات وعلى رأسها السيارات والطيران.
- الخطط والاستراتيجيات المتعلقة بثمين الموارد الطبيعية الوطنية من قبيل برنامج "الجيل الأخضر".
- استراتيجية غابات المغرب "البرنامج الوطني للتزويد بالماء الشروب ومياه السقي".
- استراتيجية الارتقاء بقطاع التكوين المهني عبر "برنامج مدن المهن والكفاءات".
- المشاريع المرتبطة بالنموذج التنموي للصحراء المغربية مثل مشاريع بناء موانئ الداخل و"أمهيرز" و"الكويرة" التي ستجعل المغرب قوة تجارية أطلسية ذات إشعاع إفريقي ودولي.
- المشاريع الرائدة عالميا ذات الصلة بالطاقات البديلة وعلى رأسها محطة "نور ورزازات" للطاقة الشمسية التي تعد واحدة من أكبر محطات إنتاج الطاقة الشمسية في العالم¹.
- وستبلغ الاستراتيجية التنموية لصاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله مداها، من خلال إحداث "صندوق محمد السادس للاستثمار" الذي يعول عليه للنهوض بمستوى وقدرات الاقتصاد الوطني في ظل ما تعرض له من هزات بسبب جائحة كورونا، وخاصة فيما يتعلق بإطلاق مشروع "الحماية الاجتماعية" الذي يعد "ثورة ملكية اجتماعية بامتياز، رائدة في إفريقيا والعالم العربي"، ترمي إلى المضي قدما في اتجاه تمتيع جميع المغاربة بالحق في التغطية الصحية والحماية الاجتماعية في أفق سنة 2025م، ليتواصل قطار التنمية الشاملة بالدخول في صلب "نموذج تنموي جديد"، جاء بناء على رؤية ملكية

¹ - محمد السادس مهندس التنمية والدبلوماسية، المنشور بجريدة السفير، الموقع الإلكتروني: هسبريس، بتاريخ 26 ماي 2021م.



متبصرة، تحكمه فيها الرغبة في تجاوز ما أبانت عنه الممارسة التنموية طيلة عقود من اختلالات وأعطاب ومشكلات اجتماعية عمقت بؤر التباينات المجالية والتفاوتات الاجتماعية بشكل توسعت معه دائرة الفقر واليأس والإحباط والإقصاء، وسط فئات اجتماعية عريضة¹.

وفي هذا الصدد، يخلص الباحث عزيز لعويسي إلى الإدلاء بالقناعة الآتية: "هي إذن هندسة ملكية متبصرة، جمعت وتجمع بشكل أنيق ورصين بين ثنائية "التنمية الشاملة" و"الدبلوماسية الناجعة"، وبهذه الثنائية، تحول مغرب اليوم إلى "قوة إقليمية" بعمق إفريقي وحضور عربي وإشعاع واحترام دولي، في ظل اعتراف أمريكي تاريخي بمغربية الصحراء، وهذا التوقع الجديد... يقتضي التعبئة الجماعية، وتوحيد الجبهة الداخلية والالتفاف حول ثوابت الأمة المغربية ذات التاريخ العريق والحضارة الضاربة في القدم..."².

ومن الشهادات التي تحدثت عن الإنجازات العظيمة لأmir المؤمنين أيده الله، ما عبر عنه خبيران أكاديميان في الاقتصاد هما أحمد أزيرار والطيب أعيس.

يقول الأول: "إن التغيير الذي أحدثه الملك محمد السادس في 24 سنة من حكمه إلى حدود اليوم، هو تغيير عميق وشامل لجميع مناحي حياة المواطنين المغاربة، معددا أبرز تظاهرات التطور التنموي في الأبعاد الاجتماعية والإنسانية والحقوقية والسياسية والاقتصادية والدبلوماسية وكذا الرياضية"، مضيفا أن "وتيرة التغيير صارت متسارعة في السنوات الأخيرة، رغم مخلفات الجائحة الوبائية، وفي ظل المناخ العالمي المتدهور، متنبئا في الوقت نفسه بأنه من المنتظر تثبيت الاعتراف الأممي كاملا بأقاليمنا الجنوبية كجزء لا يتجزأ من الوطن، مع إيجاد الحلول الناجعة لمشكل الموارد المائية ولمعضلة البطالة"³.

أما الباحث الثاني (الطيب أعيس)، وهو محلل اقتصادي فتحدث عن "مستوى مرموق وصلته البنية التحتية للمغرب، مضيفا أنه تم الاشتغال كثيرا على تعميم الطرق والمسالك بمختلف أنواعها (سيارة، مزدوجة، سريعة) لفك العزلة عن كثير من المناطق المغربية، لاسيما النائية، كما أبرز أن المغرب صار

¹ - محمد السادس مهندس التنمية والدبلوماسية"، المنشور بجريدة السفير، الموقع الإلكتروني: هسبريس، بتاريخ 26 ماي 2021م.

² - نفسه.

³ - ضمن مقال في موضوع: نهضة اقتصادية شاملة بوتيرة متسارعة، المنشور بموقع هسبريس الإلكتروني، بتاريخ 30 يوليوز 2023م.



ثاني دولة إفريقية من حيث جودة الطرق السيارة، وأصبح من الدول الرائدة في الحوض المتوسطي وكذا قاريا من حيث موانئ الحاويات، ضاربا المثل بأضخم مشروعات شرع في إنجازهما، هما ميناء الداخلة الأطلسي وميناء الناظور غرب المتوسط، دون إغفال ما تم إنجازه بتعليمات ملكية بخصوص تطوير المطارات والموانئ الموجودة، وإحداث بنايات جديدة في مختلف الجهات¹.

خاتمة:

إن تاريخ المغرب حافل بالدروس والإنجازات التي تسهل على الدوام تجاوز الأزمات بفضل التلاحم الدائم بين العرش والشعب وبفضل تضحيات المغاربة الأحرار، وهو ما شكل ويشكل ثورة متجددة ومستمرة بين القاعدة الجماهيرية وقيادتها المؤطرة بإمارة المؤمنين.

هذا التلاحم وذلك الإخلاص من قبل الشعب لقائده هو الذي جعل صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله يعطي بسخاء كل ما يملك من عبقرية في الحكامة والإبداع والابتكار والتجديد، من أجل إسعاد شعبه، موفقا في ذلك بين الأصالة والمعاصرة وبين الحداثة والموروث التاريخي الحضاري المغربي، مستمدا مشروعية حكمه من كتاب الله وسنة رسوله باعتبارهما مصدرين أساسيين لثوابت الأمة وهويتها الدينية.

وما المشاريع والمنجزات الجبارة التي تم عرض تفاصيلها في ثنايا هذا المقال سوى أكبر دليل على حسن صنيع أمير المؤمنين حفظه الله في التخطيط والتدبير والمراقبة والتنفيذ، من أجل ضمان واستمرار وتوطيد علاقة الثقة والتضامن والوفاء التي تجمع بين الراعي والرعية.

كما أن حجم هذه الحصيلة الاقتصادية والإنمائية المبهرة التي تمت وتم في ظل تعبئة شاملة بشهادة العدو قبل الصديق، أسكتت الأفواه وأصابت عددا غير قليل من الأقلام بالوجوم، بحيث لم يعد التمسك بمؤسسة إمارة المؤمنين يقتصر على القوى المحافظة، بقدر ما أصبح يتعداها إلى قطاع عريض من القوى

¹ - ضمن مقال في موضوع: نهضة اقتصادية شاملة بوتيرة متسارعة، المنشور بموقع هسبرس الإلكتروني، بتاريخ 30 يوليوز 2023م.



التقدمية التي صارت تنظر إلى الملكية في صلتها العريضة بإمارة المؤمنين، باعتبارها مكتسبا تاريخيا لضمان وحدة الجماعة الوطنية، وكفالة الحقوق والحريات للمسلمين وغير المسلمين على حد سواء¹. وأخيرا، لا نبالغ إذا قلنا إن حجم المنجزات الملكية وقيمتها وأثرها التنموي في الأوساط الاجتماعية يُعد ثورة تنموية كبرى، من شأنها ترصيع قلادة منجزات صاحب الجلالة الملك محمد السادس، أعز الله أمره، الذي جمع بهذا الإنجاز المجد من أطرافه.

¹ - عبد السلام طويل، إمارة المؤمنين، الرائد، منصة علمية إلكترونية (الرابطة المحمدية للعلماء).



ثورة الملك والشعب: دلالات وعبر

ذ. منير روكي

باحث في التاريخ- برشيد

توطئة:

إن المتأمل في ثورة الملك والشعب وانعكاساتها على الساحة الوطنية، يلاحظ بما لا يدع مجالا للشك، أن المدن المغربية قاطبة انتفضت وأبدت ردود فعل مناهضة لما أقدمت عليه سلطات الحماية ومقيمها العام، من المساس برمز الأمة المغفور له مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه، وأسرته الشريفة، ونفيه خارج البلاد. فمن طنجة لتطوان، ومن فاس إلى الرباط، من شرق المملكة إلى جنوبها، اهتزت الساكنة الحضرية على وقع الحدث وتفاعلت مع تداعياته الداخلية والخارجية، الأمر الذي يجعلنا أمام استنتاج بنيوي مفاده الغيرة الوطنية الصادقة التي أبداه رعايا المغفور له مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه الأوفياء من سكان المدن على إثر نفيه، مما يحتم علينا طرح سؤال بديهي: هل صدى ثورة الملك والشعب كان حضريا خالصا، أم كان لهذا الحدث انعكاسات محتملة على أغلب سكان البوادي المغربية؟

تساؤل كبير يجعلنا أمام حتمية التلاحم الجم الذي جمع مكونات المجتمع المغربي- حضرية كانت أم قروية- والعرش العلوي المجيد، وهو تلاحم مطبوع بالامتداد الكبير الذي كانت تمثله المؤسسة الملكية في وجدان المغاربة منذ أمد ليس بالقصير، فحري ألا تكون ثورة الملك والشعب استثناء في هذا السياق؛ لا سيما أن وقع الحدث كان من القوة بحيث حرك مشاعر الألفة والارتباط بين ملك وشعبه.



ولمناقشة هذه الإشكالية لا بد من الوقوف على تداعيات ثورة الملك والشعب على المستوى الحضري من خلال استحضار الصدى الذي تركته الثورة في ساكنة المدن المغربية.

أولاً: نفي السلطان محمد الخامس: الحدث وتداعياته

تشكل ذكرى ثورة الملك والشعب، حدثاً بارزاً سيظل راسخاً في الذاكرة التاريخية للمملكة باعتباره محطة حاسمة في مسيرة الكفاح الوطني من أجل التحرر من نير الاستعمار واسترجاع السيادة الوطنية. وقدم المغاربة خلال هذه الثورة المباركة نماذج رائعة وفريدة في تاريخ تحرير الشعوب، وأعطوا المثال على قوة الترابط بين مكونات الشعب المغربي، بين القمة والقاعدة، واسترخاصهم لكل غال ونفيس دفاعاً عن مقدساتهم الدينية وثوابتهم الوطنية وهويتهم المغربية.

ففي 20 غشت 1953م، استيقظ الشعب المغربي على خبر نفي جلالة المغفور له الملك محمد الخامس طيب الله ثراه وأسرتة الشريفة، من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية، انتقاماً من مواقفه الوطنية البطولية. حيث انتفض الشعب المغربي انتفاضة عارمة وتفجر غضبه في وجه الاحتلال الأجنبي رافضاً المس بكرامته والنيل من رمز سيادته ووحدته.

في هذا السياق، لا بد من الحديث عن الظروف التي رافقت نفي السلطان سيدي محمد بن يوسف وعزله عن عرشه، ولعل أهمها بداية توطيد التعاون بين الملك ورجال الحركة الوطنية، غير أن إدارة الحماية كانت تتخوف من هذا التقارب رغم ما كانت تروج له من أن أقطاب الحركة الوطنية كانوا مجرد قلة من البرجوازية الحضرية لا يتوفرون على قاعدة شعبية لأن توحيد الحركة الوطنية مع السلطان يشكل خطراً ملبوساً.¹

وقد حاول الجنرال جوان تعكير صفو العلاقة المتميزة بين السلطان ورجال الحركة الوطنية حيث أوعز للسلطان بإقالة الوزراء الاستقاليين من المخزن المغربي²، غير أن محمداً الخامس لم يقبل اقتراحات

¹ - روم لاندو، محمد الخامس منذ اعتلائه عرش المغرب إلى وفاته، تعريب ليلى أبو زيد، منشورات الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1979م، ص. 69.

² Julien, André, L'Afrique du Nord en Marche, paris, 1952-p.378.



المقيم العام، وزاد تأكيده على الارتباط بالوطنيين الذين أصبحت تجمعهم بهم وحدة التفكير والعمل¹، فاختار الوطنيين؛ وبذلك ازدادت شعبيته لدى كل الأحزاب والتنظيمات النقاوية وعموم الشعب المغربي.² تجمع عدد من الدراسات الحديثة³ على أن ملامح التغيير في علاقة السلطان محمد الخامس طيب الله ثراه بالإقامة العامة بدأت حينما حاول محمد الخامس استعمال السلطة الوحيدة الهامة التي تركتها له معاهدة الحماية وهي توقيع الظهائر والقوانين الجديدة⁴، وبذلك بدأت الإقامة العامة في الضغط على السلطان لإمضاء الظهائر المعلقة والتي رأى الفرنسيون أن تراث جلالته في إمضائها فيه نوع من الإضراب عن إصدار الظهائر التي تعودوا أن يستصدهروها بكامل الحرية قبل وصول الوعي القومي لمداها الحالي.⁵

بدأ تهديد السلطان بالنفي من قبل الجنرال جوان سنة 1953م في حالة امتناعه عن توقيع الظهائر والنصوص التشريعية التي كان يراها ضرورية لتحقيق أهدافه، بيد أنه خضع في الأخير حقنا للدماء، حيث شرح السلطان للسيد كلوزيل "أنه وقع الورقة لمنع سفك الدماء، وأنه يعتبر المستند غير رسمي؛ لأنه وقع تحت الضغط". ولتكون الإقامة العامة منسجمة مع اتفاقية الحماية حاولت تغليف خلعها للسلطان بنوع

¹ - روم لاندو، محمد الخامس منذ اعتلائه عرش المغرب إلى وفاته، مرجع سابق، ص.73.

² - Daniel Rivet, *Le Maroc de lyautey a Mohamed V, le double visage du protectorat*, Edition Denoël, Paris, 1999-pp.388-389.

³ - انظر: حسنة مازي، نفي السلطان محمد بن يوسف والعمل الفدائي، ضمن: محمد الخامس والكفاح الوطني من أجل الاستقلال: ثقافة الوطنية في خدمة المواطنة، أعمال الندوتين المنعقدتين بتازة في 30 نونبر 2005م والرباط في 16 نونبر 2006م، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، 2007م، ص. 73-80.

⁴ - ورد في المادة الرابعة من معاهدة الحماية ما يلي: "سيصدر جلالته الشريفة القرارات بالإجراءات التي يتطلبها النظام أو من السلطات التي قد ينيها عنه طبقا لاقتراح الحكومة الفرنسية وستراعى نفس الطريقة في مسألة القوانين الجديدة وتعديل القوانين المعمول بها". الجريدة الرسمية، 30 مارس 1912م.

⁵ - غلال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، الطبعة الخامسة، 1993م، ص.417.



من الشرعية بحيث يقوم شعبه بعزله، فوجدت في شخصي الكلاوي¹ والكثاني² خير معين لها على تنفيذ سياستها، وصار الرجالان يجمعان التوقيعات لخلع السلطان من بين أنصارهما، وبالفعل فقد حصلنا على 270 توقيعاً، وأرغما علماء فاس على توقيع بيعة ابن عرفة "غير أن هؤلاء الموقعين أنفسهم بعثوا بعد بضعة أسابيع برسائل إلى السلطان يؤكدون على أنهم وقعوا تحت الضغط".

وفي العشرين من غشت 1953م دخل الجنرال غيوم برفقة مدير الأمن وفرقة مسلحة على السلطان وطلب منه التنازل على العرش، وحين رفض، طلب المقيم العام من مدير الأمن اعتقاله فتقدم ضابطان فرنسيان وقادا جلالته إلى سيارة عسكرية مصفحة، وبعد إلقاء القبض على الأميرين مولاي الحسن والمولى عبد الله اقتيد الجميع إلى معسكر السويسي وظلوا هناك إلى حين نقلهم إلى جزيرة كورسيكا³. وفي خضم ذلك تأكد للوطنيين أن العمل المسلح ضد الاحتلال أصبح خياراً استراتيجياً وضرورة لا محيد عنها⁴.

¹ - حول دور الكلاوي في نفي السلطان،

- العسة أحمد: المعجزة المغربية، دار القلم للطباعة، بيروت 1975م، ص. 258.

- الكلاوي عبد الصادق، أبي الحاج التهامي الكلاوي الأوبة، ترجمة فريد الزاهي، مطبعة النجاح الجديدة، منشورات المرسم، الرباط، 2004م، ص. 183.

² - جوليان، شارل أندري، إفريقيا الشمالية، ترجمة المنجي سالم وآخرون، الشرطة الوطنية للتوزيع والنشر، الجزائر، 1976م، ص. 369.

³ - جلال زين العابدين، الجنرال غيوم ومؤامرة خلع السلطان سيدي محمد بن يوسف: الحثيات و السياق، أعمال الدورة الثامنة عشرة للجامعة مولاي علي الشريف، المرحلة الثانية من عهد سيدي محمد بن يوسف: 1939-1955م، منشورات وزارة الثقافة، مطبعة دار المناهل، 2016م، صص. 249-258.

⁴ - يرى شارل أندري جوليان أن نفي محمد الخامس كان خطأ سياسياً لكون خلع السلطان في المنظور الإسلامي لا يجوز إلا بشروط محددة وهو ما لا يتوفر في محمد بن يوسف الذي كان الشعب يجمع على شرعيته باستثناء الكلاوي وأشياعه وهم فئة قليلة. إضافة إلى التوقيت الذي تم فيه النفي هو يوم حافل بالدلالات في المنظور الإسلامي فقد تصادف مع ليلة عيد الأضحى. ويعتبر ذبح السلطان لأول أضحى مسألة هامة لأن الشعب يتيمن بها خيراً وبذلك اعتبر نفيه في هذا اليوم تعطيلاً لسنة من السنن المهمة بالنسبة للمسلمين وهو ما أثار غضبهم. أضف إلى ذلك أنه من المعلوم أن تقام صلاة الجمعة باسم السلطان، وبما أنها أصبحت تقام باسم ابن عرفة، فقد أفرغت المساجد من المصلين بل أكثر من ذلك قاطع الناس المترددين عليها، وما كان لإدارة الحماية أن ترغب الناس على الذهاب إلى المساجد للصلاة باسم ابن عرفة لكون المغاربة كانوا يعتبرونه سلطان الفرنسيين ولا يمكن أن يكون سلطاناً عليهم.



فالتعليمات الصادرة عن قادة الحركة الوطنية مفادها أن الفرنسيين إذا وضعوا أيديهم بسوء على جلالة الملك فيجب أن يقوم كل الوطنيين وسائر المغاربة برد فعل عنيف.¹

ثانياً: مدن مغربية في قلب الثورة: ارتباط وثيق بين العرش والشعب

إن حدث نفي السلطان سيدي محمد الخامس في 20 غشت 1953م من قبل السلطات الفرنسية يعتبر نقطة تحول كبرى في نضال المغاربة من أجل الاستقلال والتحرر من ربقة المستعمر، باعتباره حدثاً أفرز كل أنواع المقاومة السياسية منها والمسلحة من طرف الشعب المغربي في جل المناطق المغربية والتي عبرت عن شجبها لهذا الحدث الجبان، ورفضها تنصيب ابن عرفة سلطاناً جديداً للمغرب عوض السلطان محمد بن يوسف الذي ارتأت السلطات الفرنسية أنه آن الأوان لتغييره بعد سلسلة من الاصطدامات المتواصلة التي شهدتها علاقته بالإقامة العامة بالرباط.

وقد سجلت مدينة طنجة منذ بروز البوادر الأولى لهذا الحدث موقفها الرافض من القرار الذي اتخذته بعض مؤيدي السلطات الاستعمارية، والمتمثل في توقيع بعض القواد الكبار كالقائد التهامي الكلاوي وما يقارب مائتين وسبعين باشا وقائداً على عرائض تطالب بعزل محمد بن يوسف تحت ذريعة تعامله مع الوطنيين وتعويضه بسلطان آخر.²

وفي هذا السياق، أقدمت ساكنة مدينة طنجة على إصدار عرائض تشجب هذه الخطوة وتندد بها، حيث أكدت الوثائق الفرنسية المعتمدة في هذه الفترة، على كون قصر المندوب السلطاني أحمد التازي بالمدينة قد شهد توافد العديد من الوفود التي تمثل مختلف أحياء المدينة التي تقطنها الساكنة المسلمة والتي

Julien, André, *Le Maroc face aux Impérialismes (1415-1956)*, Editions J.A, Paris 1978, p. 334.

¹ - زكي مبارك، محمد الخامس وابن عبد الكريم الخطابي وإشكالية استقلال المغرب، منشورات فيديبرانت، الرباط، 2003م، ص. 133.

² - المرجع نفسه، ص. 133.



تعبّر من خلالها عن احتجاجها لما أقدمت عليه بعض العناصر المغربية عن طريق تقديم عرائض احتجاجية.¹

لم يقتصر الأمر على العرائض، إذ انخرطت المدينة في إضرابات تعبّر عن رفضها لما يتم تداوله من أخبار عن تصعيد فرنسا من مواقفها ضد السلطان الشرعي محمد بن يوسف، وهو ما كان يفرز اصطدامات دامية بمختلف المدن المغربية.²

ومن جهة أخرى، انخرطت ساكنة مدينة طنجة رغم نفي السلطان في الاحتفال بعيد العرش يوم 16 نونبر 1954م عن طريق إقامة التجمعات الخطابية وعبرت عن موقفها السياسي بإقدام التجار على إغلاق محلاتهم التجارية خلال هذا اليوم تعبيراً منهم عن اعتراضهم على قرار النفي استجابة للمنشورات التي وزعت عليهم من طرف عناصر منتمية للأحزاب الوطنية تدعوهم من خلالها لإغلاق المحلات التجارية دون الخروج في مظاهرات يترتب عنها اضطراب الأمن بالمدينة الخاضعة للنظام الدولي.³

¹ - قدم سكان طنجة عريضة للمندوب السلطاني أحمد التازي بتاريخ 4 يونيو 1953م جاء فيها: "إن سكان وادي احضان بطنجة المغربية الموقعين أسفله يرفعون لسعادتكم هذا الكتاب مستكرين فيه كل الاستنكار العريضة التي قدمت من طرف بعض القواد والباشوات والأشياخ ضد صاحب الجلالة الملك الشرعي الذي بايعته الأمة الإسلامية بيعة حقيقية طبقاً للدستور السماوي والقوانين الشرعية التي لا مفر منها، كما نرفع احتجاجنا الصارخ على هذه الأعمال المتنافية مع تفكير الشعب المغربي ورغباته ونطالب باتخاذ الإجراءات اللازمة وتقديم الطغاة والعصاة الثائرين للمحاكمة حيث إنهم هددوا نظام الدولة المغربية وعرشها وتسببوا في إغلاق الأمن والفساد..." جريدة الشعب، بتاريخ 17 يونيو 1953م.

² - نشرت جريدة الشعب بتاريخ 18 غشت 1953م مقالا عنوانه بـ: "طنجة تخلب الأبصار بجلال إضرابها وهيبة جمعها الديني" جاء فيه: "... عمت يوم الأحد حركة الإضراب كل أحياء المدينة، وشارك فيها المغاربة عن بكرة أبيهم وكان منهم من وضع صورة صاحب الجلالة المفدى على باب منزله أو متجره طيلة النهار، وبالأمس واصل السكان المغاربة حركة الإضراب وضم المسجد جمعا غفيرا منهم عند صلاة العصر التي قرأوا بعدها اللطيف والدعاء لجلالة الملك المنصور بالله على دعاة الشر وأهل الزندقة والعقوق... وتفرقت الجموع بعد خروجها من المسجد... وقد كان يوم الأمس من الأيام التي يقدم فيها سكان طنجة الحجة على ما بلغوا إليه من الوعي واليقظة ومن الحكمة والتبصر". جريدة الشعب بتاريخ 18 غشت 1953م.

³ - أكدت إحدى المذكرات الاستعلامية الفرنسية التي أرسلتها لمكتب الشؤون الداخلية التابع للإقامة العامة بالرباط سنة 1955م تقريراً ورد فيه: "لقد تحولت المدينة لمركز مهم للعلاقات الداخلية والخارجية وبمناخ خلية للتجمعات للعديد من العناصر المتمردة في



إن حدث عزل السلطان ونفيه خارج بلده لم يكن ليرمر مرور الكرام، فقد شكل الحدث فرصة لمدينة طنجة لكي تتخطى في التعبير عن موقفها الرافض لهذا القرار، معتبرة أن ما أقدمت عليه السلطات الفرنسية في شخص المقيم العام حدث خطير هدد أمن المغرب برمته، حيث عمت المدينة العديد من التظاهرات الشعبية العفوية التي عملت على اتخاذ إجراءات متعددة كتقديم العرائض وتوزيع المنشورات، ومقاطعة البضائع الفرنسية، وإغلاق المحلات التجارية أسبوعيا يوم الجمعة، وهو ما يبرز بجلاء التفاعل الإيجابي للمدينة مع هذا الحدث، موفرة بالمقابل خلال هذه الفترة الهامة ظروفًا مناسبة لنشاط الأحزاب السياسية التي بدأت نتطلع لاستغلال هذا الفضاء عن طريق عقد التجمعات السياسية الهادفة إلى التنسيق بين وطني كل من المنطقة السلطانية والخليفية لممارسة ضغوط على سلطات الحماية الفرنسية للتراجع عن قرارها بنفي السلطان.¹

من ناحية أخرى، أثبتت الدراسات أن مدينة الرباط هي الأخرى، كانت مسرحا لعدد من التشكيلات والخلايا تلائم أهمية مركزها الإداري والسياسي باعتبارها عاصمة للمملكة، مما مكنها من أن تلعب دورا بارزا إبان ثورة الملك والشعب، خاصة وأنها من المدن الأولى التي فكر سكانها المناضلون في القيام بمقاومة مسلحة لاسترجاع الملك محمد الخامس إلى عرشه.

فقد كانت مدينة الرباط أول مدينة اتصلت بها قيادة المقاومة بالدار البيضاء لإقامة تنسيق شبه مركزي يهدف إلى إعطاء المقاومة صبغتها المركزية التي تفرضها القيادة الواحدة، ومن بين نماذج المقاومات العملية التي قام بها علال بن عبد الله أمام مسجد أهل فاس بتواركة يوم الجمعة ضد ابن عرفة. ومن المذكرات المنشورة حول مساهمة مدينة الرباط في ثورة الملك والشعب، مذكرات عضو أحد الخلايا الأولى للمقاومة بهذه المدينة ويدعى "عباس الأزموري المرباط" الذي أصدر كتابا في الموضوع وضع

طنجة التي وفدت إليها. فالمعلومات التي يوفرها البوليس الدولي للمدينة تسمح بالخروج بمجموعة من الملاحظات حول نشاط الأحزاب الوطنية في المدينة بعد نفي محمد بن يوسف في 20 غشت 1953م، حيث كثرت التجمعات السياسية كتجمع يوم السابع من أبريل والذي دام ثلاث ساعات نصف.... بهدف تنسيق المواقف المتخذة لمواجهة السلطات الاستعمارية.

زينب حمودة، طنجة ونفي السلطان محمد بن يوسف اعتمادا على الصحافة والأرشيف الأجنبي، مجلة الهدى، العدد 6، 2014م، ص 133.

¹ - زينب حمودة، مقال سابق، ص، 138.



له عنوان "شهادة في حق شهداء" في 247 صفحة جالت عبرها ذاكرة المؤلف دروب الواقع السياسي والاجتماعي في مغرب ما بعد الحرب العالمية الثانية، وما أفرزه ذلك الواقع من تناقضات بين مصالح نظام الحماية ومصالح المغاربة، أفضت إلى اصطدام استعملت فيه فرنسا سلاح القمع والسجن والنفي، ووظف فيه المغاربة المقاومة المسلحة لرد الاعتبار.¹

أما مدينة فاس، فلم تكن هي الأخرى بعيدة عن الحدث، فقد نزل خبر نفي السلطان على الساكنة الفاسية كالصاعقة، رغم أن الكتابات الرسمية والجرائد الموالية لسلطات الحماية تؤكد أن الوضع العام بالمدينة ظل هادئاً. وفي هذا الصدد، خرج السكان في وقفات استنكارية واحتجاجية وتجمعت الجماهير بمسجد القرويين ومختلف مساجد المدينة لقراءة اللطيف رغم سياسة القمع والحصار التي فرضتها القوات الاستعمارية. وتشير كثير من الدراسات أن عامة الناس صدموا بتلقيهم النبأ المشؤوم، كما نسجت العديد من الحكايات حول حدث النفي، لدرجة أن البعض زعم أنه رأى الطائرة التي أقلت السلطان سيدي محمد بن يوسف تحلق فوق سماء مدينة فاس، وفي الوقت نفسه امتنع العديد عن ذبح أضاحي العيد الذي صادف 21 غشت، فيما تعرض بعض مؤيدي حادثة النفي لعدة مضايقات من قبل مواطنين رأوا في عدم صدور أي رد فعل من هؤلاء نوعاً من الخيانة والتواطؤ مع المستعمر.

ورغم الاحتفالات التي نظمتها سلطات الحماية في حفل تنصيب ابن عرفة، إلا أن كثيراً من الكتابات التاريخية تبرز أن سيدي محمد ظل حاضراً في ذاكرة أهل فاس، فقد أورد المقيم العام كرانفال جليبر شهادة جاء فيها: "... أما محمد الزغاري فقد وصف لي بعبارات لا تخلو من شاعرية، التقدير الذي يكنه الناس للسلطان، قال: محمد الخامس يعيش معنا، بحيث يكون معنا في كل لحظة في بيوتنا في قاعة الاستقبال وفي قاعة الأكل، وحتى في أخص أركان البيت، إنه موجود بطريقة مستمرة في الحياة الخاصة داخل مساكننا".²

¹ - نوال متزكي، مساهمة مدينة الرباط في ثورة الملك والشعب من خلال مذكرات المقاوم عباس الأزموري المرابط، مجلة دعوة الحق، العدد 394، غشت 2009م، ص. 130.

² - جواد الفرخ، فاس في مواجهة الاستعمار الفرنسي، 1953-1955م، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ص. 201.



وقد تجسد هذا التعلق وهذا الحب في لقاءات وتجمعات كانت تلتئم مساءً بمختلف أرجاء المدينة، حيث يصعد المواطنون والمواطنات فوق السطوح لرؤية السلطان سيدي محمد بن يوسف وسط القمر¹. وقد انتشرت هذه الظاهرة في جميع أنحاء المغرب وبدأت مع الوقت تشكل حرجاً ومشاكل لسلطات الحماية التي كانت تتضايق من هذه التجمعات التي تصاحبها زغاريد النساء. وطيلة 818 يوم، من النفي إلى يوم العودة، لم يغيب السلطان سيدي محمد بن يوسف، لحظة واحدة عن ذهن المغاربة، بل ظل دائماً يتصدر الأحداث. وقد قال عنه فرنسوا موريالك: "إن محمداً الخامس لم يحكم المغرب قط مثل ما حكمه وهو في المنفى"².

خاتمة:

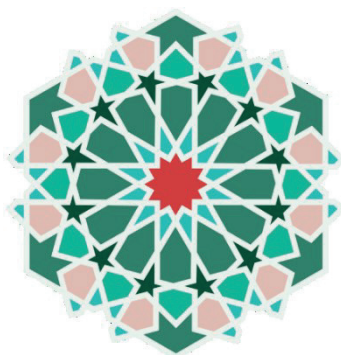
إن الحديث عن ثورة 1953م يشكل نقطة مفصلية في تاريخ المغرب المعاصر نظراً لخصوصيتها من جهة، ولأهميتها التاريخية في وجدان المغاربة ككل. كما أن الإحاطة بمختلف مظهراتها في جل الحواضر المغربية، يجعل من الصعب جداً إبراز صداها في هذه الحواضر، وقد حاولنا في هذا المقال الإشارة فقط لنماذج منفردة لهذا الصدى في بعض المدن المغربية.

بيد أنه من المهم الإشارة إلى أن الموضوع له تشعبات شتى، خاصة فيما يرتبط بعلاقة المؤسسة الملكية بالمدن، لكن ذلك لا يعني أن حضور المؤسسة السلطانية بالقرى والبوادي لا سيما في ظرفية كهذه، كان غائباً أو محتشماً، وهو الأمر الذي يتطلب من الباحث بذل جهد أكبر في سبيل سبر أغوار هذا الحضور وإبراز الصدى العميق الذي أحدثته نفي السلطان في نفوس أهل البادية المغربية، وتلك مسؤولية كل باحث.

¹ - إن العديد من المدن المغربية وخاصة مدينة فاس، تشهد ظاهرة من قصص ألف ليلة وليلة حيث يتجمع سكان المدينة القديمة مع بداية سقوط الظلام بين الساعة الثامنة والتاسعة والنصف على سطوح المنازل وينظرون إلى القمر لرؤية الملك، وقد انتشرت هذه الظاهرة بين تلاميذ المدارس والأساتذة وكل فئات المجتمع الفاسي وأصبحت بالتالي مصدراً لاندلاع بعض الاضطرابات بالمدينة.

J,G, Un conte des » mille et une nuits » étrange phénomènes aux dessous politiques, Maroc-presse 13530 du 24 aout 1953, p2

² - محمد العربي المساري، محمد الخامس من سلطان إلى ملك، مطبعة الرسالة، الطبعة الثانية، الرباط، 2009م، ص.34





فقهاء القرويين في واجهة الدفاع عن العرش العلوي المجيد من زمن الحماية إلى ثورة الملك والشعب وتحقيق الاستقلال

ذ. إبراهيم بوحولين

باحث في الدراسات الإسلامية- وجدة

مقدمة

إن الحديث عن القرويين هو حديث عن قلب مدينة فاس وعن ذاكرتها الثقافية والحضارية من جهة، وهو حديث أيضا عن واجهة المغرب الحضارية عبر التاريخ، فحين نؤرخ للثقافة والعلوم في السياقات الإسلامية أو في السياقات الكونية، نذكر حاضرة بغداد، ودمشق، والقيروان، وقرطبة، ثم نذكر فاس العالمية.

ولقد ظلت هذه الرمزية الكبيرة لفاس ظلا لرمز حقيقي هو جامع القرويين العامر، الذي أسسته فاطمة الفهرية سنة (245هـ)، والذي لم ينقطع مدده منذ ذلك الوقت إلى يوم الناس هذا، فإذا كانت فاس كما يقول المختار السوسي، رحمه الله: «هي فاسنا كلنا لا فاس سكانها وحدهم؛ لأن فاس فاس العلم والفكر والحضارة، لا فاس شيء آخر، وإن تاريخ المغرب الثقافي العام ليكاد كله يكون كجوانب الرحي حول قطب فاس [...]»، فهكذا فاس، فهي الأستاذة أمس واليوم، وكل أنحاء المغرب تلاميذ لها¹، فإن قلب هذه المدينة النابض وعقلها البصير هو جامع القرويين².

¹ - محمد المختار السوسي، سوس العالمية، ط. 2 (الدار البيضاء: مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، 1404هـ/1984م)، ص 11.
² - للوقوف على قصة بناء جامع القرويين سنة 245هـ، وأهم التوسيعات والإصلاحات المعمارية التي خضع لها عبر التاريخ، وأهم الأدوار التي اضطلع بها عبر التاريخ في مختلف الاهتمامات، انظر مثلا: علي الجزنائي، جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط. 2 (الرباط: المطبعة الملكية، 1411هـ/1991م)، ص 45. وعبد الهادي التازي، جامع القرويين، ط. 2 (الرباط: دار نشر المعرفة، 2000م).



ولم تكن القرويين بفقهاءها وعلمائها بمعزل عن الواقع يوم أن استولى الاستعمار الفرنسي على المغرب سنة 1912م بموجب عقد الحماية، بل كانت القرويين في صلب الصراع إلى جانب العرش العلوي المجيد ضد الاستعمار.

ولم ينقطع هذا الدفاع عن حوزة الوطن لأجل تحقيق الاستقلال إلى أن تحقق بالفعل سنة 1956م، وإننا إذ نحل علينا هذه السنة الذكرى الواحدة والسبعون لثورة الملك والشعب 20 غشت 1953-2024م، وهي المناسبة التي يحييها المغاربة عرشا وشعبا احتفالا بها وتجييدا لها. وذلك لكونه الحدث الذي فصل المغرب عن ملابسة الاستعمار له زهاء 44 سنة، كانت سنوات صعبة على المغاربة في شتى المستويات، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، فإن هذه المقالة تأتي لتسلط الضوء عن أدوار ومواقف مشرقة ومشرقة قام بها فقهاء القرويين انطلاقا مما أملاه عليهم واجبه الديني والوطني. وذلك وفق المحورين الآتية:

أولا: استهداف الاستعمار الفرنسي للمغرب في مجالات شتى، وتفاعل فقهاء القرويين معها

ثانيا: مواقف من دفاع فقهاء القرويين عن العرش والشعب المغربيين إلى تحقيق ثورة الملك والشعب والاستقلال

أولا: استهداف الاستعمار الفرنسي للمغرب في مجالات شتى، وتفاعل فقهاء القرويين معها

لقد سعى الاستعمار، استبقاء لوجوده في المغرب، إلى استهداف المغرب في مجالات كثيرة، نذكر منها مجالات: السياسة، والاقتصاد والاجتماع والثقافة:

أولا: في المجال السياسي، تم استهداف العرش العلوي في شخص الجلالة اليوسفية ثم في شخص ابنه ووارث ملكه وسره سيدي محمد الخامس رائد وقائد ثورة الملك والشعب التي حررت المغرب من هذه



القبضة، ومعروف أن العرش العلوي هو استمرار للدول التي تعاقبت على حكم المغرب منذ أن دخل الإسلام إلى هذا المصر من العالم الإسلامي. فاستهدف العرش العلوي كان استهدافا لتاريخ المغرب الضاربة أصالته في العمق، ولا سيما أساس وجوده واستمراره، الدين الإسلامي.

ثانيا: في المجال الاقتصادي، كان هدف الدول المستعمرة التي سطت على دول إفريقيا والشرق الأوسط هو السطو على خيرات هذه الدول ونهبها، وبالفعل فذلك ما حصل في مغربنا، وقد نتج عن ذلك مشاكل وأزمات اقتصادية عانى منها الشعب المغربي طيلة سنوات الوجود الاستعماري.

ثالثا: في المجال الاجتماعي، استهدف الاستعمار الأعراف والتقاليد الاجتماعية المغربية الأصيلة، لوعيه بأن القضاء على هذه الشعوب لا يمكن باستعمال القوة العسكرية فقط، فالشعب الذي آمن بقضيته لا يمكن أن يُهزم، فبإمكان القوة الاستعمارية أن تهزم جيلا أو جيلين، لكن المقاومة فكرة، والفكرة تنتقل من جيل إلى جيل، ولذلك فقد كان الاستعمار على وعي كبير بأنه إن أراد أن يكتب له الخلود والبقاء في المغرب فإن ذلك متوقف على نشر أعراف جديدة ناسخة لأعراف المغاربة، لينخرط المغاربة في هذه الأعراف الجديدة، فلا يستطيعون حينئذ مقاومة الاستعمار.

وهو الأمر الذي سعى الاستعمار إلى استنباته في المجتمع المغربي من الناحية الثقافية، فقد سعى بكل ما أوتي من قوة إلى أن يقضي على الثقافة المغربية ويستبدلها بثقافة غربية جديدة، ولم يترك الاستعمار بابا يمكن من خلاله القضاء على مغربة الإنسان المغربي إلا ولجه، وما جعل الثقافة الفرنسية قوية يصعب مقاومتها بالكلية، أنها ثقافة حداثية أحدثت ما أسماه الأستاذ عبد الله العروي صدمة الحداثة للمجتمع المغربي.

فعلى المستوى التقني مثلا، نجد آلات وأدوات ووسائل تقنية دخلت إلى المجتمع المغربي قبيل وأثناء الوجود الاستعماري فيها إيجابيات مادية كثيرة يصعب رفضها، ومن ذلك مثلا آلة الطباعة التي كانت بوابة لدخول المغرب رسميا في التحديث؛ لأن المجتمع المغربي، وغيره، بعد دخول آلة الطباعة متغير تماما



عما كان عنه وضعه قبل دخولها، ومن ذلك أيضا بعض وسائل الحداثة وثمراتها، كالسيارات، والهاتف، ومكبر الصوت (إلخ).

هذا فضلا عن التحديث على مستوى القوانين التنظيمية لواقع المجتمع، هذه القوانين التي لا تصادم روحها روح الدين الحنيف، لكنها قوانين فرنسية، والقبول بها إنما هو نوع من الاستسلام للقدر الفرنسي، ونوع من الترحيب بهذه الثقافة الاستعمارية.

وفي هذا السياق يجب فهم كثير من المواقف التي صدرت من فقهاء القرويين باعتبارهم نخبا أُملى عليهم الواجب الديني أن يخرطوا في إبداء رأيهم في هذه الوسائل التي تسربت إلى المجتمع المغربي، وهي مواقف توزعت بين القول بالقبول المطلق لهذه المنتجات التي استقدمها الاستعمار بلا قيود ولا شروط، وهؤلاء قلة قليلة، وفريق من الفقهاء اجتهد في هذا الباب بإعمال منطق المصالح والمفاسد بالمعنى المقاصدي الأصولي للعبارة، وهكذا قالوا بإباحة ما يمكن أن يخدم المجتمع والصالح العام من هذه الوسائل، وقالوا بتحريم الوسائل التي رأوا أن الباب فيها إن فُتح سيعسر سده. وفريق آخر منع بالكلية الترحيب بأي شيء مستقدم من الغرب، واعتبروا ذلك مدخلا لإفساد المجتمع والدين، ومدخلا لاستدامة الخطاب والوجود الاستعماري في الأمة المغربية.

وهكذا يمكن فهم اختلافهم مثلا في تحديث التعليم وتنظيمه، فمعروف أن المجوي الفاسي باقتراح من الجلالة اليوسفية قدم مشروعا لإصلاح النظام التعليمي بالقرويين سنة 1914م، سماه المجلس التحسيني¹، المشروع الذي ولّد نقاشا بين فقهاء الوقت، بين من قبله ومن رفضه، وقد كتب الشيخ محمد عبد الحى الكفاني رسالة ينتقد فيها هذا المشروع، كما كتب غيره.

¹ - يسر الله تحقيق وطبع نص هذا النظام الأساسي تحت عنوان: النظام الأساسي للمجلس التحسيني، الذي جاء في 102 مادة، وقد صدر عن دار الأمان سنة 2022م، بتحقيق إبراهيم بوحولين.



ولذلك فهذا المشروع لم يدم كثيرا، الأمر الذي استاء منه الحجوي ليعبر عن ذلك بقوله: «ولكن مع الأسف المكرر تداخل في القضية ذوو الأغراض الشخصية فبينما نحن بنينا ونصلح، ونرمم بفاس، وقد شرعوا في الهدم والتخريب في الرباط بغير فاس، وما كدنا نختم القانون المشار إليه حتى صدر أمر شريف برجعنا»¹.

الأمر نفسه يقال عن موقف فقهاء الوقت من تدريس المرأة وتعليمها، فمعروف أن الحجوي الفاسي وبعض النخب المغربية حملوا مشعل هذا المشروع ونادوا بتعليم المرأة المغربية، إسوة ببنات الأعيان حينها، وفي ذلك يقول الحجوي في محاضرة في الموضوع ألقاها في الرباط سنة 1922م، مخاطبا الصدر الأعظم المقري، ووزير العدلية أبا شعيب الدكالي، اللذين اعترضوا عليه اقتراحه تدريس البنات، بحجة أنه يريد أن يفتح بابا يعسر سده²، قال: «يَكُونُ تَعْلِيمُهُنَّ عَلَى يَدِ نِسْوَةٍ مُتَعَلِّمَاتٍ فَاضِلَاتٍ مَاهِرَاتٍ فِي التَّعْلِيمِ، حَسَنَةِ السُّلُوكِ مُؤْتِمِنَاتٍ (...) عَلَى أَنَا وَاللَّهِ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْمَرْأَةِ الَّتِي تَعْلَمُ الْبَنَاتِ وَتُهَذِّبُهُنَّ، وَالطَّبِيبَةَ وَالْقَابِلَةَ الْمُوَلَّدَةَ، وَالْمُرْصِضَةَ وَطَبِيبَةَ الْأَسْنَانِ مَثَلًا، لِمُعَالَجَةِ النِّسَاءِ أَمْثَالِهِنَّ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ غَيْرَ مُوَافِقٍ لِلذَّوْقِ الْحَاضِرِ، وَلِلغَيْرَةِ الَّتِي طُبِعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ»³.

ولذلك فإن التأويل الذي يذهب إليه بعض الدارسين للتراث الفكري والفقهية والتربوي للحجوي، ينصب على فكرة هي بعيدة في الواقع عما كان يتقصده صاحب الفكر السامي، فالرجل فقيه ويعيش وقته بميزان شرعي وبأنظار مقاصدية، ولذلك حين قيل له إن تعليم البنات سيفتح علينا أبوابا للفساد يعسر سدها، وأن في ذلك تشبها واستقبالا للثقافة الفرنسية التي يجب مقاومتها، نبه إلى أن تعليم البنات في

¹ - الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد بن الحسن الحجوي، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، 1416هـ/1995م، 228/2.

² - المحاضرة الرباطية في إصلاح تعليم البنات في الديار المغربية، ضمن محاضرتان في إصلاح التعليم، إملاء محمد بن الحسن الحجوي، تقديم وتحقيق إبراهيم بوحولين، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط.1، 2021م، ص 60.

³ - المحاضرة الرباطية للحجوي، ص 59.



الإسلام كان موجودا منذ العصر النبوي، ولكنه كان دائما منضبطا بضوابط وشروط هي التي أشار إلى بعضها في الفقرة أعلاه، فهو كما أسماه تهذيب.

وكان هذا التشديد في الشروط التي وضعها الحجوي في زمنه ليحقق المقصدين معا، مقصد المحافظة على مبدأ إسلامي كبير هو تعليم المرأة أمور دينها، ومقصد واقعي يفرضه واجب الوقت، هو عدم التسبب والذوبان في الثقافة الفرنسية التي يقتضي الواجب الشرعي والذوقي محاربتها استبقاءً للثقافة المغربية الأصيلة.

ثانيا: مواقف من دفاع فقهاء القرويين عن العرش والشعب المغربيين

يوم أن ابتلي المغرب بالاستعمار وجه فقهاء القرويين الناس إلى النضال والكفاح من أجل استعادة الوطن، وأعلنوا عدم قبولهم بخططات المستعمر ومسايعه من فوق منبر الجامع، ولذلك كان الاستعمار الفرنسي يسمي القرويين بالبيت المظلم¹، ولم يدخر جهده في سجن فقهاء الوقت، ونفيهم، وقتلهم والتنكيل بهم، حيث يمكن القول إن بذور الوطنية قد انبثقت من جامع القرويين.

كما فكر الاستعمار الفرنسي في التسرب إلى القرويين والتدخل في شؤون الدراسة فيها، والسعي نحو تقزيم دورها الريادي في الدفاع عن الوطن، والاكتفاء بإلقاء محاضرات وفق مقررات ينظر فيها ابتداءً، وأوقف عددا من الكراسي العلمية التي كانت تقليدا علميا منظما لم ينقطع منذ الزمن المريني، على الأقل، تقليدا يسهم من خلاله العلماء في ترسيخ القيم الدينية والوطنية والنضالية، عبر إيقاظ الهمم العالية في نفوس الطلبة انطلاقا من دروس السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي المجيد، وفي هذا السياق يمكن فهم مصادرة الاستعمار لعدد من الكتب حينها، منها كتاب النبوغ المغربي في الأدب العربي لعبد الله كنون.

وحين حديثنا عن دور القبائل المغربية في الذود عن حوزة الوطن نستذكر مجاهدين من أمثال محمد بن عبد الكريم الخطابي في معركة أنوال بتسامان من الريف المغربي سنة 1921م، حيث هزم الاستعمار الإسباني ومعاونه شر هزيمة، نجد أن الخطابي إنما هو تلميذ من تلامذة جامع القرويين، فيها درس، وعلى

¹ - ينظر: جامع القرويين، لعبد الهادي التازي، ط.2، الرباط: دار نشر المعرفة، 2000م، 742/3.



علمائها تلقى مبادئ الوطنية؛ ذلك أن القرويين كانت مركزا جامعا يستقطب الطلاب من مختلف القبائل المغربية من قديم، وفي القرويين تشبع هؤلاء الطلبة بثقافة الوطنية وتجنّدوا فكريا وماديا لمحاربة المخططات الاستعمارية الساعية لاستدامة بقائه.

وحيث أصدر المستعمر الظهير البربري الذي سعى من خلاله إلى التفرقة بين أبناء الشعب المغربي على أسس لا تمت بصلة إلى الهوية الجامعة للأمة المغربية، اجتمع العلماء والطلاب مع سائر الطبقات الاجتماعية الأخرى في القرويين، وعبروا عن موقفهم الرافض لسياسة التفرقة هذه، وخرجوا في مظاهرات في شوارع فاس، وكان أن تم اعتقال عدد منهم.

وحيث انتقلت الحركة الوطنية من المطالبة بالإصلاحات إلى المطالبة بالاستقلال، وقُدمت عريضة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944م، كان من المبادرين ومن الموقعين عليها جماعة من فقهاء وعلماء القرويين، كالحسن بوعباد، وابن إدريس العمراوي، وابن شقرون، وأدوا في سبيل ذلك ثمنًا هو الاعتقال والسجن والتعذيب.

وأغلب الإضرابات والمظاهرات التي كانت تنظم بفاس وبسائر المدن المغربية في هذه الفترة والتي كانت تخرج إلى الشوارع منددة بالوجود الفرنسي، وداعية إلى الاستقلال، كانت تؤطر وتوجه من قبل فقهاء وخريجي جامع القرويين العامر.

وحيث نصب الاستعمار الفرنسي ابن عرفة على العرش ونفى وارث الشرعية وصاحبها جلالته المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، بعد مفاوضات معه بخصوص التنازل عن العرش وعن الدفاع عن مصالح الشعب المغربي مقابل امتيازات، وبعد أن تأكد الاستعمار أن هذا الرجل لا ينبغي بدلا عن مصلحة شعبه ووطنه، «فقد أراد الاستعمار من الملك محمد الخامس أن يوقع على ظهائر تزيد في إذلال الشعب فامتنع رحمه الله في إباء، وجعل نصب عينيه أن يضحى بكل شيء من أجل كرامة شعبه، ومع اقتراب



يوم 20 غشت الذي كان موعدا لتنفيذ المؤامرة طوق الجنرال كيوم القصر الملكي [...], تمهيدا لعزله ونفيه، وتمت المؤامرة وغادر الملك العرش والبلاد ومعه أسرته المكافحة¹.

هنا سيكون لفقهاء القرويين موقف واضح عبر عنه العلامة عبد الله كنون الذي رد على فتوى مساندة لعريضة القواد، كان مما جاء فيها: «ونحن إنما أتينا بهذه النصوص للاستدلال على عدم جواز الخلع حتى من العلماء في الحد الأدنى للمسألة، ومعلوم أن نازلتنا ليست من هذا القبيل، فجلالة الملك حفظه الله لا تحوم حوله الشبه بوجه من الوجوه، وأصل النزاع عند هؤلاء القواد أو عند حامل لواء غدرهم على الصحيح هو محاولة جلالته الملك منهم من الظلم والسلب والنهب وإنكاره عليهم ما هم متلبسون به من الفسق والفجور والاستهتار، فأخذتهم العزة بالاثم، وخافوا من العزل فقاموا بهذه المناورة...»².

وسياق هذه الفتوى التي صدرت من قبل علماء القرويين وسطرها عبد الله كنون هو أن الاستعمار أقنع القواد والبشوات وبعض الفقهاء بدعوى مؤداها أن بيعة العلماء تبع لبيعة القواد، ولذلك فإذا بايع الباشاوات فلا عبرة بامتناع الفقهاء، وهنا نسجل ملحظا هو أن فقهاء القرويين جملهم رفض التوقيع وقبول تولية ابن عرفة خلفا للملك الشرعي جلالته المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، وذلك انطلاقا من القواعد الشرعية والمبادئ الوطنية، ففي شرعنا الحنيف لا يجوز لعامي بله عالم وفقهه أن ينقض بيعة هي في عنقه للسلطان، وفي شرعنا أيضا أن الذي يبايع السلطان أولا إنما هم العلماء والفقهاء، ليكون القواد والعسكر تبعاً لهم بعد ذلك، ولذلك فإن فقهاء القرويين قد أملى عليهم الواجب الديني والوطني معا أن يقفوا في وجه ابن عرفة والاستعمار الفرنسي الذي ولاه. ولذلك رد العلامة كنون عن من قال بجواز بيعة القواد قبل الفقهاء، مستنكرا قوله، وداعيا له للعودة إلى جادة الصواب.

¹ - ينظر: 20 غشت 1953م، محطة في تاريخ المغرب لإنتاج الأبطال وإنجاز جلائل الأعمال، مقال لعبد الصمد العشاب، ضمن مجلة الذاكرة الوطنية، عدد خاص بالذكرى الخمسين لثورة الملك والشعب، 1424هـ/2003م، ص 128.

² - 20 غشت 1953م، عبد الصمد العشاب، ص 129.



ولقد كان لهذه الفتوى صدى كبير في المغرب وخارجه، حيث استطاع علماء القرويين بفضل هذا التكتل أن يكسروا مؤامرة الاستعمار ومتعاونيه، وما إن مضت سنة على هذه الفتوى حتى تدخل الاستعمار للقبض على علماء القرويين الذين اعتصموا بضريح مولاي إدريس طالبين بعودة الملك الشرعي المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه إلى وطنه، وحينها نشر عبد الله كنون نداءً إلى المسلمين في كل مكان جاء فيه: «إنه بعد أن امتدت يد الاستعمار الأثيمة إلى ملكنا الشرعي سيدي محمد بن يوسف في 20 غشت من السنة الماضية 1953م، فأنزلته بالقوة عن عرشه ورمته به إلى منفى سحيق هو وأسرته الكريمة عادت فقبضت بمخالبها الحديدية على عنق كل مؤمن ومومنة تريد خنق الروح الإسلامية والغيرة الدينية في أمة المغرب الأقصى، فتدخلت تدخلًا سافرًا في أمور الدين بحملها لعلماء الإسلام في المغرب على البيعة كرها لمملكها وتهديدها لمن أبي منهم بالقتل وهتك أعراض حرمه. وأخيرًا عمدت إلى أربعين عالمًا ممن أفتوا بعدم صحة بيعته مملكها فأخرجتهم من مسجد مولاي إدريس كانوا قد اعتصموا به وحملتهم في القيود إلى عاصمة الرباط وأودعهم بأحد أقسام الشرطة يسامون من أعوانها الغلاظ الأتجاد سوء العذاب وذلك في انتظار محاكمتهم لإنزال أقصى العقوبات عليهم»¹.

ولم يبق الفقهاء في هذه الفترة التي بين نفي جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه وعودته في 1955م مكتوفي الأيدي، بل أطروا الشباب المغربي ووجهوهم. ولقد وصل الانفجار الشعبي في هذه الفترة العصبية من التاريخ المغربي مرحلة غير مسبوقة منذ أن دخل المستعمر سنة 1912م، فلقد امتلأت السجون والمعتقلات بالشباب المغربي المؤمن بعدالة قضيته، وبشرعية ملكه في الحكم، وخرج الناس في مختلف المدن المغربية بمظاهرات كبيرة رفعت كلها شعارًا واحدًا يحمل مطلبًا استعجاليًا هو عودة الملك المنفي سيدي محمد الخامس وأسرته الكريمة إلى أرض الوطن، إلى عرشه ليحكم بلده، ثم إطلاق سراح المعتقلين.

¹ - 20 غشت 1953م، عبد الصمد العشاب، ص 130.



ومع استمرار الفقهاء في تأطير الشعب المغربي، وزرع بذور الوعي فيهم، وتذكيرهم بالماضي المجيد للمغرب منذ أن دخل إليه الإسلام، الأمر الذي أيقظ في نفوسهم حماسا منقطع النظير في استرجاع بلدهم السليب منهم، مع هذا الوضع الذي أصبح واقعا أصبح همّ فرنسا ورهانها هو الخروج من هذه الورطة بأقل الخسائر، الأمر الذي ولد مفاوضات منها مفاوضات ايكس لبيان في غشت 1955م التي أسفرت عن تخية ابن عرفة عن العرش في أكتوبر 1955م، وعودة الملك الشرعي محمد الخامس إلى عرشه، وإعلان انتهاء الحماية وبزوغ فجر الاستقلال، يوم الأربعاء 16 نونبر 1955م، لينتهي الأمر باستقلال المغرب رسميا سنة 1956م، وليبدأ مسارا جديدا من استرجاع ما تبقى من التراب الوطني.

خاتمة

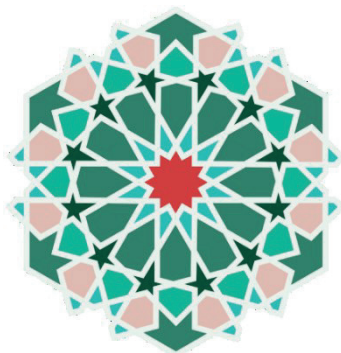
غير خاف، إذن، دور العلماء والفقهاء عموما، ودور فقهاء القرويين وعلمائها على وجه الخصوص في الدفاع عن حوزة وحياض هذا الوطن منذ أن تأسس هذا الصرح الحضاري والثقافي الكبير الذي كان وما يزال يمثل واجهة من واجهات المغرب، وحين دخل الاستعمار الفرنسي أصبح ضمن أولويات برنامجه الفكري والثقافي والنضالي تحرير الوطن من قبضة هذا الاستعمار الغاشم.

وحين وصل الأمر بالاستعمار إلى التناول على العرش العلوي المجيد، ونفي صاحب الشرعية جلالته المغفور له سيدي محمد الخامس، طيب الله ثراه، إلى الخارج وتولية ابن عرفة يافطة للحكم من خلاله، انبرى علماء القرويين بشكل مباشر للدفاع عن الملك الشرعي ورفض التوقيع على تنصيب ابن عرفة، وانطلقوا في ذلك من منطلقات فرضها الشرع الحكيم، ومبادئ الدين في الدفاع عن الهوية والوطن. والحمد لله رب العالمين.



المصادر والمراجع

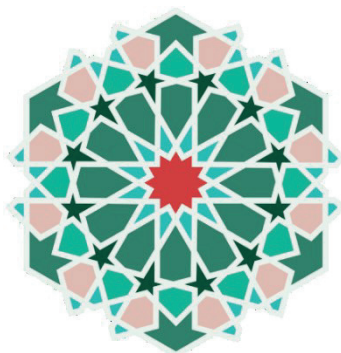
- 20 غشت 1953م، محطة في تاريخ المغرب لإنتاج الأبطال وإنجاز جلائل الأعمال، لعبد الصمد العشاب، مقال ضمن مجلة الذاكرة الوطنية، عدد خاص بالذكرى الخمسين لثورة الملك والشعب، 1424هـ/2003م.
- الاجتهاد والتحديث، دراسة في أصول الفكر السلفي في المغرب، لسعيد بن سعيد العلوي، مركز دراسات العالم الإسلامي، 1992م.
- جامع القرويين، لعبد الهادي التازي، ط.2، الرباط: دار نشر المعرفة، 2000م.
- جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، لعلي الجزنائي، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط.2، الرباط: المطبعة الملكية، 1411هـ/1991م.
- سوس العالمية، للمختار السوسي، ط.2، الدار البيضاء: مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، 1404هـ/1984م.
- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد بن الحسن المجوي، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، 1416هـ/1995م.
- محاضرتان في إصلاح التعليم، إملاء محمد بن الحسن المجوي، تقديم وتحقيق إبراهيم بوحولين، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط.1، 2021م.
- النظام الأساسي للمجلس التحسيني، إملاء محمد بن الحسن المجوي، تقديم وتحقيق إبراهيم بوحولين، ط.1، الرباط: دار الأمان سنة 2022م.





ديولن العدد



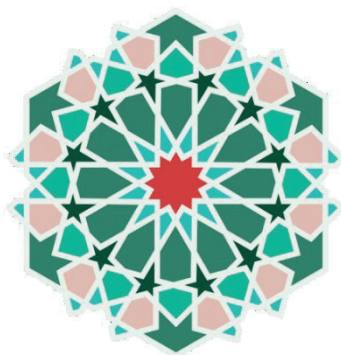




عهد ليس ينقسم

شعر الأستاذ عبد الكريم الوزاني - فاس

- | | |
|---|--|
| تَبَارَكْتَ هِمٌّ بِالْقِسْطِ تَحْتَكُمُ * | فَاسْتَوَيْنَ الْحَزْمُ وَالْإِدْرَاكُ وَالشَّمَمُ |
| إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا هَبُوا لِمَفْخَرَةٍ * | هُمْ الْإِمَامَةُ رَفْرَافٌ لَهُمْ عِلْمُ |
| وَالْعَاهِلُ السَّادِسُ الْمَيْمُونُ طَلَعَتْهُ * | قَدْ بَارَكَ الْقَوْمَ فَاقْتَدَتْ لَهُ الْهِمَمُ |
| رَوَّافِدُ الْحَزْمِ إِجْلَالٌ وَمَنْقَبَةٌ * | وَسَائِسُ الْقَوْمِ لِلْإِدْرَاكِ يَحْتَكُمُ |
| فَاللَّهُ حَافِظُهَا إِمَامَةٌ جُبِلَتْ * | عَلَى الْمَفَاخِرِ إِجْمَاعٌ وَمُلْتَمُ |
| وَلِلْأُمُومَةِ شَأُوٌّ فِي تَعَهْدِهَا * | فَهِيَ الصَّلَاحُ وَفِي إِصْلَاحِهَا أُمُّ |
| تُسْدِي وَتَمْنَحُ إِثْرَاءً وَمَفْخَرَةً * | جَادَتْ عَطَايَا نِسَاءِ الْقَوْمِ تَلْتَحِمُ |
| هِنَّ الْمَزَايَا وَهِنَّ الْجُودُ قَاطِبَةٌ * | كَذَا النَّبَاهَةُ وَالتَّدْبِيرُ وَالْقِيمُ |
| رِعَايَةٌ مِنْ مَلِكٍ بِالرِّضَا كَلَفُ * | أُسْدَى مَزَايَا بِهَا الْأَقْوَامُ تَلْتَمُ |
| مَنَابِرُ الْعِلْمِ إِدْرَاكٌ وَمَفْخَرَةٌ * | حَذُوُّ الْمَعَارِفِ إِمْتَاعٌ وَمَغْتَمُ |
| نَهَجُ الْعَزَائِمِ إِشْرَاقٌ وَمَبْهَجَةٌ * | وَرَأَيْدُ الْقَوْمِ عَهْدٌ لَيْسَ يَنْفَصَمُ |





ذِكْرَى ثَوْرَةِ الْمَلِكِ وَالشَّعْبِ

شعر الأستاذ محمد البلغمي - فاس

"أَبُّ" أَتَى بِالذِّكْرِيَّاتِ مُوَافِيَا * وَلَوْ أَوْنَا بِالْعِزِّ يَخْفُقُ عَلِيَا
وَأَتَى.. يُعِيدُ عَلَى الزَّمَانِ حَوَادِثًا * وَيُقْصُّ لِلْأَجْيَالِ ذِكْرًا بَاقِيَا
أَعْظَمَ بِهِ شَهْرًا.. وَعَتَّ أَيَّامُهُ * مَجْدًا يُخَلِّدُ بِالْبَطُولَةِ مَاضِيَا
يَوْمَ اعْتَدَى جَيْشُ الطُّغَاةِ عَلَى الْحِمَى * غَدْرًا.. وَجَرَّ عَلَى الْبِلَادِ مَاسِيَا
تَخَذَ الشَّعَارَ لِبَغْيِهِ "فَرَّقَ تَسْدَ" * وَغَدَا يُقَسِّمُ كَيْفَ شَاءَ أَرَاضِيَا
وَسَعَى يَبْتُ سُمُومَهُ مُتَحَدِيًا * شَعْبًا يَهِيْمُ بِعَرْشِهِ مُتَآخِيَا
وَإِغْتَاظَهُ مَلِكٌ يُبَادِلُ شَعْبَهُ * حُبًّا يَزِيدُ مَعَ الزَّمَانِ تَصَافِيَا
كَمْ حَاوَلَ الْمَغْرُورُ فَصَمَ عُرَاهُمَا * فَتَمَادِيَا عِشْقًا.. وَخَابَ مَسَاعِيَا
إِيَّاهُ أَيَا "عِشْرِينَ غُشْتَ" فَلَمْ تَزَلْ * يَوْمًا يُهَيِّجُ مَشَاعِرًا وَمَآقِيَا
يَوْمٌ بِهِ جَارَ الدَّخِيلُ عَلَى الْحِمَى * وَنَفَى "ابْنَ يُوسُفَ" وَالْأَمِيرَ السَّامِيَا
وَعَدَا عَلَى شَعْبٍ يَهِيْمُ بِعَرْشِهِ * وَإِغْتَالَ فِيهِ مَطَامِحًا وَأَمَانِيَا
خَالَ الظُّلُومُ بِأَنَّهُ حَازَ الْمُنَى * مِنْ غَدْرِهِ.. وَالْجُوَّ أَصْبَحَ خَالِيَا



هَيْهَاتَ..يُذِرْكُ مَا رَجَاهُ..وَأَنَّمَا * ظَنَّ الْمَحَالَ.. وَرَامَ أَمْرًا عَاصِيَا
 فَالْمَلِكُ أَعْلَنَهَا..وَطَارَ دَوِيُّهَا * يُذِكِّي الْجِهَادَ حَوَاضِرًا وَبَوَادِيَا
 لَا تَعْدِمُ الْأَوْطَانُ فِي آجَامِهَا * أَسَدًا تَرُدُّ عَنِ الْعَرِينَةِ بَاغِيَا
 قَدْ شَمَّرُوا عَنْ عَزْمِهِمْ..وَتَقَحَّمُوا * سَاحَ الْفِدَاءِ أَشَاوِسًا وَضَوَارِيَا
 كَمْ أَرْهَقُوا جَيْشَ الْغُزَاةِ وَجَنَدَلُوا * فَوْقَ الرِّغَامِ صَنَائِعًا وَأَعَادِيَا
 حَارَ الْعَدُوَّ بِأَمْرِهِ..وَقَدْ اغْتَدَى * هَدَفَ الْكُفَاةِ.. وَلِلْفَنَاءِ مَرَامِيَا
 فَاسْتَسْلَمَ الطُّغْيَانُ مُنْدَحِرَ الْمُنَى * وَهَوَى يَجْرُ مَذَلَّةً وَمُخَازِيَا
 وَأَعَادَ لِلْوَطَنِ الْعَزِيزِ مَلِيكُهُ * بَطَلَ التَّحَرُّرِ، وَالْإِمَامَ الْهَادِيَا
 وَالشَّعْبُ هَبَّ إِلَى لِقَاةِ مُهْلَا * يَشْدُو لِمَقْدَمِهِ السَّعِيدِ أَغَانِيَا
 لِلَّهِ مِنْ شَهْمٍ.. تَخَطَّفَهُ الرَّدَى * لِلَّهِ مِنْ قَمَرٍ.. غَدَا مُتَوَارِيَا
 سَتَظِلُّ ثَوْرَتُهُ الْعَظِيمَةُ لِلدُّنَى * قَبَسًا يُنِيرُ مَدَى الْحَيَاةِ دِيَاغِيَا



افتتاحية	5
ملف العدد	9
مقالات ذكرى عيد العرش المجيد	11
إمارة المؤمنين عمارة الدنيا وإقامة الدين	13
ذ. محمد مشان (رئيس المجلس العلمي الجهوي لجهة الدار البيضاء سطات)	
الإمامة العظمى؛ المفهوم والمكانة	21
ذ. سعيد بيهي (رئيس المجلس العلمي المحلي للحي الحسني بالدار البيضاء)	
عيد العرش المجيد الأصالة والتميز	29
ذ. ابراهيم بن أحمد الوافي (رئيس المجلس العلمي المحلي لإنزكان أيت ملول)	
نظام البيعة في المغرب: وفاء والتزام	35
ذ. عبد القادر بطار (أستاذ التعليم العالي بجامعة محمد الأول- وجدة)	
البيعة الشرعية ميثاق مستمر بين علماء وشيوخ الصحراء المغربية وملوك الدولة	45
العلوية الشريفة خلال العصر الحديث	
ذ. ياسين بن روان (عضو المجلس العلمي المحلي بالعيون)	
قبسات من إمارة المؤمنين في ذكرى عيد عرشها المجيد	65
ذ. عبد اللطيف البغيل (عضو المجلس العلمي المحلي لإقليم الفحص أنجرة)	
إمارة المؤمنين وأثرها في حفظ الملة ووحدة الأمة	87
ذ. الحسين مهداوي (باحث في الدراسات الإسلامية- وجدة)	



عيد العرش المجيد في ظل حكم أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله: التجليات والتطلعات	97
ذة. خديجة بوسبع (باحثة في الدراسات الإسلامية- بني ملال)	
مقالات ذكرى ثورة الملك والشعب	109
ثورة الملك والشعب رهان المغرب الجديد	111
ذ. عبد الخالق أحمدون (رئيس المجلس العلمي المحلي بطنجة)	
مشاهد ومواقف من حياة المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه وعائلته الملكية الشريفة في المنفى (1953- 1955م)	127
ذ. محمد الأندلسي (باحث في التاريخ- تطوان)	
ثورة الملك والشعب في تجدد مستمر بقيادة أمير المؤمنين حفظه الله	161
ذ. أحمد الأزمي (أستاذ التعليم العالي بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس)	
ثورة الملك والشعب دلالات وعبر	175
ذ. منير روكي (باحث في التاريخ- برشيد)	
فقهاء القرويين في واجهة الدفاع عن العرش العلوي المجيد من زمن الحماية إلى ثورة الملك والشعب وتحقيق الاستقلال	185
ذ. إبراهيم بوحولين (باحث في الدراسات الإسلامية- وجدة)	
ديوان العدد	197
عَهْدٌ لَيْسَ يَنْفَصِمُ	199
شعر الأستاذ عبد الكريم الوزاني- فاس	
ذِكْرَى ثَوْرَةِ الْمَلِكِ وَالشَّعْبِ	201
شعر الأستاذ محمد البلغمي- فاس	



شروط النشر بالمجلة

- تنشر المجلة الدراسات العلمية والبحوث المترجمة والمقالات الفكرية ومراجعات الكتب التي تتسم بالعمق والموضوعية، في مجالات العلوم الشرعية والفكر الإسلامي والحضارة وفق الشروط الآتية:
- أن يكون البحث أصيلاً لم يسبق نشره، وألا يكون مستلاً من بحث جامعي، أو أرسل للنشر في مجلة أخرى.
- أن تراعى قواعد البحث العلمي في توثيق المصادر والمراجع والإحالة عليها.
- التقيد التام بكتابة الآيات القرآنية وفق المصحف المحمدي.
- الاعتناء التام بعلامات الترقيم، والالتزام بالقواعد المتعارف عليها في تحرير البحوث والمقالات.
- ألا يزيد عدد صفحات البحث أو المقال عن 18 صفحة من حجم A4.
- في حالة إرسال بحث مترجم يشترط إرسال نسخة من البحث الأصلي.
- في حالة وجود وثائق وصور، يرجى أن تكون موثقة وبدقة جيدة.
- تخضع المادة المرسلة للتحكيم العلمي، وتمنح المجلة مكافأة مالية عن كل بحث منشور، وفق النظام المعمول به في المجلة.
- ترسل البحوث بالبريد إلى عنوان المجلة مطبوعة على الورق، وفي قرص مضغوط، أو على البريد الإلكتروني، مع نبذة تعريفية عن صاحب البحث وصفته وعنوانه الكامل ورقم هاتفه.
- البريد الإلكتروني هو: alamihamid49@gmail.com
- ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.
- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، كما أن المجلة غير ملزمة بإيضاح أسباب عدم النشر.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.
- تصنيف البحث أو المقال وتنسيقه تنسيقاً جيداً.
- هوامش التوثيق والإحالات والمصادر والمراجع تدرج في أسفل الصفحات وليس في آخر البحث أو المقال.
- يكتب البحث أو المقال بخط Simplified Arabic مع التقيد بالمقاسات الآتية: 14 في النص، و10 في الهامش، و01 ما بين السطور.

محور العدد المقبل

تخبر هيئة تحرير مجلة دعوة الحق أن موضوع العدد المقبل هو:

جهود ملوك الدولة العلوية الشريفة في العناية بالتعليم العتيق والكتاتيب القرآنية